المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

العـدد الثـالث - خريف 2019

إطلاق مجلة "المقدسية" برعاية وزير الثقافة اللبناني الدكتور محمد داود داود

كلمة العدد
القدس بين شواهد التهويد وشواخص التهديد
أ.د سعيد أبو علي

نصوص... الرّباط في بابِ الأسْباط
المتوكل طه

القدس في الادب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين "من خلال مجموعة من "طهران للقدس" للاديب يونا كوهين
أ.د. أحمد كامل راوي

الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية
من الكفاح الوطني العام إلى الكفاح التنموي المحلي وبناء السيادة من أسفل
د. وليد سالم

القدس في الخطاب السياسي عند بنيامين نتنياهو وانعكاساتها على نتائج الانتخابات الإسرائيلية
د. رانيا فوزي

كتاب العدد: د. محمد فتحي شقورة - إيمان كامل محمد عبد الجواد - صلاح الشميري -شريفة شودار معتصم الشوا - د. خالد عزب - د. هدى درويش

مكتب شيخ الأزهر
رئيس القطاع

السيد الأستاذ الدكتور/ سعيد أبو علي

الأمين العام المساعد

رئيس قطاع فلسطين والأراضي العربيَّة المحتلَّة – جامعة الدول العربيَّة

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فأبعث إلى سيادتكم وإلى أسرة جامعة القدس شكر وتقدير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر؛ لإهدائكم الكريم نسخة من العدد الأوَّل والثَّاني من مجلَّة المقدسيَّة، مقدِّرًا فضيلته قيمة هذا العمل النافع في خدمة القضية الفلسطينيَّة وتعزيز صمود أبناء دولة فلسطين العزيزة ضد مخططات الاحتلال الصهيوني، داعيًا المولى – سبحانه! – أن يُكلِّل بالتوفيق والسَّداد جهودكم المخلصة من أجل تحقيق الخير لشعبكم الأصيل، وأن يتقبَّل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مع تمنياتي لكم بموفور الصِّحَّة والعافية.

وتقبَّلوا بقبول وافر الاحترام

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرًا في: ١٩ من محرَّم سنة ١٤٤١هـ
الموافق: ١٨ من سبتمبر سنة ٢٠١٩م

رئيس قطاع
مكتب شيخ الأزهر

(دغش محمد أحمد)

E. mail: chairmansector.azhar@gmail.com
مشيخة الأزهر الشريف – حديقة الخالدين – الدراسة - القاهرة ت/ ٢٥٩٧٢٨٤٨ فاكس/ ٢٥٩٠٣٩٧٤

المقدسية
العدد الثالث - خريف 2019

المحتويات

كلمة العدد

القدس بين شواهد التهويد وشواخص التهديد 3
أ.د. سعيد أبو علي

مقالات

نصوص الرّباط في بابِ الأسْباط
المتوكل طه 21

ملف العدد (القدس.. التعليم والهوية)

القدس في الأدب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين "من خلال مجموعة من "طهران للقدس" - يونا كوهين
أ.د. أحمد كامل راوي 41

سياسات الاحتلال الإسرائيلي وتأثيرها على التعليم في مدينة القدس المحتلة
د. محمد فتحي شقورة 77

شرعنة الإرهاب وقتل الفلسطينيين في فكر جماعة "تاج محير" اليهودية
دراسة فقهية تأصيلية
في ذكرى إحراق الطفل المقدسي محمد أبو خضير
الباحثة- إيمان كامل محمد عبد الجواد 97

تقرير عن اجتماع هيئة مجالس جامعة القدس السادس والعشرين بعنوان
"البحث العلمي في خدمة المجتمع"
العقبة/ المملكة الأردنية الهاشمية
إعداد مجموعة من الباحثين الشباب
تحت إشراف أ.د سعيد أبو علي
- صلاح الشميري - شريفة شودار - معتصم الشوا 121

أبحاث ودراسات

الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية
من الكفاح الوطني العام إلى الكفاح التنموي المحلي
وبناء السيادة من أسفل
د. وليد سالم 141

القدس في الخطاب السياسي عند بنيامين نتنياهو
وانعكاساتها على نتائج الانتخابات الإسرائيلية
د. رانيا فوزي 169

أعلام ومعالم

الحرم القدسي الشريف
د. خالد عزب 197

عيون مقدسية

القدس مدينة الأديان
د. هدى درويش 223

وقائع القدس

إطلاق مجلة "المقدسية"
برعاية وزير الثقافة اللبناني الدكتور محمد داود داود 229

المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

المشرف العام ورئيس التحرير

أ. د. سعيد أبو علي

أستاذ القانون العام والعلوم السياسية بجامعة القدس

الهيئة الاستشارية (أبجدياً)

أ.د. ابراهيم براش
أستاذ العلوم السياسية – جامعة الأزهر بغزة

أحمد قريع
الرئيس الأسبق لمجلس الوزراء الفلسطيني
ورئيس مجلس أمناء جامعة القدس

د. رمزي خوري
مدير الصندوق القومي الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية
ورئيس اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس

الشيخ عبد العظيم سلهب
رئيس مجلس الأوقاف والمقدسات الإسلامية في القدس

أ.د. عماد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

فاروق الشامي
رجل أعمال فلسطيني

الشيخ محمد حسين
مفتي القدس والديار الفلسطينية ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى

منيب المصري
رجل أعمال والرئيس السابق لمجلس أمناء جامعة القدس

مولاي الطيب الشرقاوي
رئيس المجلس الأعلى للقضاء ووزير الداخلية الأسبق

البطريرك ميشيل صباح
بطريرك اللاتين السابق في القدس

د. نبيل العربي
الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية

د. وصفي الكيلاني
المدير التنفيذي للصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى
وقبة الصخرة المشرفة

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حسن دويك
نائب رئيس جامعة القدس

د. صفاء ناصر الدين
نائب رئيس الجامعة لشؤون القدس

أ. د. وديع ادريس سلطان
عميد الدراسات العليا بجامعة القدس

د. إلهام الخطيب
عميد البحث العلمي

أ. د. صلاح هودلية
أستاذ الآثار والتراث الثقافي بجامعة القدس

د. يوسف النتشة
أستاذ التاريخ والعمارة الإسلامية بجامعة القدس

أ.سركيس أبوزيد / لبنان
صحافي وكاتب وناشر

الأباتي أنطوان ضو / لبنان

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: 4 باب الملك فيصل، البلدة القديمة
الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu
هاتف رقم: 00972-02-6287517
فاكس رقم: 00972-02-6284920

جامعة القدس أبو ديس

صندوق البريد: جامعة القدس، الحرم الرئيس – أبو ديس، صندوق بريد 89
الموقع الالكتروني: www.alquds.edu
للاتصال بالحرم الرئيس – أبو ديس
هاتف رقم: 2756200 - 02 - 00972
فاكس رقم: 2793817 - 02 - 00972

مجلة المقدسية

تنفيذ دار أبعاد

لبنان – بيروت – الحمرا – شارع البصرة
هاتف: 740495 - 1 - 00961
صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: abaaddar@gmail.com

الاشتراك السنوي في المجلة

داخل لبنان:	خارج لبنان:
للأفراد: $50	للأفراد: $100
للمؤسسات: $100	للمؤسسات: $200

يضاف إليها أجور البريد

الرقم الدولي /ردمك/

ISBN: 978-614-8041-13-6

المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها

القدس
بين شواهد التهويد وشواخص التهديد

أ.د. سعيد أبو علي
المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

بعيدًا عن السياسة الإنشائية أو التحليلية، وبعيدًا عن البلاغة والمواقف السياسية، عن البيانات، والإعلانات، والقرارات الدورية، القريبة والبعيدة، تفتح "المقدسية" نوافذها، على شواهد الواقع المعاش في القدس اليوم: حيث يستمر الصمود والمقاومة، واجتراح مختلف أشكال وإبداعات النضال، وتسخير كلّ الطاقات الممكنة لوقفة أبناء القدس وفلسطين في مواجهة التصعيد والتسريع الإسرائيلي المنهج والمعلن في تنفيذ تشريع ومخططات الاحتلال لاستكمال بناء الواقع المفروض بالقوة، استيطانًا وتهويدًا للمدينة في وضح النهار.

وعبر تلك النوافذ، تعرض "المقدسية" الوقائع المحددة، لشيء من مجريات الاقتلاع والتهجير والاستيطان، لنرى بأم العين ونسمع بالأذن المباشرة، فصول الحرب الإسرائيلية المعلنة على القدس، بكلّ ما فيها ولَهَا، وكل ما له صلة بعروبة القدس، وهي الحرب التي تزداد

كل يـوم حدّة وشراسة، اتساعًا وامتـدادًا، لتجابه هذه الحرب الشرسة، خارج دوائر الصمـود المقدسي العظيم، بالبيانات والتصريحـات والقرارات. فأمام شواهـد التهويـد لا تسمع إلا الوعيد ولا ترى غـير التهديد. وهذه بعض مشاهد تلك النوافذ 3790:

النافذة الأولى: اقتحام الأقصى في عيد الأضحى

صبيحـة يوم عيـد الأضحى المبـارك (بتاريـخ 2019/8/11)، تقـوم سلطات الاحتـلال بتحويل باحات المسجد الأقصى إلى ساحة حرب، بعد مهاجمة آلاف المصلـين بالقنابل الصوتيـة والأعيرة المطاطيـة والضرب بالهـراوات وكعوب البنـادق، وملاحقتهم في باحـات المسجد الأقصى وأروقتـه، لتأمين اقتحامات المستوطنـين في ذكـرى مـا يسمى "خـراب الهيكل"، بقـرار من رئيـس وزراء الاحتلال وقائد جيش الاحتلال بالمدينة.

قـوات الاحتلال وكبـار الضباط والمسؤولـين في شرطة الاحتـلال، تعتدي على المصلين المرابطين عند باب المغاربة "عقب انتهاء صلاة وخطبة عيد الأضحى"، ليمتد الاعتداء إلى كل الموجودين في المسجد وإخراجهم بالقوة من كل الأبواب، ومحاصرة المصلين داخل المصلى القبلي وإغلاق الأبواب بالسلاسل الحديدية، وتنفيذ اعتقـالات في الساحات، واستمر الحال على ذلك منذ ساعات الصباح الأولى حتى ساعات بعد الظهيرة.

في سابقـة خطيرة، ولأول مـرة منذ احتلال مدينة القدس عـام 1967، اقتحم مـا يزيد على ألـف وسبعمائـة وخمسـين مستوطنًـا المسجد الأقصـى بقيادة الحاخـام المتطرف يهودا غليك، بحجة إحياء ما يسمى "ذكرى خراب الهيكل" تحـت حماية شرطة الاحتلال، بعد صلاة عيـد الأضحى المبارك مباشرة، تلك الصـلاة التي شارك فيها نحو 100 ألف مصلٍّ جـاؤوا لمنع اقتحام المستوطنين الذي شاع خبره وصدّهم عنه، وقد سمحت شرطة الاحتلال رغم ذلك لقطعان المستوطنين باقتحامه، وسط مواجهات مع المصلين، أسفرت عن إصابة خمسة

وستين مواطنًا بالأعيرة المطاطية وقنابل الغاز والصوت، بينهم نساء وأطفال.

واستخدمت شرطة الاحتلال أثناء عمليات الاقتحام والتي امتدت لساعات بعد الظهـر، وشارك فيها عضوا الكنيست المتطرفـان "يهودا غليك وآوري آرئيل"، أجهزة تشويش إلكترونية، وذلك لمنع نقل الأحداث الجارية بالصوت والصورة، وسبق ذلك تسيير المستوطنين لمسيرات استفزازية في منطقة باب العامود وباب حطـة، حيث قابـل المقدسيون تلك المسيرات بتكبيرات العيـد، ما دفع الشرطة الإسرائيلية للاعتداء عليهم وتفريقهم.

وفي السياق، أعلن وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي "جلعاد إردان" تبنّي حكومته فرض التقسيم المكاني والزماني في الأقصـى، من خلال السماح للمستوطنين بالصلاة بشكل جماعي داخل مكان مغلق أو مفتوح، في الأوقات التي يريدونها، ويقصـد بذلك مصلى بـاب الرحمة، الـذي اقتحمته شرطـة الاحتلال مرتين خـلال شهـر آب/ أغسطـس 2019، وأخرجـت منه بعض أثاثه، مـن خزائن وقواطـع خشبية، وقامت بسرقة حجر أثري من علـى سطحه، واقتحم المسجد الأقصـى خـلال شهر مضى نحـو (4183) ما بـين مستوطن وطـلاب معاهد تلمودية وموظفي آثار ومخابرات، بعضهم من أنصـار بناء "الهيكل" المزعوم من خلال ارتدائهم ملابس مرسومًا عليها هدم قبة الصخرة وبناء "الهيكل"، ويعتبر هذا كأعلى رقم مسجل لاقتحامات الأقصى منذ مطلع العام.

فيمـا قوبلت تصريحـات، وزير "الأمـن الداخلي" في حكومـة الاحتلال غلعاد أردان، التـي دعـا فيها لتغيـير "الوضع القائـم" في المسجـد الأقصى المبارك بإدانـة رسمية وشعبية فلسطينية، واعتبروها بمثابة إعلان حربٍ دينية ستؤدي إلى إشعال المنطقة بأسرها.

وحمّـل الجانب الفلسطيني الحكومـة الإسرائيلية لرئاسـة بنيامين نتنياهو المسؤوليـة الكاملـة والمباشـرة عن جميع محـاولات تغيير الوضـع القانوني والتاريخـي القائـم في المسجـد الأقصى المبـارك منذ ما قبـل الاحتلال في

عـام 1967 وعن خرقهـا الفاضح لكل القوانين والأعـراف الدولية والدينية والإنسانية، دون أدنى اعتبار للقانون الدولي، كما صدرت مواقف عن الدول أعضاء جامعة الدول العربية وأمينها العام بهذا الشأن.

وأكـدت دائـرة الأوقـاف الإسلاميـة أن ما جـرى في الأقصـى أول أيـام عيد الأضحـى هو كسر لقـرار "الأستيكو" الذي ينصّ علـى إغلاق الاقتحامات في الأعيـاد الإسلاميـة، وفي خرق آخر أيضًا تغيرت فـترة الاقتحامات الصباحية والتي تتم عادة من الساعة السابعة والنصف حتى الحادية عشرة، بينما بدأت يومها عند الحادية عشرة إلا خمس دقائق صباحًا حتى الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة، إضافة إلى فترة الاقتحامات بعد صلاة الظهر.

وتمكـن 1750 مستوطنًـا من اقتحام الأقصـى في أول أيـام العيد، وخصصت سلطات الاحتلال مسارًا خاصًّـا للمستوطنين للاقتحام، امتد من باب المغاربة حتى باب السلسلة "عدة أمتار فقط".

إثر ذلك وفي أول ساعتين بعد الأحداث وإفراغ الأقصى من المصلّين والحراس، منعـت شرطة الاحتـلال الدخول إلى المسجـد الأقصى، ثم أعـادت فتح بعض الأبـواب وسمحـت لموظفـي الأوقاف الإسلاميـة ولمن هم فـوق الخمسين عامًا بالدخـول إلى الأقصى، فيمـا أدّى المصلون "من تقـل أعمارهم عن الخمسين عامًا من الرجال والنساء" صلاتي المغرب والعشاء على أبواب المسجد الأقصى، ورابطوا على أبواب الأقصى رغم قمعهم وملاحقتهم.

النافذة الثانية: شهداء وجرحى

استشهد الفتى الفلسطيني نسيم أبورومي وأصيب آخر بجراح حرجة، برصاص الاحتلال الإسرائيلي قـرب باب السلسلة في البلدة القديمة في القدس المحتلة، بتاريخ 15 آب/ أغسطس 2019، بزعم محاولة تنفيذ عملية طعن، حيث أصيب شرطي إسرائيلي بجراح وُصفت بالطفيفة.

وحسب مصادر محلية من القدس، فإن الفتيين اللذين ينسب لهما تنفيذ عملية

الطعـن هما نسيب أبو رومي ومحمد خضـر الشيخ ويبلغان من العمر 14 عامًا، وهما من بلدتي العيزرية وأبو ديس إلى الشرق من مدينة القدس المحتلة.

وأكّـد متحـدث باسـم المركز الطبـي "شعـاري تسيديك" في القدس المحتلة، استشهاد أحد الفتيين مباشرة، فيما قال إن الآخر يعاني من جراح حرجة، ولا يزال يتلقى العلاج في غرفة العناية المكثفة.

وادّعـت الشرطـة الإسرائيليـة تعرض أحد أفرادهـا للطعـن في منطقة باب السلسلـة في البلدة القديمـة في القدس، ما أسفر عـن إصابة الشرطي بجراح متوسطة، وذلك رغم تأكيد المصادر الطبية التابعة لـ"نجمة داود الحمراء" أن جراح الشرطي طفيفة وتم علاجه ميدانيًا.

وأضافـت الشرطة إن عناصرها أطلقت النار باتجاه الطفلين اللذين وصفتهما بـ"المخربين"، وأضافت إنه "تم تحييدهما". وأرسلت شرطة الاحتلال تعزيزات أمنيـة إلى محيـط البلـدة القديمة وقامت بإغـلاق بوابات المسجـد الأقصى. ليحتشـد المصلون أمام البوابات ويـؤدوا صلاتي المغرب والعشاء خارج المسجد ويرابطون على أبوابه.

وأصيب خلال إطلاق النار العشوائـي حارس المسجد الأقصى عمران الرجبي برصاصـة في الفخذ، وأظهرت تسجيلات شرطة الاحتلال حول العملية إطلاق عشرات الرصاصات باتجاه الطفلين وهما مطروحان أرضًا دون حركة.

وتواصل سلطات الاحتلال احتجاز جثمان أربعة شهداء مقدسيين وهم: جثمان الشهيد مصباح أبو صبيح منذ شهر تشرين الأول 2016، جثمان الشهيد فادي القنـبر منذ شهر كانـون الثاني 2017، شهيد الحركـة الأسيرة عزيز عويسات منذ شهر أيار 2018، وجثمان الشهيد الطفل نسيم أبو رومي.

وفنّـد شهود عيان ادعاءات الاحتلال وقالوا إن مستوطنًا حاول اقتحام المسجد الأقصـى، وعندما قام الحراس بمنعه، قام بإطلاق النـار على قدم الحارس عمـران الرجبـي. وأضاف الشهـود إن شرطـة الاحتلال قامـت بإطلاق النار

باتجاه الحرس، ما تسبب بإصابة أحد عناصرها بالخطأ.

وقال شهود عيـان إن مستوطنًا وعناصر من شرطة الاحتلال أطلقوا النار على مجموعـة مواطنين بزعم طعن أحـد الجنود، وأصابوهم بجـروح، ومن بينهم حارس المسجد الأقصى عمران الرجبي الذي أصيب بقدمه.

من جانبها، أعلنـت وزارة الصحة الفلسطينية استشهاد مواطن وإصابة اثنين في القدس، أحدهمـا بجـروح متوسطة في الفخـذ، فيما لم تحـدد بعد طبيعة ودرجة خطورة وإصابة الثاني، وأفادت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بنقل أحـد المصابـين إلى مشافي القدس، في وقت منعت فيـه قوات الاحتلال طواقم الجمعية من الوصول لمصابين آخرين.

وجدير بالذكر أن القدس قدمت ثلاثة شهداء في الأشهر الثلاثة الأخيرة وهم: عمر عبيد وموسى أبو ميالة ونسيم أبو رومي إلى جانب عدد كبير من الجرحى. وإجمالًا وبعد إعلان ترامب في كانون الأول/ ديسمبر 2017 أن القدس عاصمة لدولـة الاحتلال، قدمـت فلسطين حـوالى أربعمائة وثمانين شهيـدًا وأكثر من خمسـة وثلاثـين ألف مصاب، ومن بـين الشهداء 102 طفـل و18 سيدة و6 من ذوي الاحتياجات الخاصة.

النافذة الثالثة: الإبعاد

وواصلـت سلطات الاحتلال سياسـة إبعاد الفلسطينيين عـن المسجد الأقصى المبارك، حيث رصد مركز حلوة إصدار 21 قرار إبعادٍ عن الأقصى لشبّان وفتية وإناث، وقرارًا بإبعـاد عن القدس القديمة، وأصدرت شرطة الاحتلال قرارات بإبعـاد عشـرة مواطنين عـن الأقصى لفترات تـتراوح ما بين أسبـوع إلى ستة أشهـر، من بينهـم سيدة وأحد حراسه وثلاثة أطفـال، وفي محاولة لاستهداف الرمـوز الدينية في مدينة القدس المحتلة، استدعـت شرطة الاحتلال كلًّا من: مدير الأوقاف الإسلامية الشيخ عزام الخطيب، ورئيس الهيئة الإسلامية العليا الشيخ عكرمة صبري، وكان ومن بين المبعدين الشيخ ناجح بكيرات نائب مدير

عام أوقاف القدس لمدة ستة أشهر.

وفرضت الحبس المنزلي على تسعة مواطنين، من بينهم طفلان، وأبعدت ثمانية مواطنين عن بلدتي العيسوية وسلوان والبلدة القديمة بمدينة القدس، وشملت تلك القرارات دفع غرامات وكفالات بلغت أكثر من 30 ألف شيقل، وفي شهر مضى، أبعدت سلطات الاحتلال 28 مواطنًا، بينهم امرأتان، عن المسجد الأقصى ومدينة القدس المحتلة؛ وأصدرت بحقهم قرارات بالحبس المنزلي وغرامات وكفالات مالية لإطلاق سراحهم.

النافذة الرابعة: الاعتقالات

رصدت التقارير الفلسطينية من القدس، 162 حالة اعتقال في مدينة القدس خلال شهر واحد، منها "طفل أقل من 12 عامًا و33 قاصرًا، و6 إناث". وأوضحت أن الاعتقالات تركزت في بلدة العيسوية، حيث اعتقلت قوات الاحتلال من البلدة 87 مقدسيًّا، تلتها اعتقالات من ساحات وأبواب المسجد الأقصى، وبلدة سلوان، إضافة إلى اعتقالات متفرقة من بقية البلدات والأحياء بالمدينة.

وأن من بين المعتقلين -والذي لا يزال قيد الاعتقال والعلاج في المشفى- الفتى محمد خضر الشيخ 16 عامًا.

واستدعت مخابرات الاحتلال رئيس الهيئة الإسلامية العليا الشيخ الدكتور عكرمة صبري، ومدير عام أوقاف القدس الشيخ عزام الخطيب، وتم التحقيق معهما عدة ساعات في مركز "المسكوبية" بالقدس الغربية.

وفي المعتقلات، أوقف الأسير حذيفة حلبية من بلدة أبو ديس إضرابه المفتوح عن الطعام بعد (67) يومًا من الإضراب، وكان في الأول من أيلول، أضرب عن الماء أيضًا، ودخل الأسير مرحلة الخطر الحقيقي على صحته، وتم نقله إلى مشفى "كابلان" بسبب وضعه الحرج الذي أجبره على تعليق إضرابه للمحافظة على حياته.

يذكر أن الأسير حذيفة حلبية أبٌ لطفلة خرجت للحياة وهو في الأسر، وسبق

أن عانى من مرض السرطان في الدم، وتعرض وهو طفل إلى حروق شديدة في جسده ما زالت آثارها واضحة عليه.

ويشـار إلى أن عـددًا من الأسرى أنهوا إضرابهم عـن الطعام خلال شهر آب/ أغسطس 2019 بعد التوصل لاتفاق يحدد سقف اعتقالهم الإداري.

وما زالت إدارة سجون الاحتلال تتبع إجراءات ممنهجة بحق الأسرى المضربين عن الطعام لإجبارهم علي تعليق إضرابهم، تمثلت في عزل الأسرى في زنازين لا تصلح للعيش الآدمي وحرمان عائلاتهم من زيارتهم، وعرقلة زيارات المحامين لهم ونقلهم المتكرر من معتقل إلى آخر، وإلى المشافي المدنية بواسطة ما تعرف بمركبـة "البوسطـة"، وسحب الفراش الأسير لمدة (12) ساعـة في اليوم، ما يدفـع الأسير المضرب للوقوف لفـترات طويلة أو الجلوس علـى الأرض أو على حديد "البرش" (السرير الحديدي).

بالإضافة إلى مواصلة السجانين استفزاز الأسرى المضربين بشكل مستمر، من خلال جلب الطعام الشهي قربهم والتعمد بتناوله أمامهم، وبإجراء التفتيشات المتكررة وتحديدًا خلال ساعات الليل، للضغط عليهم في الجانب النفسي.

النافذة الخامسة: القمع

صعـدت سلطـات الاحتلال مـن استهـداف النشاطـات والفعاليـات الوطنية الاجتماعية في مدينة القدس، وأصدر وزير الأمن الداخلي في حكومة الاحتلال جلعاد أردان قرارات بمنع ست فعاليات بالمدينة.

ورصـدت التقاريـر منع حفل تأبـين الراحـل المقدسي الدكتـور صبحي غوشة باقتحام قاعة مركز بيـور في القدس، ومنع حفل تأبين للرياضي الراحل أحمد عديلة، باقتحـام جمعية الشبان المسيحية في المدينة، ومنع إقامة دور العائلات المقدسيـة في ملعب برج اللقلق بالقدس القديمة لمرتـين، الأولى منتصف شهر آب/ أغسطس 2019 والثانية اليوم الأخير من شهر آب/ أغسطس 2019، ومنع تنظيـم بطولة رياضية بمناسبة رأس السنـة الهجرية، وكان من المقرر إقامتها

علـى ملعب بلدة العيسوية، ومنـع ورشة عمل قانونية حـول "إشكالية البناء في مدينة القدس"، باقتحام قاعة في برج اللقلق".

وتقمـع سلطـات الاحتلال هـذه الفاعليات بحجـة رعايتها من طـرف السلطة الوطنيـة والفلسطينيـة، في الوقت نفسه الـذي تلاحق فيه بالتوقيـف والإبعاد والاعتقـال الشخصيات الرسمية المقدسية بمن فيهـم محافظ القدس عدنان غيث ووزير القدس فادي الهدمي.

واستمـرت حملة "الاعتـداءات والعقـاب الجماعي" في بلـدة العيسوية، والتي بـدأت في شهر حزيران/ يونيو 2019، وأوضح مركز حلوة أن سلطات الاحتلال بمؤسساتهـا المختلفـة واصلـت الاعتـداء علـى سـكان بلـدة العيسويـة، حيث الاقتحامـات اليوميـة والتواجد علـى مدار الساعـة في أحياء وشـوارع البلدة، ونصـب كمائـن على مدخل البلدة وداخـل الشوارع، واقتحام المنـازل السكنية وتفتيشهـا وتفجـير أبوابها، حيث فجـرت قوات الاحتلال الخاصـة باب منزل واعتقلت طفلًا بينما كان يتواجد فيه مع أشقائه الأطفال.

النافذة السادسة: الهدم

تحدث التقرير عـن قيام قوات الاحتلال بهدم 11 بناية سكنية (تضم عشرات الشقق السكنيـة) في منطقة وادي الحمص في قرية صور باهر بمدينة القدس المحتلـة، تنفيـذًا لقـرار محكمـة الاحتـلال القاضي بهـدم 16 بنايـة سكنية، بحجـة قربهـا من جدار الضـم والتوسع، وتقـع معظم المباني التـي تم هدمها ضمن المنطقـة المصنفة (A) تحت السيادة الفلسطينيـة الكاملة حسب اتفاق (أوسلـو)، وحاصلة علـى تراخيص من قبل وزارة الحكـم المحلي، كما هدمت قـوات الاحتلال منـزلًا في بلدة بيت أمـر، وأساسات بناية في قريـة السواحرة الشرقية.

واصلـت سلطات الاحتلال هدم المنشآت السكنيـة والتجارية في مدينة القدس خـلال شهر آب/ أغسطـس 2019، ورصد هدم ثماني منشـآت في القدس، "2

منها (هدم ذاتي) بأيدي أصحابها بقرار من بلدية الاحتلال".

فقد أجبرت سلطات الاحتـلال الإسرائيلي المواطن محمد العباسي، على هدم منزلـه ذاتيًّا، في حـي واد قدوم من بلدة سلوان بالقدس المحتلة. وقال العباسي "إنه شرع بمواصلة عملية هدم منزله ذاتيًّا، بعد تسلّمه أمرًا إجباريًا من بلدية الاحتـلال، وإلا ستهمله جرافـات الاحتلال". وقامت عائلة العباسي بهدم جزء مـن المنزل تجنبًا لتكاليف الهـدم الباهظة إذا قامت قـوات الاحتلال بالهدم. وأوضحـت التقاريـر أن الاحتلال هدم خـلال شهر آب/ أغسطـس 2019 ستة منازل سكنية، 1 بركس، 1 سور.

كما واصلت طواقم بلدية الاحتلال إصدار أوامر الهدم وإيقاف البناء في البلدة.

النافذة السابعة: الاقتحامات

أفاد تقرير نشره "مركـز القدس" للدراسات، بأن 3380 "إسرائيليًا" اقتحموا باحـات المسجـد الأقصى المبـارك بمدينة القدس المحتلة، خـلال شهر آب/ أغسطس 2019. وأشار المركز في تقريره بتاريخ 1 أيلول/سبتمبر 2019، إلى أن عناصـر في جيش وشرطة الاحتلال شاركوا، بلباسهم العسكري، في اقتحامات الأقصـى. وبيّن أن عـدد المستوطنين المقتحمين للأقصى بلـغ 3180، بالإضافة لـ150 مـن طـلاب "الهيكل" المزعـوم، ومن بـين المقتحمين وزيـر الزراعة في حكومة الاحتلال أوري أرئيل.

ورأى المركـز، أن ازدياد اقتحامات الأقصـى يشير إلى أن "الصهيونية الدينية باتـت مؤثـرًا كبيرًا على سـير الحكومـة الإسرائيليـة"، فقـد استطاعت هذه "الصهيونية الدينية استغلال الظروف الحالية بزيادة الاقتحامات إلى الحد الأكبر الذي تطمح له، وربما حاولت فرض التقسيم في الحرم القدسي".

النافذة الثامنة: الاستيطان

كما صادقت سلطات الاحتلال على بناء 200 وحدة سكنية في مستوطنة "متساد" التـي تعتبر غير قانونية حسب المعايير الإسرائيلية، بالإضافة إلى الموافقة على

سريـان مخطط لبناء 100 وحدة سكنية في مستوطنـة "إيبي هناحال"، اللتين تقعان في التجمع الاستيطاني "غوش عتصيون".

فيمـا صادقت لجنـة التخطيط والبنـاء المحلية الإسرائيليـة في مدينة القدس المحتلة على خطتي بناء 641 وحدة استيطانية على طريق الخليل في المدينة من خـلال بناء أبـراج سكنية ضخمة، بالإضافة إلى مبنـى صناعي ومراكز رعاية صحيـة وكنيس يهودي، بالإضافة إلى بنـاء 254 وحدة استيطانية في مستوطنة "بسغات زئيف" القائمة على أراضي المواطنين في القدس.

كمـا قامـت بالاستيلاء علـى أحد عشر دونمًا مـن أراضي بلـدة بيت حنينا في القدس، فيما قامت جرافـات الاحتلال بعمليات تجريـف الأراضي في منطقة المخرور شمال غرب بيت جالا في محافظة بيت لحم؛ بهدف شقّ نفق يوصل بين القدس ومجمع مستوطنـة (غوش عتصيون) بمسافة تصـل قرابة الكيلومتر، وذلك في إطار توسيع الشارع الالتفافي رقم (60).

وصادقـت بلديـة الاحتلال على خريطـة جديدة لحي رأس العامـود، واستولت عصابـات المستوطنـين علـى قطعة أرض تعـود لعائلة أبو ذيـاب في بلدة سلون بمساعدة شرطة الاحتلال.

تحـدث التقريـر عـن عرض بلديـة الاحتـلال في مدينـة القدس لمخططات بنـاء 2000 وحـدة سكنيـة استيطانية ومشاريـع بنية تحتية في حـي "راموت" الاستيطاني في مدينة القدس، بهدف تلبية الاحتياجات السكنية للمستوطنين، كمـا وافقت الدولة علـى مخطط لبناء برجـين سكنيين يتضمنـان 216 وحدة سكنيـة استيطانيـة في مستعمرة "جيلو" جنـوب مدينة القدس، وقدم رئيس حكومـة الاحتلال خطة لما يسمى المجلس الوزاري المصغر "الكابينت" تتضمن بنـاء 6000 وحدة سكنيـة استيطانيـة في مستعمرات الضفـة الغربية المحتلة، و2000 وحدة سكنيـة استيطانية في مستعمرات القدس المحتلة، مقابل السماح للمواطنين الفلسطينيين بالبناء في مناطق (ج)، في إطار الدفع قدمًا بما يسمى

"صفقة القرن"، وبالتنسيق الكامل مع الإدارة الأميركية. وقد بلغ الاستيطان في محيط القدس المحتلة مستويات قياسية في عهد إدارة ترامب، حيث أظهرت معطيات جديدة وثّقها تقرير الاستيطان الصادر عن المكتب الوطني للدفاع عن الأرض التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن البناء الاستيطاني في محيط مدينة القدس المحتلة وصل منذ فوز دونالد ترامب في انتخابات الرئاسة الأميركية إلى مستويات قياسية مقارنة بالأعوام العشرين الأخيرة.

وأشار التقرير الذي يغطي الفترة من 24-30 من شهر آب/ أغسطس2019، إلى أن حكومة الاحتلال الإسرائيلي رفعت من وتيرة البناء الاستيطاني في محيط مدينة القدس المحتلة في عهد إدارة ترامب، وسط تبدل في تعاطي البيت الأبيض سياسيًا مع النشاطات الاستيطانية المخالفة للقوانين الدولية في الضفة الغربية المحتلة، علمًا أن الإدارات الأميركية السابقة عكفت على اعتبار الاستيطان عائقًا أمام "عملية السلام" في الشرق الأوسط.

وبيّن التقرير أن إدارة ترامب غضّت الطرف عن النشاط الاستيطاني في الأرض الفلسطينية، حتى إن وزارة الخارجية الأميركية أوقفت في نيسان/ أبريل 2019، استخدام تعبير الأراضي المحتلة، في إشارة إلى الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية.

ووفقًا للتقديرات، فإن إسرائيل أقامت منذ احتلال مدينة القدس الشرقية عام 1967، عشرات المستوطنات في محيط مدينة القدس وأقامت فيها أكثر من 55 ألف وحدة سكنية على أقل تقدير، فيما طرأ خلال الفترة بين العامين 2017 و2018، عقب فوز ترامب بالانتخابات الرئاسية الأميركية تصاعد هائل في وتيرة البناء الاستيطاني في المدينة المحتلة، حيث تمت المصادقة على بناء 1861 وحدة استيطانية جديدة، بارتفاع يبلغ 58 بالمئة مقارنة بالعامين 2015 و2016 في ظل تفاوت كبير في تراخيص البناء الممنوحة للمقدسيين، الذين تتجاوز نسبتهم الـ38 بالمئة من مجمل سكان القدس، ولم تتجاوز نسبة تصاريح البناء التي وافقت عليها لجنة التخطيط والبناء التابعة للحكومة الإسرائيلية

في بلدات وأحياء القدس المحتلة 5, 16 بالمئة فقط من مجمل تراخيص البناء.

وفيما يسمى اللواء الأوسط في إسرائيل وامتداداته الاستيطانية في الضفة الغربية، قررت اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء إيداع مخطط هيكلي لمستوطنة "موديعين" التي تمتد داخل الضفة الغربية وتصل حدود بلدة بيت سيرا في محافظة رام الله، يتضمن بناء 43 ألف وحدة سكنية، وذلك في إطار سياسة طويلة المدى للمستوطنة التي بنيت قبل عشرين عامًا إلى نحو ربع مليون مستوطن، وتضم الآن 23 ألف وحدة سكنية ويقطنها نحو 89 ألف مستوطن.

ووفقًا للمخطط الجديد الذي أعدته بلدية المستوطنة مع وزارات حكومية ومؤسسات وجمعيات استيطانية، فإن عدد سكان المستوطنة سوف يتضاعف عدة مرات. ويشتمل المخطط إلى جانب الوحدات السكنية بناء مركز تجاري ضخم ومركز طبي ومركز أكاديمي وسكة حديد وتحسين الشبكة الداخلية لطرق المستوطنة وشوارعها. وكانت اللجنة اللوائية للتخطيط والبناء في اللواء الأوسط التابع لما يسمى إدارة التخطيط الإسرائيلية قد صادقت قبل ثلاثة أعوام على مخطط بناء 4200 وحدة استيطانية جديدة في "موديعين" 1050 وحدة استيطانية، منها صغيرة ومعدة للأزواج الشابة ومناطق تجارية وصناعية بمساحة 23 ألف متر مربع، على مساحة 1140 دونم إلى الغرب من طريق رقم 3.

النافذة التاسعة: التهويد

وفي القدس، تواصل جمعية العاد الاستيطانية وسلطة آثار الاحتلال، توسيع وتعميق الحفريات جنوبي المسجد الأقصى في منطقة القصور الأموية، حيث تقوم سلطة الآثار بأوسع عملية حفر وتنقيب واستهداف أساسات المسجد الأقصى، وتنقل كميات كبيرة من الأتربة بحاويات مشابهة لتلك الحاويات التي تنقل الأوزان الثقيلة، وتقوم بإخراجها من باب المغاربة، حيث تقف عند مدخل ساحة البراق حاويات مغطاة، وتستمر هذه العملية حتى ساعات الليل وهناك

أصـوات حفر ونقل للأتربة من المنطقة الغربيـة الجنوبية، كما يبدو، استكمالًا للحفريـات التي تجريها دائرة الآثار مع جمعيـة "العاد" الاستيطانية في النفق الجنوبـي الذي يطلق عليه مركز الزوار في وادي حلـوة إلى داخل أسوار البلدة القديمة أسفل المسجد الأقصى باتجاه ساحة البراق.

فيمـا افتتحت سلطـات الاحتلال بمشاركـة سفير الولايات المتحـدة الأميركية "دافيد فريدمان" ومبعوث البيت الأبيض للشرق الأوسط "جيسون غرينبلت" الشـق الأول من النفـق المسمى "طريق الحجاج"، والذي يبـدأ من شارع العين إلى منطقـة طريـق وادي حلوة في حي سلوان، بطول 350 مترًا وعرض 7 أمتار، ليصل إلى ساحة باب المغاربة في البلدة القديمة بمدينة القدس.

علـى صعيـد متصل، وضمن مساعـي الاحتلال الرامية لتهويـد مدينة القدس المحتلـة، يعتـزم وزيـر الخارجيـة الإسرائيلي يسرائيـل كاتس، جمـع وتقديم تبرعـات مالية لدول أجنبية، بهدف تشجيعها على نقـل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس. وهذه التبرعات من المتوقع أن تأتي من يهودٍ مانحين وجهاتٍ أخرى مـن مختلف دول العـالم، وستتيح لكاتـس تشجيع الدول على فتـح سفارات في القدس، والتي قالت سابقا إنها تمتنع عـن ذلك بسبب نقص التمويل. وحسب بعض المصادر، فـإن النائب العام لأمـور وزارة الخارجية وافـق على المبادرة لتصبح قرارًا حكوميًّا، مشيرًا إلى أن هدف كاتس أن ينقل أكبر عدد ممكن من السفـارات إلى القدس. ورجح أن يتم جمع التبرعات خلال احتفالات إسرائيل بالذكـرى السبعين لإقامتها. وكانت صحفيـة "يسرائيل هيوم" العبرية الموالية للكيـود ورئيس الحكومة بنيامـين نتنياهو، قد كشفت نهايـة شهر تموز/ يوليو 2019 عـن خطة يعدها كاتـس بهدف الطلب من الحكومـة تمويل عمليات نقل السفارات.

وقامـت سلطـات الاحتلال بإخطـار أكثر مـن 20 منشأة بالهـدم والإخلاء في محيط مخيم قلنديا

وزعـت طواقم تابعة لبلدية الاحتلال في القدس بحماية قوات معززة من جيش الاحتـلال، بتاريـخ 21 آب/ أغسطـس 2019، إخطارات هـدم وإخلاء لمنشآت مواطنـين في محيط جدار الضم والتوسـع العنصري قرب مخيم قلنديا شمال مدينة القدس.

وقالـت مصادر أمنيـة، إن الطواقم وزعـت إخطارات هدم وإخـلاء لأكثر من عشريـن منشـأة تركزت في حي المطـار، الذي كان قد تلقـى أصحابة قبل أكثر من عام أوامـر مراجعة للمحاكم الإسرائيلية بخصوص منشآتهم، وتم توزيع الإخطارات بحجة عدم استصدار التراخيص اللازمة.

ويتعرض المخيـم لعمليات هدم متواصلة من قبل قـوات الاحتلال الإسرائيلي، حيـث تم تأسيـس المخيم في العام 1949، ويعدّ ثاني أكـبر مخيمات الضفة بعد مخيـم بلاطة، وقدم خلال سنوات نضاله أكثر من 72 شهيدًا ويقطنه أكثر من 15000 في مساحة لا تزيد على 353 دونمًا.

النافذة العاشرة: الضم

أصـدرت دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية، ورقة حقائق بعنوان "الهدم في بيت جالا وعملية الضم غير القانونية المتواصلة".

وبيّنـت الورقـة أنه بتاريـخ 26 آب/ أغسطـس 2019، داهمت قـوات الاحتلال الإسرائيلـي مواقع الـتراث العالمي لليونسكو في بتير/ المخـرور (المسجل باسم أرضـ فلسطين للزيتون والكروم- منظر طبيعي ثقافي في جنوب القدس، بتير) وهدمت مطعمًا ومنزلًا، مؤكدة أن هذا الهدم يشكل جزءًا من عملية إسرائيلية متواصلة لضم المزيد من أرض فلسطين المحتلة بشكل غير قانوني.

وفيما يلي بعض الحقائق التي جاءت في الورقة:

- تتمتـع منطقة بيت لحم الغربية بأهمية إستراتيجية هائلة لدولة فلسطين بسبب أهميتها الأثرية والزراعية والتاريخية والجغرافية.

- تعتبر إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، منطقة بيت لحم الغربية جزءًا مما يسمى مستوطنة "كتلة غوش عتصيون". إن تعريف "الكتلة" - وهو ليس مصطلحًا بموجب القانون الدولي، ولا تقبل به دولة فلسطين، هو بحد ذاته محاولة إسرائيلية لتطبيع سرقة ونهب الأراضي الفلسطينية. بمعنى آخر، تعني "الكتلة" شبكة من المستوطنات الاستعمارية غير القانونية داخل منطقة محددة تخطط إسرائيل لضمها.

- قامت إسرائيل بالفعل بضم أجزاء واسعة من بيت جالا ومنطقة بيت لحم بشكل غير قانوني إلى ما يسمى "بلدية القدس"، بما في ذلك المستوطنات الاستعمارية غير القانونية لكل من "جيلو وجفعات يائيل وهار حوما".

- في تموز/ يوليو 2017، قدّم أعضاء من الائتلاف الحكومي الإسرائيلي مشروع قانون إلى الكنيست الإسرائيلي من أجل توسع إضافي في أحادي الجانب "لبلدية القدس" التابعة للاحتلال نحو مناطق أخرى من الضفة الغربية المحتلة، بما في ذلك غرب بيت لحم "غوش عتصيون".

- في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2017، اعترفت الإدارة الأميركية بالقدس عاصمة لإسرائيل، ومنذ ذلك الحين، طبقت التعريف الإسرائيلي للقدس، بما في ذلك المناطق التي تم ضمها بشكل غير قانوني منذ عام 1980، بما يتعارض مع قرارات مجلس الأمن 476 و478 و2334 وقرارات أخرى.

ولا تشكل قضية بيت جالا المتمثلة في طرد عائلة فلسطينية من أراضيها قضية استثنائية، حيث إن الصندوق القومي اليهودي قد شارك مؤخرًا في تهجير العائلات الفلسطينية قسرًا من سلون، وهو يتمتع "بمكانة خيرية" في بلدان مختلفة، بما في ذلك الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الأوروبية.

ويقدم الصندوق القومي اليهودي التبرعات لمشاريع الاستيطان الاستعمارية معفاة من الضرائب على حساب دافعي الضرائب المحليين في تلك البلدان.

إن على دول العالم تحمّل مسؤولياتها من أجل منع الصندوق القومي اليهودي،

وأي منظمة أخرى، من جمع الأموال التي تسعى لترسيخ الاستعمار الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، والذي يعتبر جريمة حرب بموجب القانون الدولي.

الضم غير القانوني يحصل تلقائيًّا وبشكل فعلي على الأرض، بسبب استمرار السماح لإسرائيل بانتهاك القانون الدولي والإفلات من العقاب، الأمر الذي يدمر أي احتمالات متبقية للتواصل إلى اتفاق سلام يستند إلى مرجعيات السلام المعترف فيها دوليًّا، بما في ذلك حل الدولتين على حدود عام 1967.

بوابة النوافذ: ماذا بعد؟

فكيف إذا ما شمل هذا الضم، كما أعلن نتنياهو رسميًا، منطقة الأغوار التي تشكل ثلث مساحة الضفة الغربية بامتدادها من بيسان- طبريا إلى شمال البحر الميت- برية القدس فهل يتواصل الوعيد والتهديد ليشكل مظلة للتهويد؟ فماذا بعد؟

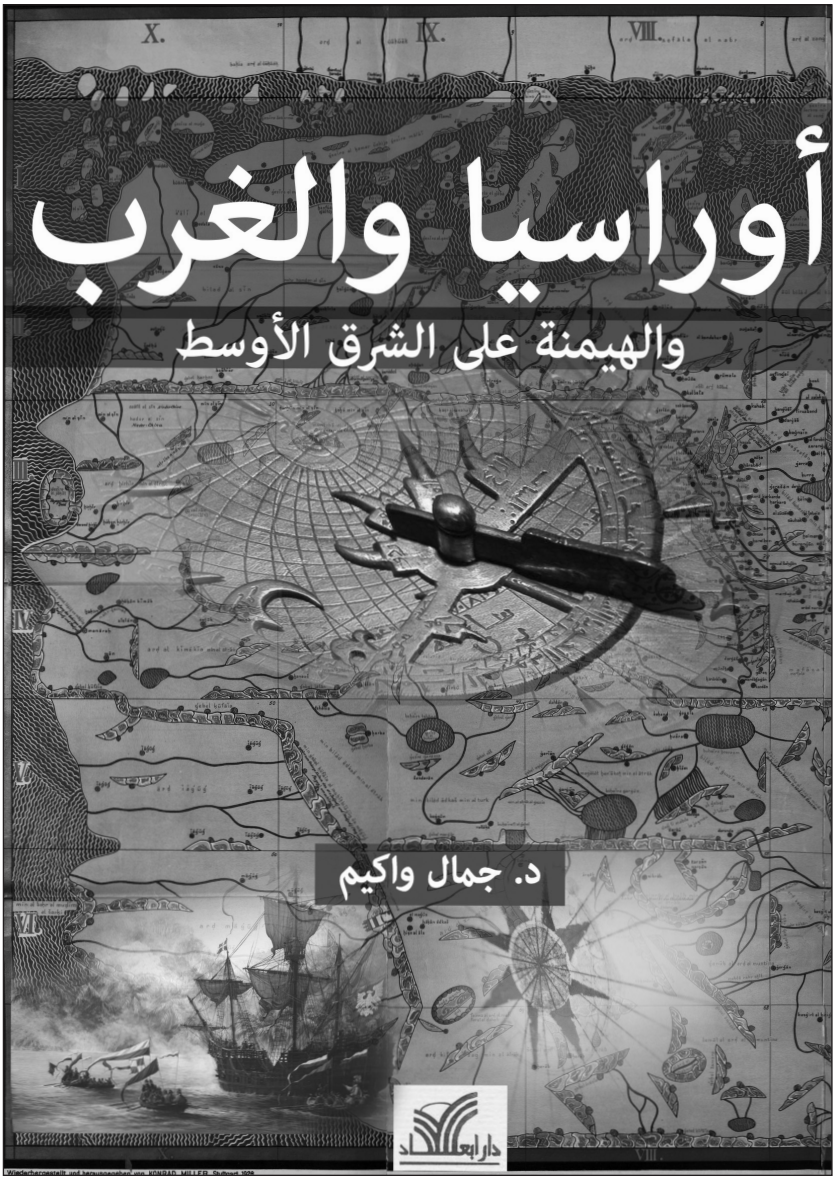

دار ابعاد للنشر

لبنان – بيروت - شارع الحمرا الرئيسي - بناية رسامني ط7

ص.ب: 7179 - 113 بيروت - لبنان

tel: 00961 -1- 751541

E-mail: abaaddar@gmail.com

نصوص

الرّباط في بابِ الأسْباط

المتوكل طه

مفكر وكاتب فلسطيني

فضاء الملحمة

يداه المُجَرّحتان، والخِرقةُ التي يلفُّ بها جسدَهُ الورديّ، وشَعرُهُ المسبول المُجعَّدُ قليلًا، وقامتُه الفارعةُ السُّنبليّة، وتواضع جلسته على حجارة المعصرة، والتلاميذ من حوله.. ولا شيء غير أنه نبيٌّ يعظ ويشرحُ، ويكاد اليمامُ يفردُ أجنحته ليقعَ الكلامُ الرسوليّ على الرّيش، كما تقعُ حبّات الماء الصافية، فيطير بها.. ليُبشّرَ مَنْ لم يشهدوا حلقات النبيّ، لعلّ الأرضَ تُصادف السلام والطمأنينة والمحبّة.

كان الحقل لجدّته أُمّ مريم، وثمّة ثماني زيتوناتٍ دهريّات، والحجارة ملساء تشرّبت الزيت المعصور، وبعض العشب الهائش القليل.. لقد كان المشهد طبيعيًا رعويًّا لا يشي بما سيحدث من تحوّلاتٍ كونيّةٍ، ومن عِبَرٍ ستقشعرُّ منها المعادن.

كان يعرف أنّ المائدة ستهبط من السماء، وأنّ يهوذا سيخونُه بثلاثين رنّانةً نجسة، وسيُنْكره تلميذُه المُحبّ، وسيكون عَرقُه دمًا مخثّرًا، وسيصعدون به إلى الجُلجلة.

كان بُستان جدّته مُهيَّأ ليكون غير كنيسةٍ وقبرٍ مُقدّس، ولم يكن في بال البنّائين أن كنيسة

الجُثمانيّة "المِعصرة- الجتسمانية" هي وسادة الجموع الذين حلّوا على التلّة المُقابلة، صعودًا إلى باب الأسباط الذي ينفتح ليستقبل الشمس كلّ شروق.

والصعودُ إلى الأسباط طريقٌ قد يتعدّى العشرين ذراعًا، على يمينه المقبرة اليوسفيّة (نسبةً إلى يوسف، وهو اسم الناصر صلاح الدين الأيوبي)، وعلى يساره مقبرة باب الرّحمة (نسبةً إلى اسم باب الرحمة المُغلق الواقع شرق سور القدس بمحاذاة المقبرة)، اللتان يغفو فيهما الصحابةُ الأحياء، ويتزاحم في قلبيهما الشهداء الأبرار. ويبدو واضحًا أنّ هذا المكان كتب اللهُ تعالى بيده تاريخَه الجليل، إذ أَسْكَنَ فيه أولياءه وصحابةَ حبيبه والذين صدَقوا ما عاهدوه عليه.

وفي 21 تموز/ يوليو 2017، وبعد أُسبوعٍ كاملٍ من إغلاق الأقصى ومنع المُصلّين من دخوله، تحوّل باب الأسباط إلى ميدانٍ رئيسٍ لاعتصام الفلسطينيين في القدس، احتجاجًا على الإجراءات الإسرائيلية بحقّ المسجد الأقصى، خاصةً إغلاقه ومنع الصلاة فيه، ووضع بواباتٍ إلكترونية على أبوابه، وهي الإجراءات التي اضطر الاحتلال لاحقًا إلى إزالتها.

وخلال أيام الرباط لأهالي القدس على أبواب المسجد الأقصى المبارك رفضًا لدخولهم إليه عبر بوابات الاحتلال الإلكترونية، كان اسم باب الأسباط هو عنوان هذا الرفض، حيث الصلاة الجماعية التي وصلت إلى قرابة سبعة عشر ألف مُصَلٍّ على أبوابه، واستفزاز الاحتلال للمرابطين والمُصلّين عنده، واندلاع المواجهات وإصابة العشرات منهم، والاعتقالات التي طالت عشرات الشبان وإبعادهم عن المكان.

كما فتح أكثر من خمسين ألفًا البوابات المُغلقة، وعبروا إلى المسجد مكبّرين مُهلّلين في مشهدٍ مَهيبٍ جامحٍ جليل، يُذكّرنا بفتح مكة المكرّمة، في اللحظة التي فقدَ فيها الجنودُ عقالهم، وراحوا يُمطرون الفاتحين بزخّاتٍ متتاليةٍ من القنابل الغازية والمدمعة والصوتية ورشقاتٍ متّصلةٍ من الرصاص، واستدعوا قواتٍ مدججةً جديدة، حاولت أنْ تقف في وجه الجموع، لكنهم -أي الجنود- أُسقط بيدهم من هَوْل ما رأوه ومن اندفاعة الفاتحين بصدورهم العارية وصرخاتهم المتصادية المدوّية.. فهربوا، بل اختفوا هم وبنادقهم.

ولعلّ كلمة السرّ في كلّ ما جرى هي نساء القدس، اللواتي بدأن رباطهنّ في الأقصى منذ عقود، وما زلن على حالهنّ في الساحات وعند الأبواب.. وكلّما أبعدوا إحداهنّ رجعت مُتخفّية، ومعها وجوهٌ جديدة.

وخـلال الأربعة عشر يومًا من المرابطة، أغلق الاحتلال بوابات الحَرَم الشريف، ونصب البوابـات الإلكترونيـة والكاميرات، فتجمّـع المرابطون على امتداد الطريـق من الجثمانية شرقًـا إلى بـاب الأسـباط غربًا، بـين المقبرتين، وكان ثمّـة مرابطون في طريـق المجاهدين وسـاحة الغزالي وصولًا إلى باب الواد.. اقتعدوا الطرقات المرصوفة بالحجارة الملسـاء.. إلى العتبات والأزقة المحيطة بكلّ مداخل الأقصى.

وكانوا هناك!

مانفيستو الاحتجاج

لقد شهدنا لعبةَ المجزرة، ولمسنا التعاقدَ المسعورَ بين ولاياتِ الموت وكيانِ المذابح، وكان الحـقُّ مزحـةً وحشيّة، ولم نحـظَ بعُزلةٍ مجيدةٍ تُـضيءُ حقولنا الروحيّة، لأنّ الهـواءَ الملغومَ فخّخته قوىً دمويةٌ وفاحشة.

وحُرِمنا من الفرح الذي يرتفع مثل السهام، فكانت بهجتُنا تسقطُ في عقولِ الجثث، لكنَّ قلوبَنـا لم تشعـر بالملل.. لأنها تغذّت عـلى النار! فَقُمنـا بتخصيبِ مشهدِنا بِجَـمالٍ مُقاوِمٍ جديد، ليبدأ عهدُ الضوءِ السماويّ.

وهيّأنـا لصغارِنـا نومَهم النقيَّ، وأحَطْناهم بالأغاني المُشرقـة، وكان لا بدّ لهذه المظلمةَ أن تنتهيَ مثلَ الدخان.

ومَن لا يريدُ أن يرتعش، فعليه أن يخطو.

كـان المطرُ عرقَنا، ودمُنا هو القوة، وألقينا أيدينا من السـماءِ إلى الجحيم، وحاربنا سَـحرةَ النـوم، والفـنَّ المُضـاد، وقلوبَ الموتـى، ووقفنا أمـامَ الذين يُـؤدّون الحِيَلَ ويسـتمرئون الشبهَة، وأولئك الذين يتمتعون بجودةِ القسوة.

كانت أفكارُنا تهربُ من وراءِ القضبان، وقلوبُنا ساخنةً مثل غيمةٍ ملتهبة، وتجاوزنا مرايا الغموض، التي لا يتألّق فيها أحد، وتجاوزنا الهاويةَ الداكنة.

لم نكـن نريـدُ أن نسـحبَ أحـدًا إلى نهرِنا، غـير أنّنا كنّا في حـربٍ مع التاريـخ، ومع جميع السـلطاتِ التي تُقيمُ في أشكالٍ فاشـيّةٍ ومخيفة، ومع ما يُقيّدُنا مع مخاوفِنا الخبيثة.. وأردنا لصورتِنا أن تكونَ ضدَ السـماء السـاكنة، لأن هدفَنا الأغلى والأعلى، كان وما زال هو قوّة

الحقيقة، مثلما أردنا أن ننامَ، فقط، لنُسَلِّمَ أنفسَنا للحالمين، كما رغبنا أن نلتقي غزالةً نعصرُ خصرَها مثل الأكورديون.. تحت زيتونةٍ تتربّعُ على كرسيّ الأبد.

باختصار، كانت لدينا قصتُنا القاسية الرائعة، ويكفي أننا انتصرنا على مَن كان ينظر إلينا كأنه ينظرُ إلى خطيئته، ذاك أنّ عينيه مليئتان بالسُّمِّ والهجران، واستطعنا أن نتخلّص من النهايةِ الخائبةِ بعسلِ التَجذُّرِ والرباطِ الشريف، وأنْ نُعليَ صورتَنا النجميّةَ في كرنفالِ صلوات الأسباط الصوفيّة الفذّة، التي استطاعت أن تجمع البدرَ ليكتمل ويصلحَ للطقوسِ الأخيرة. لم يأتِ أحدٌ ليجدَ القدسَ أرضنا صِفرًا، بل لديها إرثٌ باذخٌ، لم يتخثّر نُعمانُه، كصحنِ الجمر وبراعمِ الدمِ وسخونةِ البرق، لم نكن قطيعًا أو هائمين على السّراب، بل كانت لدينا حضارةٌ تتجلّى فيها النجوم ويتصادى فيها الإبداع الخلّاق الشامل، فكان الساحل منارةً للأُمم، مثلما كانت جبالنا أعراسًا للطيور.

وقصدتُ أن أُساهمَ في تأصيلِ الحقيقة الغاضبة، لتصبحَ سبيكةً قادرةً على المواجهةِ، وحفظِ الذاكرة في المدارِك، وطردِ اللامبالاة والعجز واليأس واللاشيء.

وأنا على يقينٍ أنّ الكتابة تتطلّبُ الحقيقة وليس الإخلاص، على أهميته. والكتابة حياةٌ مثلما أنّ الحياة عملٌ فنّيّ، وكلّما علمنا قلّ فهمنا.. إلّا هنا، فقد اكتملَ فهمنا وأصبح نهائيًا وحقيقيًا، خاصةً فهمنا لما جرى في القدس، ذاك أنّ ثمّة اثنين؛ مُحتَلًّا غاصِبًا قاتلًا، وصاحبَ البيت المقهور.. ولا داعي للشرح! فالصورة واضحة.. ويكاد الأعمى يراها.

قبل أيام الرباط

تمرّ من تحت أقواس البيوت القديمة، وتمشي على درب الآلام، وتُعرّج على فرن السمسم والجمر الناضج، وتصلّي على مصاطب النّارنج، وتسير حيث الأنبياء والأولياء، وترفع عينيك لترى ورود الشرفات التي تتدلّى مثل القناديل، فترى غيلانًا صغيرةً، تقدح بعيونها الناريّة.. وتفجعك الأشياء.

***

كلّما شقّوا فتحةً بين مداميك حجارة حائط البُراق لِيدسّوا أمانيهم الخائبة وتعاويذهم الخرافية، انطبقت الحجارةُ على بعضها، وتساقط الوَهْمُ تحت الأقدام.. وتأكدوا أنّ خريفَ التزوير يُذَرّي أوراقَ الفجور.

***

وكـان أنْ شربـوا من ينابيـع أُخرى غـير التي انفلقت مـن الحجارة، فأصبحـوا منكفئين ووثنيـين وخارجـين ومتعثّريـن في الظلام. وظلّـوا حفنـةً منعوفةً في الأمصـار، لم يجدوا السعادة ولم ينصهروا في السوق الكبيرة، ولم يتماهوا في أعراس الأُمم المُبهجة، بل ظلّوا في تيههم، يعيدون إنتاج السواطير والقيود على غيرهم من الضحايا، وما زالت عبوات الدم مرصوفةً في مطابخهم، يشربون منها صباح مسـاء! من فيلون، وصولًا إلى سرمد المدافع عن الشيطان، وحتى آخر قاتلٍ مهووس.

ولَعلي أسـتنيم لقول البسـطاميّ الصوفيّ فيهم: ما هؤلاء؟ هَبْهم لي، أيُّ شيءٍ هؤلاء حتى تعذّبهم؟ إنهم واقفون في الماء عطاشى..

وإنهم لعنة التاريخ،

ومصاصو دماء الأرض،

والمرابون مثل نارٍ نهمة.

***

منذ قرنٍ والأهل يقفون في بيت العزاء، والموتى لم يصلوا.

أين ذهبت كل تلك الدماء والأصوات وبيوت الحنّاء؟

تزوَّجَـت الأول فوقع شـهيدًا، فاقـترن بها الثاني، فارتفع إلى الفـردوس بدمه الغزير، وما فتئت تُوزّع الحلوى.

***

يكرهـون حروفنا ومياهنا وشـعيرنا وغيومنا وأحلامنا وبيوتنا وشـجرنا وغناءنا، ونحن نكره ما يفعلون.

***

بالرغم من كل تلك الخيانات لا تيأسوا، واصلوا العزف.

***

أرى عيونًا صغيرة ترى أحلامًا كبيرة، تقول: ستذهب الأيام الخشنة، وليالي الدم المحروق، وسيحلّ الحصاد الذهبيّ، ويبتسمُ النورُ في الظلام.

***

أنتِ حدودُ قلبي وأنا حدودكِ. أملي لا يُقهَر، وغرستي الشاحبةُ ستكون شلّالًا بين الغيوم، وستُصبح كلُّ المواسم ربيعًا، والسحاب على الجبال سُيولًا من الضوء. وأعرف أنّ ثمّة ساحراتٍ في الريح، لكنّ خيولي أتعبت الرياح! وهذا وَلدي الذي ثقب سهمُهُ طيورًا مُحلّقة وقطع سيفُه الضوءَ، لأنه أدرك أنّ المَرَح لم يحن بعد. والشخص الجاهل غالبًا ما يكون الأقوى. ولا يمكننا النجاة فقط لأننا جيّدون! ويعلم أنّ كلّ شيءٍ مُترابطٌ حوله مثل بيت العنكبوت، وقد تَدْهَمه الأشياء السيئة، وتأتي متكاتفةً يدًا بيد، لكنه تعلّم القراءة بتتبُّع حروف اسمكِ، وها هو ينادي عليكِ.. يا بلادي..!

خلال تركيب البوّابات

انفزع الغرباء، وتراكضوا، وأغلقوا بيوتهم بإحكام، وشَخَص الجنود إلى السماء. لقد نزلت الأُسُود المحفورة من على جدران باب الأسباط، وراحت تتبختر بحريّةٍ في المدينة.

***

قبائل قديمة أُبيدت وتحوّلت أراضيها إلى غبار، لأنهم تمسّكوا برَقْصةِ الأشباح الأخيرة، أي إنّهم كانوا يرقصون حتى يسقطوا.

أما نحن، فلدينا ما لا ينتهي من الرّقصات، وقد عادت إلينا الأرواحُ الرّعديّة.

***

كلُّ شيءٍ يبدو عاديًا وهادئًا، لولا الأشباح المُضمرة في العتمة.

***

كان فلاسفةُ النوم قد اطمأنّوا.. وظنّوا أنّ الصحوةَ مستحيلة! لكنّهم فوجئوا بأنّ التلّة التي يقفون فوقها هي فوّهة بركان، بدأ يتململ في الأعماق.. وها هو ينعف نثار يقظته الساخنة.

***

ثمّة نَسبٌ بين المُصلّين والشجر.

***

لن تكون حُرًّا إذا لم تركب الحصانَ الوحشيّ.. وتَطِرْ.

***

أيها الجنود! مهما كان البسطار سميكًا، فسيهترئ.. وسيبدأ أَلَمُ المسامير قريبًا.

أيها الجنود! أيتها الكائنات المُحطّمة! لا شيء لديكم هنا لتثبتوه.

أيها الجنود! العالَمُ سيكون أفضل من دونكم.

أيها الجنود! لقد نظرتم إلى السماء من جهةٍ خاطئة.

أيها الجنود! لقد سقطتم في امتحان الإنسانيّة، وصرتم تَصلُحون للهزيمة.

أيها الجنود! كيف تُحاربون مَن يعتقد أنّه على حقّ، ولا تهمّه الخسارة، لأنه لن يخسر غير قيوده؟!

***

قبل أن تقولوا: إنّ القدس عاصمتكم!! عليكم أن تفتحوا بالسواطير صدور الملايين لتخلعوا المدينةَ منها، وأن تُغلقوا أرحامَ النساء، وأن تهجّروا الطيورَ والفراشات، وأن تذبحوا الأغاني، وتطلقوا النارَ على النهار، وأن تطحنوا كلّ حجارة الطرقات والبيوت والمعابد وتنعفوها في المحيطات، وأن تحرقوا كلّ الكتب، وتخنقوا الحكايات، وأن تُنزِلوا السيّدَ المسيح من السماء وتصلبوه، وأن تصطادوا البُراق، وتهضموا الجبالَ في بطونكم، وتنفوا الزيتون من الأرض، وأن تمنعوا الشمسَ من الشروق، لأنّها لا تُشرق إلّا من أجل القدس، التي هي لنا، من قبل آدم وإلى ما بعد النشور.

***

رنَّت زغاريدُ الولادة في باب الأسباط! لقد جاء الفارسُ المُضيء، الذي تبعثهُ السماءُ على رأس كلّ قرنٍ، ليغسلَ طريق الآلام ويحرق إكليل الشوك.

***

عندما يخلق السّيئون شيطانًا، فإنّ الأشرار يولدون، لكنهم يصلحون للفناء والتلاشي.

أما الأخيار أصحاب المحراب، فإنّهم لا يجترحون غير الصلاة، ولا يصاحبون غير الملائكة، ولا يخلّفون إلا التراتيل والدموع، ولا يبدؤون النهار إلاّ بتشريع شبابيكهم للعصافير والياسمين، ولا يفتحون لياليهم إلاّ للأعراس والمناديل. وكلّ ما يريدونه الحياة، كما ينبغي لها أن تكون.

***

العيون الملهوفة الجافّة تتفقّد السماءَ، وتشخص إلى ربّ البيت؛ أنتَ السنَدُ الحارسُ أيّها العالي المُتعال! ليس لدينا سواك! أنوارك تملأ المكانَ والزمانَ، إلهنا.. إلهنا.. مَن سواك.. ومَن سواك!

***

ينادون العروسَ بالغناء، فتخرج النجوم.

مشاهد من الرباط

شابٌّ يصلي واقفًا يحمل صليبه بين جموع الساجدين. اعتقله الجنود، لاحقًا، وفي الزنازين رأوه على وقفته وهو يستقبل الأقصى.

***

النساء، في باب الأسباط، مخلوقات الضوء، والصوت السماويّ، وسلّة البذور المُعافاة المليئة بالنبض والبدايات.

وسلالُ القتلة محطّمة.. مهما ارتفعت للسماء، ستبقى فارغة.

***

لقد صلّى الخوري، يوم الأحد، وأعطى موعظته للمسيحيين في باب الأسباط، وعندما أقاموا صلاة الظُّهر، توقّف عن موعظته، وأمر المصلّين أن يبقوا في أماكنهم.

***

حملوه إلى العيادة النفسية، ذاك أنّ الجندي قد أقسم بأنّ الموتى نهضوا من المقبرة اليوسفية وتصدُّوا للجنود، وحملوا قنابل الغاز وألقوها بين أقدامهم.. ثم عادوا إلى القبور.

***

ها هم يُضرّجون الغيومَ بأقدامهم المُدمّاة وجماجمهم المُحطمّة، ولم يسقط العَلَم!

***

اندفع المرابطون وأعادوا فتح الأقصى، ولم يجعلوا الطرقات تنتظر أكثر من أربعة عشر يومًا!

كان الأمل يرعش ضوءًا في عيونهم، والرياح تغنّي ألحانهم، كأنَّ الحوريّات المُتيّمات على موعدٍ معهم في بستان الصلاة.. وخلاخيل البرق تُحيط بأقدامهنّ.

***

ربّما، رُبّما يضيع اسم هذا المرابط أو ذاك، في مكانٍ ما، في صفحات التاريخ، لكنّ الأقصى هو الناسُ والدفترُ السرمديُّ، وهو الشجرةُ التي تُعطي الظلَّ والثمرَ والنارَ، وهو تجربةُ الجَنَّة الأولى.. لنبلغَ الخلود.

***

طيورنا المنفيّة تتوق للعودة. لأنّ المنفى بلا أسماء أو طوطم أو ذكريات. والمنفى مليء بالجِنّ الشرير الذي يُدوِّم في الجهات المظلمة، ورياحه حمراء، واللعنة مُلقاة في طرائقه، ويترك المرارة على الشفاه، ويُبقي الأوجاع رطبة. والمنفى بطنُ العتمة، وساعة العُمر المحتضرة، ودموعه ملح، ولغته كلمات الهذيان الأخيرة.

***

لنا أكثر من مئتي جامعٍ وكنيسةٍ ومسجدٍ وديرٍ ومقام، منذ أكثر من ألف عام! ولا يوجد كنيسٌ واحد في كل المدينة وأرجائها، غير التي أقاموها قبل أسابيع فقط!

***

بَطنُها أمامها! إنها حاملٌ في شهرها الأخير، وكان عليها أن تخترق حاجزَ الجنود، لتصل إلى باب الأسباط. وربّما عَتب عليها المُرابطون، وقالوا لا تثريب عليها إنْ بقيتْ في بيتها! لكنهم كبّروا وقصدوا مكانها عندما مدّت يديها تحت عباءتها، وراحت تلِدُ الرايات وتُكوّمها.. بألوانها الواضحة أمامهم لتخفق عاليًا، وعلى مدّ البصر.

***

كانت البلدة القديمة تكتفي بالمسحّراتي "أبو الأمين" وهو يقرع طبْلتَه في هزيع ليالي رمضان المبارك. وقد فات شهران على الصيام، إلّا أنّ أبا الأمين وتسعةً آخرين عادوا يقرعون طبول الليل قبل صلاة الفجر، فتدوّي الأزقّة والجدران، وتستيقظ البيوت.. لتقصد باب الأسباط وتقيمَ صلاةَ الرباط، قبل حلول الخيط الأَسْودِ على المكان.

***

لم يكن غير مصوِّرٍ صحافيٍّ أجنبي، لكنَّ جنديًا هجم عليه وحطّم الكاميرا وانهال عليه من دون رحمة! لقد رآه وهو يلتقط صورةً للحَمام الذي حطّ على أكتاف المرابطين عندما وقفوا للصلاة.

***

لسنا على جزيرة العار، التي قيّدوا على صخرتها الشباب "العبيد"، الذين وُلِدوا تحت برج الأفعى، وساقوهم عُراةً إلى العالَم الجديد، فصاروا ملحَ البحر، بعد أن كان لهم سرير الرمل أراجيح وأعذاق، وأمست الأمواجُ أكفانَهم، وضجّ الأزرقُ المخيف بصوت جثثهم وبالسلاسل الصدئة. ولسنا خِرافًا بلا قرون، رغم أنّكم مثل أجدادكم المُذنِبين، تقفون خلف أسلحتكم المذخّرة، وتتمنطقون بالقنابل الغاضبة.. لكنّ شيئًا ما يتمسّك بنا نحن المُلَوَّنين، هو الحياة البيضاء، لمواجهة معرفتكم السوداء العنصرية البغيضة، التي ورثتموها من حفلات التطهير العرقيّ وسلخ فروات الرؤوس واغتصاب القاصرات.

***

نعم، إنها العروس بين جموع أهلها وأهل خطيبها، بثوبها المُطرّز البديع! وتقدّم الشيخ

وعَقَدَ قرانها وسط المرابطين المُهنّئين، وتشجّع الشبان وراحوا يرقصون، فَشَبَكَ الشيخُ يديه معهم وهو يقول؛ غَنّوا! ليعلموا أنّ في ديننا فُسْحة.

***

مَن الذي نَصَبَ المراجيحَ في الساحة، في اليوم الخامس عشر؟!

ها هي الضفائر تُلوِّح في الهواء، والفساتينُ الصغيرة تُطْلقُ بلالينَها الملوّنة في السماء، والجموع تهنّئ بعضها وتتعانق، والألعاب الناريّة تتفشّى ضياءً في سَقف المدينة، والدّفلى يطرق الأبوابَ ويترك أغصانه فوقها.

إنها قوّة الحياة في المدينة! ومساؤها أساورُ وكعكٌ وعطرٌ وليمونٌ وسُكَّر.

إنه العِيد.

***

قد يمنعك بريقُ شمس قبّة الصخرة من رؤية النجوم، لكنها قد هبطت جميعها في تلك الليالي، وانتظمت في أثواب المقدسيّات، اللواتي يبرقْن في العتمة، كلّما خَطَوْن نحو الحَرَم.. ليواصلن رباطهنّ الشريف في أنحائه.

***

نحن التاريخ والتحوّل الصبور، والتناغم الهادئ بين النجوم. ونحن العدلُ الذي سيغلب القتَلَة والأشياءَ التي تُسمّم السلامَ في أرضِ السلام.

***

إننا نحبُّ ما كُنّا تعلّمنا حُبّه. وزراعتنا الروحية مجيدة، وغريزة المقاومة مثل غريزة الفنّ.. بدائية دائمًا، وصادقة أبدًا.

***

إذا نظرتَ إلى شيءٍ يلمع مدةً طويلةً، فسيعمى بصرك بسببه! إلاّ قبّة الصخرة، فكلّما نظرتَ إليها توالدت في وجهك العيون.

***

الأُسود الأربعة المنحوتة على يمين باب الأسباط ويساره هبطت من نَوْمتها الحجريّة وأَقْعَت أمـام الجنود، وراحت تنفضُ عنها سـكون الأزمان، وها هي عيونهـا تقدح، ومخالبها تحتدّ، وزئيرهـا يتفشّى مثل هبوب البركان، وراحت تتقدّم بِحَذَرٍ وثقة، ولم يتمكّن الرصاص من خدش وَثَبَاتِها وهي تنهش الجنود وتخمش وجوههم المرعوبة.

***

كـان الصباح بانتظارنا! نِصفُه لنـا ونِصفُه لهم.. لولا أنهم آثروا العتمة وظلّوا غائصين في وحل الليل.

***

أَرجعَ مُطلّقته بعد أكثر من عام، يوم أن رأى الجنود وقد هجموا عليها وحطّموا هراواتهم على رأسها، فانطلق لحمايتها، وراح يتلقّى الضربات عنها، واصطحبها إلى البيت.

***

لقـد أقلـع عن الشراب! فهذا هو اليوم الثالث عشر مـن مرابطته، ولم يقصد الحانة.. وقد اكتشف أنّ الناس يُحبّونَه!

***

المسجدُ الجريحُ يُؤلِمُ الوطنَ كاملًا..

***

لقد لسَعَتْنا نارُ إغلاق البوابات لنُنقذَ المسجدَ من الحريق

***

الطيور الغريبةُ في القدس.. لن تُجيد الغِناء!

***

بعـد أيامٍ من الأحداث، جلس الضباطُ الكبارُ لاسـتخلاص العِـبَر ممّا جرى، ومكثوا في

مُـداولاتٍ عميقةٍ طويلة.. وأخيرًا نظروا إلى بعضهـم، ورموا الأقلام.. وكأنّهم قالوا: لا فائدة.. لا فائدة.

***

سـيفرِدُ حفيدُ أبي حامد الغزاليّ بسـاطَه، ويتربّع أمام تلاميذه، وسيطلب منهم أن يُنصتوا جيدًا ليسـتمعوا إلى الصلاة الممتدة.. وإلى قعقعة الأسـلحة التـي يذخِّرها جنودٌ غرباء.. وإلى ارتطام الصدور بالدخان وتصادم الأكتاف بالحديد.. وإلى تكبيراتٍ عمّت المكان.. وإلى صبيّةٍ تزوّجت عشرين رصاصة.

وسيسـأل العابرون إلى الأقصى: ما هذه الريح الزكيّة! ويقولون: إنّها دماء صبيّةٍ تزوّجت يوم الفتح.

***

الجنديُّ الذي مَعَسَ ببسطاره حوضَ النعناع أمام تلك الدار في باب حُطّة.. رجع وقدمُه تهرّ دمًا! لقد مزّقتها أشواكُ العوسج.

***

عندما وبَّخَ الضابطُ الجنودَ الهاربين. أجابوه: إنّ آلافًا مؤلّفةً يسيرون فوقنا في الهواء!! غير أولئك المندفعين على الأرض.. وكانت وجوههم لا تُرى، تماهَت مع الشمس!

***

عندما رأى رتلٌ من الجنود طفلًا يرسـم القبابَ والأبوابَ والأسـوار.. توقّفوا، والطفلُ يرسمُ غير آبهٍ بهم! فانتزعَ أحدُهم الرسمةَ ومزّقها، فابتسم الطفلُ أمام استغراب الجنود، الذين رأوا أنَّ الرسمةَ قد انطبعت فوق الحيطان، على امتداد الطريق.

***

خـلال أيـام إغلاق المسـجد كانت الأشـجارُ تتنـادى وتصطـفّ وراء الزيتونـة، وتُؤَمِّن خلفها، فصلاة الجماعة في الأقصى لم تنقطع، فالليمون والنّارنج والسّرو على وضوء دائم، والزيتون يحفظ القرآن الكريم، والقباب تُقيم الصلاة.

***

من الخطأ أن تخاف من الأشخاص الخطأ.

***

لقد جمعتم الألم وخلقتم منه عصابة.. ستقضي على الألم.

والألم مُدرّسُنا وعرّافنا، ويعلّمنا مَنْ سنكون.

***

الكوابيس ملأت الأنفاق، فلم يعد أيّ ضوء، نتغيّا الوصول إليه، إلاّ إذا صدّقنا أحلام الأغنية والألوان والحقائب.

***

يُطلق البرقَ من كفّه، وتمشي إليه المتاريس، وتقاتل معه الملائكة.. ويُطرّزه الرّصاص!

إنه خبز حياتنا الدّامي، وكأس الخلاص المُرّ، وفرحتنا الخانقة، وما تبقّى لنا..

نُطلق اسمه على الشوارع التي لم يمشِ عليها، ونرفع مُلْصَقَه للشمس، لعلها تشرق، غير مرّة، في النهار..

وما فتئ يتكوّر في الأرحام، لنطبع على وجهه قُبْلتنا الحارقة.

ونحلم لأن يكون زفافه على الأرض.

***

كلّما مزّقوا الوردة وخلعوا أوراقها.. يجمح الطوفان ويثور البركان ويجفل المحيط. وعندما يُمْعِنون في تعريتها.. تزدهر السخونة في الأبدان، وتلتفّ السنابل على هلال المنجل، وتحمل الأرضُ بالجدائل الميّاسة. وحينما يصل النّصل إلى الرّحيق، يكون الجَنين قد اكتمل، وأضاء الكون من جديد.

***

سنرفع أسماءهم على المفارق والأزقة والمشاعل.. وقد هتفوا فينا: اركضوا، لقد تعبنا من

المـشي. وها هي المدن السـاحلية تبكي عـلى أيام مَنْ كانوا.. وهاهي الصـورة المهشّمة ذاتها بلونها الباهت المُعتاد، معلّقة على حائط الدار. ومع أنهم هدموا الدار.. فقد بقيت الصورة.

***

سذاجة العاصفة أنها فائقة الوضوح وشرسة، وتطفو فوق اليابسة، ولا تُفرّق بين ما تلقاه، وربّما هي متورّطة بأشياء غامضة، لهذا تلبس ثيابها سريعًا وتخرج من بيتها.. ولا تعود.

شيء آخر!

ما هو؟

لا شيء سوى أن المدرسة علّمتنا أن ننحني لها! لكنّنا خيّبنا أملها.

***

النّعش الصغير، كان النعش الأثقل والأصعب.

***

عندما يموت شخص فاسد ينتهي حُكْمُه. وحينما يرحل شخصٌ صالح يبدأ حكمُه.

***

الفهـد الـذي كان يطارد الغـزلان في اللوحة المعلّقة على الجدار، هـو الذي هفّ مسرعًا، ووثب على الضابط الذي استباح البيتَ مع جنوده!

***

البعض مدفونٌ داخل جسده، ويكابر أنه حيّ!

بدليل أن سيفه يشرّ دمًا.. ويصيح!

***

يحدّق فيّ من خلف الأشياء!

وإني أرى جمرتيْ عينيه في قلب الظلمة الثقيلة.. ولم يرمش.

كلانا خائف، وكلانا تقدح نظراته الواسعة ويبحلق في الأشياء، ويصيخ السَّمْع لكل نأمة أو صوت.. وهو متحفِّز في وقْفته.

أنا إنسان، وهو ليس ذئبًا تمامًا.. لكنّها العتمة!

***

المُسَطّح الغامض الذي فزّ من نومه فصار يقظًا يحرس الغابة، بحكْمةِ الشيوخ، هو نفسه الذي لفّته الزوبعةُ، وأخذته إلى كهف الساحر السّاديّ، أو الكائن الخرافيّ، مَنْ يرصف عبوات الدم على رفوف منزله المسروق..

والمُسَطّح يحلم بمبذل الأسطورة أو بإطار الرموز، الذين أكلتهم القيود أو مضغتهم المعارك الطاهرة.. ولم يفطن بأنه في حمأة الكابوس، الذي سيتركه في الحاوية، ويترك لنا باقة الأحلام.

***

رذاذٌ خفيفٌ نظيفٌ يسّاقط على المرابطين؟!

إنها دموع الأنبياء المُعلّقين في الهواء!

***

هنا تجدُ الناسَ أحرارًا؛ في لغتهم الجسديّة، سلوكهم، كلامهم، نظراتهم، أغانيهم، وفي الصُّور، لهذا تركوا علامتهم الخاصة على صفحة التاريخ.

***

الطالبُ الجامعيُّ الذي التحقَ بالمُرابطين راح يُراجع دروسَه، فَسَأله رجلٌ هرمٌ: ماذا تقرأ يا ولدي؟

أقرأُ قصيدةً للإسبانيّ خورخيه مانريكا، يقول فيها:

"المعركةُ الوحيدةُ التي قاتلتُ ضدّها هي انعدام الأهميّة".

هزّ الرجلُ رأسه، وقال: هذا شاعرٌ يصلُح لنا.

***

من الصعب أن تكون شجاعًا.. إذا كنتَ وحدك!

فالجماعة هي الإشارة الخاصة التي يحتاجها الناس لكي يؤمنوا بقوّتهم الجسورة.

***

لقد حمَلَت بعد سنوات!

قالت: كنتُ أسند ظَهري إلى جدار البوابة، فجاءت، ومسّدت بيدها الشريفة على بطني، ثم صعدت مع الغيوم، غير أنّ مريم البتول قد غمزتني بعينها، وقالت: هذا سِرّنا!

***

الانتصار على الناس العزّل بالقوّة الباطشة.. مثل الرّقص بلا موسيقى! ارتباكٌ وترنُّحٌ وتعثُّرٌ وطَيشٌ وجنونٌ ولعثمةٌ مخمور.

***

العجوز التي كانت "تُحَوِّشُ" الحرامات والبطانيات ومفارش الحرير والوسائد لعُرْس ابنها.. حملتها كلها وفرشتها تحت أقدام المرابطين.

***

يصرخ على الجنود بالإنكليزية: هل هو تُركيّ، هنديّ، كرديّ..؟ ليس مُهمًا، فقد كان يهتف مع المرابطين بالعربية.

***

المُعلّمة التي استدعت طلبة مدرستها أوقفتهم صفوفًا، كما علّمتهم، وراحوا ينشدون معًا.. تحت عَلَمٍ واحد.

***

الفلّاحاتُ اللواتي يحملْن سِلالَ الخضار والفاكهة الموسميّة، ويعرضْنها للبيع.. في باب العمود على طول طريق باب الواد، ذهبنَ جميعهنّ إلى باب الأسباط، ورجعن سريعًا إلى بيوتهنّ في القُرى المجاورة. لقد نفدت بضاعتهنّ، وقَبضْنَ أثمانها ابتساماتِ شُكرٍ ودعواتٍ طيّبةً من الذين قَبِلوا هداياهنّ الطازجة.

وثمّة مَن يتربّص.. ليحطّمَ السلالَ ويبعثر ما فيها..

***

هجم الجنود على المراسل الصحافيّ الذي يُقدّم تقريره مباشرةً.. ودفعوه، وأغلق أحدهم بيده عين الكاميرا، فهاج المرابطون، وتعالت تكبيراتهم، فتراجع الجنود، الذين تعثّروا بخوفهم وتكوّموا على أنفسهم وارتبكوا.

فَعَادَ المرابطون ضاحكين! غير أنّ رجلًا بكى وهو يُهَمْهِم: كيف لهؤلاء أن يحتلّوا مسرى النبيّ؟!

***

بحثتْ عنه، وأخذتها الوساوسُ إلى الفَزَع.. أين ذهب؟

أسرعتْ نحو باب الأسباط لعلّها تجد ابنها ذا الأعوام الثمانية، فوجدته قد تعربَشَ على سور بيتٍ قريبٍ وحمل بيديه كرتونةً.. ليُظَلِّلَ بها على المُصلّين.

ابتسمت، والماء يفيض على وجهها.

***

لم تعد نساء "أواريس" يَحبَلْنَ من هَوْلِ ما شاهدنَ من فظائعَ مريرةٍ في الحرب، لكنَّ امرأةً من القدس بَقَرَتْ بطن "أبوفيس" المحتلّ، وولدت "أتحمس" الذي انتصر وغَنم السفن والفؤوس النحاسية والكثير من الزيوت والعسل، وضربت بحذاء "خروتشوف" على المنصّة العالمية. وها هي بابل تعود إلى حدائقها المعلّقة وشمعتها البيضاء، مثلما يركب الفندلاوي على حصانه ويرفع رايته في إيبلا الشام، وسيصل عمّا قريب إلى الكرنك، مرورًا بأرضٍ حُرّةٍ تتوسّطها القبّةُ الباذخة.

***

هـذه الدمـوع البيضاء من الغيوم السـوداء. ولا بـأس في أن يبكي الرجـال.. فرحًا! فقد سـطعت كلُّ الحجـارة فـورَ أنْ قبَّلَتها الأقدام أو لامسـتها جِبـاهُ الشاكرين السـاجدين، والسماءُ صافيةٌ.. على غير عادتها.

***

ليعلموا أننا لم نتحاسب مع جنوننا.. بعد!

***

ويبقى باب الأسـباط ضحكةَ فاطمـة وبُشرى مريم، ووجوهَ الضـوء التي أزالت الصدأ عن حجارة الخلود، وسيبقى تجربةَ العارفين الذين وصلوا إلى مجد النور، ليُتمّموا الوَصْلَ كاملًا، ولو بعد حين! فما زالوا في أرض السماء، وما فتئت تعازيمهم تُنبئ بالكَشْف..

وطوبى لأسباط المدينة.

توزيع دار ابعاد للنشر

لبنان – بيروت - شارع الحمرا الرئيسي - بناية رسامني ط7

ص.ب: 7179 - 113 بيروت - لبنان

tel: 00961 -1- 751541

E-mail: abaaddar@gmail.com

القدس في الأدب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين
من خلال مجموعة من «طهران للقدس» - يونا كوهين

أ.د. أحمد كامل براوي
رئيس قسم اللغة العبرية - كلية الآداب. جامعة حلوان

تحظى مدينة القدس بمكانة خاصة وقدسية لدى العرب والمسلمين منذ نشأتها وحتى يومنا هـذا، ويعـود الفضل في بنائها إلى اليبوسـيين، وهم بطن من بطون العـرب الأوائل، نشؤوا في جنوب الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية فاسـتوطنوا هذه الديار، وكان هذا حوالى سنة 3000 ق.م[1].

وجـاء أول وجـود لبنـي إسرائيل في القدس بعـد ظهورها بألفي عام، حيث اسـتولى عليها داود عليه السلام حوالي سنة 1000 قبل الميلاد. وجعلها عاصمة لحكمه لموقعها العسكري العظيـم.[2]، وكـان وجودهم وجـودًا عارضًا وبرهة لا تحسـب في عمر التاريـخ الزمني أو تاريخ القدس.

ومـن الجدير بالذكر أنه خلال الحكم الإسرائيلي ظلّ العرب اليبوسـيون، ويسـميهم العهد القديـم أحيانًـا بالإسـماعيليين، يعيشـون في مدينتهـم، ويمكـن القول إن العـرب لم تنقطع صلتهم بمدينتهم حتى في زمن الاحتلال الإسرائيلي الغابر.[3]

وقد تعاقبت على المدينة القوى العظمى التي ظهرت في المنطقة عبر العصور المختلفة، وظل الوجود العربي بارزًا في المدينة حتى فتح المسلمون القدس سنه 638 م، ومن الحقائق المسلم بها أن فتح المسـلمين العـرب للقدس لا يتعدى كونه تحريرًا عربيًّـا لأرض عربية كانت تقع

تحت أسر الاحتلال الأجنبي ضمن أراض عربية كانت تعاني من الاحتلال نفسه.[4]

وقد ظلت القدس إسلامية عربية وبقيت في أيدي العرب حتى كارثة فلسطين 1948، حيث استولى الغزاة اليهود على نصف المدينة الغربي، وكارثة 1967 والتي استولى في أعقابها اليهود على كل المدينة، أي ضموا إليهم القدس الشرقية والتي كانت في يد العرب.[5]

ونظرًا للمكانة المتميزة والفريدة التي تحتلها مدينة القدس المقدسة عند المسلمين والعرب، وبوصفها محور الصراع بين العرب والإسرائيليين، ونظرًا لمحاولات اليهود المستمرة والمكثفة لتهويدها وطمس حق العرب فيها، آلينا على أنفسنا الكشف عن صورة القدس في الأدب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين؛ بهدف الكشف عن مكانتها المزعومة لدى اليهود، ورؤية الأديب لواقع حياة اليهود في القدس، وبحث دعوى الحق الديني والتاريخي، والكشف عن رؤية الأدب المكتوب لهذه المرحلة العمرية للصراع العربي الإسرائيلي على مدينة القدس. وقد بات هذا الأمر ضرورة دينية وقومية في ظل المواجهة الراهنة مع العدو الإسرائيلي الغاشم والرامي إلى اغتصاب القدس العربية وإطلاقه المزاعم الباطلة لتبرير ما يقوم به.

وعن اختيار الأدب المكتوب للصبية –الشباب في مقتبل العمر– فيرجع إلى:

–أهمية تلك المرحلة وأهمية الأدب الذي يكتب لها؛ فهو أدب موجه وله أهداف ولا يكتب اعتباطًا، ولذلك فمن الضروري والمهم الكشف عن قضية القدس فيه وعن سبب اختيار الأديب يونا كوهين"[6] ومجموعته القصصية מטהרן לירושלים من طهران إلى القدس فيرجع إلى:

– أنه أديب من مواليد القدس الشرقية وتلقى تعليمه بها ويرتبط بها ارتباطًا كبيرًا، وهو يعتبر شاهد عيان على الصراع على مدينة القدس، ومن الضرورى والمهم الكشف عن رؤية أديب يهودي مقدسي وشاهد على أحداث الصراع على القدس وهذا ما يميزه:

– اهتمام الأديب في هذه المجموعة القصصية والتي كتبها خصيصا للصبية بالقدس.

– تعكس هذه المجموعة القصصية خلفية الأديب الدينية، فهو يمثل التيار الديني ورؤيته للقدس، فجاءت نظرته للقدس مختلفة عن غالبية أدباء العبرية العلمانيين الذين لاينظرون إلى القدس بالنظرة نفسها التي تبناها هذا الأديب والتي ستتضح في البحث.

الأدب الموجه للصبية الإسرائيليين

تعتبر مرحلة الصبا مرحلة مهمة في حياة الفرد، فهي مرحلة يودع فيها مرحلة الطفولة ويقبل على بداية مرحلة الشباب، ويحدد علماء النفس والتربية هذه المرحلة بأنها ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة[7]، ويبدأ الصبي في تلك المرحلة بقراءة الصحف والمجلات الخاصة بالكبار ومتابعة الأحداث السياسية، حيث تزداد خبرتهم وينمو وعيهم بمشكلات المجتمع المختلفة، ويرتبط الصبي بقصص البطولات والمغامرات والرحلات والقصص ذات الطابع الاجتماعي الواقعي[8]، أي إنها مرحلة يستطيع الفرد فيها إدراك ما يدور حوله واستيعابه.

ويعتبر الأدب الموجه إلى الصبية من أهم الآداب وأخطرها، لأنه يوجه إليهم وهم في مرحلة مهمة للغاية من مراحل حياتهم، تلك المرحلة التي يمكن أن يكتسب فيها الصبي مفاهيم وأفكارًا وقيمًا ومبادئ وتقاليد، وتصبح جزءًا لا يتجزأ من شخصيته وعقيدة من عقائده. لذلك يتخذ الأدب وسيلة أساسية لتحقيق هذا الهدف؛ حيث يكون الصبي في تلك المرحلة العمرية بمثابة تربة خصبة يمكن أن تغرس بها القيم والأفكار، ويكون على استعداد لتقبل واستيعاب الأفكار، ويلعب الأدب دورًا في هذا الاتجاه، حيث يسهم في بث القيم والأفكار والمبادئ المرغوب زرعها فيه.

ويعد الأدب الموجه للصبية في هذا العمر أحد أسلحة الصهيونية المهمة التي من خلالها تبث الصهيونية فكرها ومعتقداتها ومبادئها، كما أنها عن طريقه تعمل على تشكيل وجدان الصبية وفكرهم الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي والتاريخي. فالأدب المعد للصبية وسيلة مهمة لتحقيق أهداف رأى زعماء الصهيونية أنها ضرورية ومهمة.

ولقد ظهر جمهور من القراء الشباب في مقتبل العمر (الصبية) منذ البدايات المبكرة للأدب العبري الحديث، وقد أُنتجت قصص لجمهور الشباب في فترة التنوير (الهسكالاة)، حيث لم يكتف الصبية بقصص التوراة وأساطير المدراش بل تطلعوا لقراءة قصص جديدة، وقرأ الصبية المشتاقون للقراءة كل ما يصل إلى أيديهم.

ولقد أحدثت قصص مابو وغيره من أدباء الهسكالاه تحولًا في واقع الأدب العبري بالنسبة للصبية، حيث أشعلت الفخر بالماضي والتباهي به وبالشخصيات التاريخية بين الفتية اليهود، وقد قرؤوها بشغف وألهبت الحماس بينهم للماضي.[9]

وقد استمر تيار الكتابة للصبية في مراحل الأدب العبري اللاحقة، ففي مرحلة الإحياء

الصهيـوني (والتي يسـميها اليهود الإحياء القومـي) ظهرت أعمال أدبيـة للصبية تقوم على فكـرة الفخـر القومـي، وقد عمل الأدبـاء على أن يثـيروا في نفوس الشباب شـعور الانتماء القومـي والارتباط بتراث (ما يسـمى) الشعب اليهودي، فقامـوا بكتابة عشرات القصص عن أبطال الأمة وزعمائها، وعن موضوعات تحكي عن التمرد والاضطهاد والمطاردات.[10]

وبعـد أن تأسسـت الحركة الصهيونية وظهرت تنظيمات كثـيرة لها وحركات تدعو لفكرها، أولـت الصهيونية الصبيـة الذين في مقتبل العمر اهتمامًا كبـيرًا وظهرت تنظيمات وحركات شـبابية كثيرة تهتم بهم وبأحوالهـم ومشاكلهم وطرح الأفكـار الصهيونية عليهم من خلال صحـف ومجلات ناطقة بلسـان حال التنظيـمات الصهيونية الشبابيـة المختلفة وعبّرت عن الصبيـة وآرائهم، وقد تميزت بالنبرة السياسـية. وقد ضمت الصحـف والمجلات بداخلها موادَّ أدبية: قصصًا وقصائد شعرية.[11]

وفي عـام 1907 ظهـرت مجلـة אשכולות برئاسـة تحريـر أ.ز. ريبنـو فيتش، وقـد صدرت في القدس مجلة הגן للصبية التي قدمت نتاجًا من الأدب العبري الحديث المكتوب للصبية.

وفي عام 1926 تأسست صحيفة הנוער והארץ ونُشرت فيها قصائد شعرية وقصص للصبية كتبها الأدباء أفيجدور همئيري ودافيد شمعوني وراحيل وغيرهم.

وفي عام 1938 تأسست صحيفة שערים الأدبية للصبية في فلسطين وتميزت بأسلوبها البليغ، وكان هدفها هدفًا صهيونيًّا بحتًا، وهو حث الصبية اليهود على الانضمام للحركة الصهيونية الطليعية في فلسطين.

وفي 1944 صـدرت الصحيفـة الأدبية עתדות للصبية وقد أسسـتها الشعبة الخاصة لشؤون الشبـاب التابعـة لـلإدارة الصهيونية بالاشـتراك مع دار نشر مسـاداه. وقد تـرأس تحريرها الأديب آشير براش. وقد صدرت فيها موضوعات أدبية واجتماعية للصبية اليهود.[12]

ومـن خـلال الحركات الشبابية والمجـلات التي تصدرها لعب الأدبـاء دورًا مهمًّا في توجيه الصبية الإسرائيليين، عن طريق مشاركتهم الفعالة في الحركات الشبابية والصحف الموجهة والقصـص التـي كتبوهـا خصيصًا لهـم، والتي من خلالهـا تبث الأفكـار المرغوبـة والقيم والأيديولوجية الصهيونية وما تحتويه من أفكار سياسية ودينية.

ومـن أهـم الأدباء الذيـن شـاركوا في الحركـات الشبابية ووجهـوا بعض كتاباتهـم الأدبية للصبية، الأديب يونا كوهين الذي عمل مرشدًا في الحركة الشبابية الدينية بني عقيبا.

وكـان موضوع القدس مـن الموضوعات المهمة التي تناولها الأديـب في مجموعته القصصية

"מטהרן לירושלים ועוד ספורים לבני נעורים" "من طهران إلى القدس وقصص أخرى للصبية)" التي قدمها للصبية الإسرائيليين. وقد ضمت هذه المجموعة القصصية خمس قصص تدور معظمها في القدس الشرقية. وهذه القصص هي قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس"، وقصة (עיניים. מהווי ירושלים) "عينان، من واقع القدس"، وقصة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي من القدس القديمة" وقصة האילן שלמד סבלנות "الشجرة التي علمت الصبر" وقصة יאסופה "ياسوفه".

وقبل توضيح كيفية معالجة الأديب في مجموعته التي كتبها للشباب في مقتبل العمر لقضية القدس وكيفية تصويرها، سنستعرض في عجالة صورة القدس في الأدب العبري الحديث وكذلك الأدب العبري الذي كتب للطفل الإسرائيلي.

صورة القدس في الأدب العبري الحديث:

أ- صورة القدس قبل قيام إسرائيل

اهتم الأدب العبري الحديث بمدينة القدس اهتمامًا كبيرًا، وخاصة بعد أن ركزت الصهيونية على مدينة القدس كعنصر جذب سياسي وديني لليهود، فهاجر الكثير منهم إلى فلسطين في موجات هجرة متتالية حملت ضمنها مجموعة كبيرة من الأدباء، ومن بين أدباء العبرية الذين تمثل القدس مكانة كبيرة في أعمالهم نذكر ما يلي:

- يتسحاق شامي (1889 – 1949): والقدس عنده هي مدينة شرقية مثالية ذات طابع عربي تقليدي واضح المعالم، وهي مدينة تتميز بالتنوع الفولكلوري والثقافي، يؤمن سكان القدس إيمانًا مطلقًا بالقضاء والقدر ومفاهيم الشرف والانتقام والتعصب القبلي، وتلك المعتقدات هي التي تحدد سلوكهم الفظ والخطير.

- ولا يختلف يهودا بورلا (1887 – 1970) في تصويره للقدس عن شامي؛ فالقدس لديه هي مدينة ذات طابع شرقي خالص، وهي مدينة بسيطة تمتلئ بالحياة والحيوية، ويحكم سكانها العادات والتقاليد الشعبية.

- أما القدس عند أهرون رؤبينى (1886 – 1971) فهي مختلفة تمامًا؛ فهي مدينة مهاجرين. مهاجرو الهجرة الثانية، معظمهم مفكرون ومثقفون وقليل منهم عمال وبسطاء، وجميعهم يحاول الاستقرار في المدينة وتواجههم مشاكل كثيرة وخاصة في فترة الحرب العالمية الأولى، ويصورها كمدينة تمر عليها كل أنواع الكوارث والنكبات وتشبه سفينة في بحر هائج[13].

– ويصور يعقوب شطينبرج (1887 – 1947) القدس كمدينة جامدة وزاهدة تتسم بالحزن والكآبة، تكتنفها الوحشة ومكان مهيّأ للكوارث.[14]

– أما يوسف حاييم برينر (1881 – 1921) فإنه يهاجم القدس أكثر من أي مكان آخر، فهي في نظره حافلة بمظاهر الفساد، ويصورها على أنها مدينة بلا حضارة وبائسة وبغيضة وقبيحة وتبعث على اليأس، وأحيانًا يصفها بالزانية والنجسة والوضيعة، كما تمتلئ مقالاته الصحفية بالكراهية المرضية تجاه القدس.[15]

– ويصف حاييم هزاز (1897 – 1973) في رواية "الجالسة في الجنان" القدس كمدينة تضم سكانًا سذّجًا يحملون أفكارًا متخبطة، وعلى الرغم من هجرتهم إلى القدس ومعيشتهم فيها، إلا أنهم يتمسكون بأحلامهم وأوهامهم السابقة عن الهجرة، كما يصور المدينة على أنها بسيطة تمتلئ بالتراب والغبار، مكدسة بالأطلال والكهوف والأزقة الضيقة.

– أما القدس بالنسبة ليسرائيل زرحى (1909 – 1947) فهي مدينة مرغوبة يكتنفها الغموض، إنها مدينة الهدوء والكمال الذي لم يتم الوصول إليه.[16]

ونخلص من خلال هذه النماذج البسيطة إلى أن القدس لم تكن بنفس الصورة المتوقعة في الأدب العبري– قبل قيام الدولة، بل كانت صورتها سلبية في أغلبها مليئة بالكآبة، وربما يعود هذا إلى ما يلي:

– هجرة الأدباء من بلدانهم الأصلية إلى فلسطين والقدس فتمزقوا بين عالمين مختلفين تمامًا وواقعين مختلفين، وصعوبة الحياة التي أقبلوا إليها فلم تكن هادئة ومريحة كما تخيلوا مسبقًا، حيث مشاكل الاستيطان التي واجهتهم، والصعوبات التي صاحبت بناء مجتمع صهيونى جديد.

– الصدمة المروعة التي أصابت الأدباء عقب الهجرة، حيث رأوا الواقع المرير الذي يعيشه يهود القدس، فكان كثير منهم يعيشون حياة بسيطة ويحيون على التبرعات والصدقات القادمة من يهود الخارج.

– الصراع العربي اليهودي والصدامات المتكررة بينهما على مدينة القدس، وكانت القدس عربية خالصة، وغالبية سكانها عرب، فلم يستطع اليهود السيطرة عليها وانتزاعها من العرب وخاصة منطقة البلدة القديمة التي تحوي مقدسات عربية يزعم اليهود أنها يهودية.

وأثر كل هذا في عرض الأدباء لصورة القدس وسكانها في أدبهم، فلم تكن الصورة المرجوة أو الإيجابية التي كانت متوقعة من أدباء هاجروا إلى فلسطين حاملين معهم أفكارًا وتطلعاتٍ وآمالًا وأشواقًا لمدينة القدس.

ب – صورة القدس بعد قيام الدولة

قامت إسرائيل بعد موجات من الهجرات المنظمة، والتي نتج عنها مع مرور الوقت ظهور مجموعة كبيرة من الأدباء ولدوا في فلسطين، ومنهم من نشأ وتربى في القدس، وظهر على الساحة الأدبية من بدأ يقدم القدس كموضوع من الموضوعات المهمة في أعماله أو كخلفية للعمل الأدبي أو كمكان وقوع أحداث العمل الأدبي، ومن أهمهم:

– عاموس عوز (1939 – 2018) والقدس لديه لها واقع آخر، فهي مدينة علمانية روتينية، يتملك النفس الشوق والحنين إليها، وكل من يقرأ نتاج عوز يتضح له ارتباطه النفسي والروحي بها[17]، ويعترف عوز نفسه بمدى حبه للقدس وارتباطه بها قائلًا: "ولدت في القدس، وقضيت فيها طفولتي ولازلت أحبها حبًّا شديدًا"[18].

– أما القدس عند عماليا كهانا كرمون، فهي قدس خاصة ومختلفة عن غيرها من الأدباء من ناحية تعبيراتها الفنية والأدبية. وترتبط عماليا بالقدس ارتباطًا وثيقًا، والقدس بالنسبة لها عالم مفقود يشتاق إليه الإنسان المتمدن والذي يعيش واقعًا قبيحًا، فالقدس لديها مدينة محببة وقريبة إلى النفس[19].

– أما دافيد شحر الذي عاش في القدس وعرفها عن كثب، فهي تحتل مكانة مهمة في أعماله، وتظهر في أعماله أشواق عميقة للقدس والمناظر الطبيعية الموجودة فيها، كما تمثل القدس بالنسبة له واقعًا ينبض بالحياة، وكانت نظرته للقدس في مجملها نظرة إيجابية للغاية[20].

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الأعمال الأدبية التي صورت القدس لم تأتِ على خط تقليدي واحد، وإن تعددت صورة القدس طبقًا لتعدد الأدباء، وتصوير القدس لدى كل أديب يأتي من خلال آرائه الأيديولوجية وارتباطه بها ومشاعره الشخصية، ومن خلال آرائه العامة وطبقًا لتعليمه القومي والديني ومواقفه السلبية أو الإيجابية[21].

القدس في أدب الطفل العبري.

اهتم كثير من الأدباء الذين كتبوا قصصًا للطفل الإسرائيلي بموضوع القدس وعكسوا مكانتها في الوجدان اليهودي. ومن أبرز الأدباء الذين تناولوا القدس في أعمالهم الموجهة للطفل الإسرائيلي نذكر على سبيل المثل:

– الكاتب دافيد كوهين، ويركز في قصصه التي كتبها للأطفال على ربط اليهود بفلسطين عمومًا والقدس على وجه الخصوص، فيتناول معالم القدس زاعمًا أحقية اليهود فيها، رافعًا دعوى ملكية اليهود لها، وأنها تخصهم دون غيرهم على مرّ العصور، وأن ملكيتهم لها تعود إلى عهود غابرة، وتواجدهم بها لم ينقطع على مر العصور. ويظهر هذا بوضوح في قصة כותל דמעות "حائط الدموع" وقصة החשמונאים הצעירים "الحشمونائيون الصغار"[22].

– ولا يختلف موقف الكاتب "يفرح حفيف" عن موقف كوهين، فيحاول في قصته שכור לכל החיים "السكر في صحة الجميع"[23] ربط اليهود بماضيهم القديم في القدس، مركزًا على الحق التاريخي اليهودي في هذه المدينة، والذي يعود إلى زمن التوراة.

– أما الأديبة راحيل مينتس فتبرز مكانة القدس في الوجدان اليهودي وما تتمتع به من مكانة دينية لدى اليهود وحرصهم على زيارتها والصلاة فيها والتبرك بها والدفن فيها، ويظهر هذا في قصة נעלה לירושלים "فلنهاجر إلى القدس"[24].

– أما الأديبة سارة جلوزمان فتعمل في قصصها على توطيد العلاقة الروحية والدينية بين الطفل اليهودي ومدينة القدس، مؤكدة على ملكية اليهود لهذه المدينة والصلات التاريخية والدينية التي تربط اليهود بالقدس، كما تصورها في صورة جميلة وتنسب إليها أجمل الصفات. ويظهر هذا في قصة אהוד עולה לירושלים "إيهود يهاجر إلى القدس"[25].

القدس في الأدب الموجه للصبية.

أما القدس في المجموعة القصصية التي كتبها يونا كوهين خصيصًا للصبية الإسرائيليين، فقد جاءت على النحو التالي:

مكانة القدس

1 - مكانة القدس لدى اليهود خارج فلسطين

- مكانتها الدينية

تحظى القدس بمكانة متميزة لدى جميع أصحاب الديانات السماوية الثلاث، إلا أن اليهود يحاولون دائمًا الاستئثار بها والادعاء بأنها تحظى بمكانة دينية خاصة لديهم زمن داود عليه السلام، حيث ظهر فى عصره تطور جديد تم فيه الربط بين السياسة والدين بالأرض، فاتخذ من مدينة القدس مقرًا لحكمه، وهي مدينة كنعانية الأصل لم تكن لها

قداسة معينة لدى اليهود، إلا أن داود اتخذ هذه المدينة المحايدة مركزًا لحكمه لكي يجمع حولها بقية المناطق الفلسطينية، ويحوّل في الوقت نفسه مركز الحكم وربطه بالإرادة الإلهية واعتبار نفسه ممثلًا للحكم الإلهي. ولكي يعطي المدينة نوعًا من القداسة، حرّم على اليهود التعبد في أي مكان آخر غير القدس، وبهذا ارتبطت العبادة بهذه القطعة من الأرض، فيها يقدم اليهودي قرابينه ويتقرب إلى الله. وأصبحت القدس قبلة اليهود وتركزت العبادة فيها وانتهت الأهمية الدينية لبقية المدن والأماكن.[26]

كما أصبحت القدس منذ ذلك الحين تشغل مكانًا مركزيًّا في الوجدان اليهودي ومركز الدين، يتجه إليها اليهود ويتذكرونها في صلواتهم ويحجون إليها.[27]

ويعكس الأديب في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس" مكانة القدس الدينية في قلب اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين وأنهم يعتبرونها قبلتهم الدينية التي يتوجهون إليها وقت الصلاة ووقت الضيق.

"ظلوا مخلصين في قلوبهم- لعقيدتهم اليهودية، وجّهوا وجوههم تجاه القدس المدينة المقدسة لليهود دائمًا وأبدًا ويقولون اسمع يا إسرائيل"[28]

ويصور هنا يونا كوهين مكانة القدس في العقيدة الدينية اليهودية لليهود المتدينين وفي الفكر الديني الإسرائيلي، فهي كما يصورها قبلتهم، وإذا كانت هي مدينة مقدسة يتم الصلاة والتوجه ناحيتها فإنها تستحوذ على القلوب والعقول وتشغل البال والاشتياق إليها بشكل كبير، فيصور الأديب ذلك الاشتياق والحب الجارف للقدس، ويجعل أهم شيء يشغل بال اليهودي الذي يعيش خارج فلسطين القدس والشوق إليها، فيربط اليهودي برباط روحي نفسي بالقدس، فيقول على لسان أبطاله:

"الحمد الله، يكفينا إن وجد قليل من الخبز لسدّ جوعنا والمياه لريّ ظمئنا، فالعطش الحقيقي والكبير في قلوبنا هو للقدس[29]."

ويعكس هنا الأديب للشباب الإسرائيلي حال اليهودي خارج فلسطين من حيث حبه للمدينة المقدسة وتطلعه إليها، في محاولة واضحة لربط اليهود في شتى بقاع الأرض بالقدس.

التطلع للدفن فيها

يصل الارتباط اليهودي بأرض القدس -حسب زعمهم- إلى حد يجعل اليهود يحرصون على شراء قطعة أرض في القدس لكي يدفنوا موتاهم في الأرض المقدسة، وقد جرت

العادة في الشتات أن يستحضروا ترابًا من أرض فلسطين لكي ينثر فوق قبور الموتى من اليهود، ويقال في الفلكلور الديني في التلمود إن جثة الميت خارج فلسطين تزحف تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى الأرض المقدسة[30].

ويصور يونا كوهين في قصة מטהרן לירושלים "من ظهران إلى القدس" اهتمام اليهود وخاصة العجائز منهم بالقدس ورغبتهم الجامحة في الدفن فيها من خلال امرأة عجوز تعيش في فارس ترغب في الدفن في جبل الزيتون بالقدس، لما لها من مكانة دينية عندها، وتقدم على ذلك من خلال إقدامها على شراء قبر في القدس لتدفن فيه.

"في إحدى القرى الواقعة في شمال فارس، كانت هناك امرأة عجوز أرادت شراء مكان تدفن فيه في جبل الزيتون بالقدس، وذات مرة دُعيَ إلى تلك القرية مبعوث من القدس جاء لجمع تبرعات صندوق رابي مئير بعل هنيس لصالح فقراء القدس، فطلبت منه المرأة أن يشتري لها قبرًا في القدس في جبل الزيتون. أعطته المرأة مبلغًا محترمًا ووعدها بمكان في جبل الزيتون، أعطاها وصلًا مختومًا بختم جمعية دفن موتى القدس"[31].

وكان هذا بالفعل حال كثير من اليهود- خاصة المتدينين الذين يحبون القدس ويرتبطون بها روحيًّا ودينيًّا ونفسيًّا، وكان تقدير يهود الخارج للقدس وحبهم لها يجعلهم يفعلون كل شيء من أجلها ومن أجل مكانها، فيتبرعون من أجل فقرائها معتبرين هذا واجبًا دينيًّا.

- التطلع للهجرة إليها

ارتبط اليهود المتدينون بالقدس ارتباطًا دينيًّا محضًا، وكانت لها مكانة دينية كبيرة لديهم، إلا أن الصهيونية نظرت إلى القدس نظرة سياسية بحتة واستغلتها فعملت على إثارة عواطف يهود العالم إلى القدس القديمة حتى تكون أداة التأثير على العقول وامتلاك النفوس، ويسهل على هؤلاء الهجرة إلى وطن اليهود في فلسطين.

ويصف كوهين في قصة יאסופה "ياسوفا" مدى تطلع اليهود للهجرة إلى فلسطين وإلى القدس على وجه الخصوص، بوصفها أهم وأقدس المدن ولما لها من مكانة دينية.

"إنهم علّموا الحاخام أبراهام والقادمين إلى بيته والجيران قصيدة:

صاحب الجلالة، تبجل اسمك، تبارك وتعالى إلى مدينة صهيون جبل قدسك، هناك نسعد ونهاجر.

غنـوا القصيـدة بحماس مرة ومرة أخـرى رددوا وغنوا بحماس بالـغ. وحكى المبعوثون حكايات جميلة عن كل واحدة من المدن الأربع المقدسـة في فلسـطين: القدس، الخليل، طبريا وصفد.[32]

ويؤكـد يونـا في قصـة مـن طهـران إلى القدس تطلـع يهود الخـارج للهجـرة إلى القدس المقدسة، وفرحتهم العارمة لهجرتهم إليها.

"عندمـا وصلـت إلينا البشرى الكبيرة بأن الله أعاد شـعبه قمنـا وجئنا إلى هنا، ونحن في الطريق إلى القدس".[33]

2 - مكانة القدس عند اليهود القدس.

إذا كانت القدس تحظى بمكانة مهمة لدى اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين كما يصورها الأديـب، فـإن اليهود الذين يعيشـون في القدس نفسـها يرتبطون بها ويحبونهـا حبًّا جمًّا، كما يصورهـم يونا كوهين في قصـة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي مـن القدس القديمة" من خـلال بطله نفتـالي، الصبي الذي يرتبط بالقـدس ولا يتحمل الحياة بعيـدًا عن تلك المدينة المقدسة.

"حقًّـا أحـبَّ نفتـالي القدس القديمة حبًّا جمًّا. وذات مرة سـافر مع والده إلى بتاح تكفا عند أقاربه. وقد مرّ عليه أسبوعان في هذه المدينة، وكان في نظر نفتالي هذا كأنه بعيد عن بيته أكثر من سنة أو سنتين".[34]

ولا يقـف الحد عنـد الحب والارتباط الدينـي والروحي بين اليهود القـدس، بل إنهم أيضًا يتفاخرون بمنشئهم المقدسي وحياتهم فيها.

"لاتتعجبـوا مـن نفتالي الذي يفخـر دائمًا أمام زملائه، إنه لا يفخر بأنـه صبي سريع، أو أنه منضبـط جدًا وينفذ وصايا والديه ومعلميه، إنـه لا يفخر بهذا، بل يفخر بشيء واحد، وهو أنه من مواليد القدس القديمة. نفتالي يحب القدس القديمة للغاية. إنه يعرف كل فناء وكل زقاق ضيق في المدينة القديمة، والده وجده ووالد جدّه ولدوا في هذه المدينة.[35]"

ويحـاول الأديب هنا غـرس فكرة الارتباط الروحي والنفسي بـين اليهود والقدس الشرقية العربيـة، في محاولـة منـه أن يغـرس في الشبـاب الإسرائيلي مـدى أحقية اليهـود في القدس الشرقية وأن لها مكانة سامية لدى اليهود تؤهلهم ليكونوا أصحابها.

وربما كانت للقدس مكانة دينية لدى اليهود قبل ظهور الحركة الصهيونية التي أفسدت هذه المكانة وحولت طبيعتها وجعلتها علاقة مادية، الهدف منها الاستيلاء على القدس وطرد العرب منها.

والأديب يريد أن يغرس في الشباب الإسرائيلي الصاعد فكرة التمسك الديني بالقدس ومكانتها المقدسة عند اليهود ومالها من أهمية مزعومة.

واقع حياة اليهود في القدس.

ظل الوجود اليهودي في منطقة القدس محدودًا للغاية على مر العصور، حيث كانوا قلة قليلة فيها (حتى بداية القرن العشرين) ولم يهاجر إلى القدس وخاصة الشرقية -إلا المتدينون والفقراء والعجزة الذين كانوا يبغون الموت فيها. وقد كتب مؤرخ أميركي عن واقع حياة اليهود في بداية القرن العشرين يقول: إن يهود القدس فقراء وكسالى، ضعاف الأجسام والعقول، ويبدو أن القدس محطة يتلاقى فيها اليهود المتعصبون، المشوهون العجائز ليعيشوا هنا على الشحادة والإحسان وليقضوا بقية العمر ينوحون أمام حائط البراق.[36]

ويعكس يونا كوهين في قصة עינים "عينان" حقيقة الحياة التي كان عليها اليهود الذين عاشوا في القدس الشرقية، حيث كانوا قلة قليلة من العجائز والشيوخ يعيشون حياة بائسة تعاني من الفقر والحرمان، ويقوم الشيوخ بتلاوة المزامير أمام حائط البراق لدرّ العطف عليهم ويعيشون على الشحاذة.

"زادت هجرة العائلات اليهودية من المغرب إلى القدس. وهاجر في إحدى قوافل الهجرة- من المغرب أيضًا شلومو من عائلة بردوجو. وكان أعمى. وقد سار يوميًّا من غرفته الصغيرة في حي "نحلت شبعا" إلى المدينة القديمة، قد ساعده أناس طيبون، كان معظمهم أطفال، في اجتياز الطرق. جلس شلومو على السلالم التي في الممر المؤدي إلى حائط البراق. وقد جلس هناك أيضًا يهود آخرون عجائز وضعفاء لم يجدوا مصدرًا آخر للرزق. وقد أطلق عليهم اسم فقراء الحائط. وقد أكثروا من الصلاة ولا يتوقف لسانهم عن تلاوة فقرات من سفر المزامير. فقط عندما يقوم أحد المارة بوضع صدقة في يدهم المبسوطة يقولون شكرًا، ثم يواصلون تلاوة المزامير وبهذا الحال يشترون زادًا يطعمون به أنفسهم. كان شلومو أحد فقراء الحائط".[37]

وإذا كانت القدس تضم فقراء ومساكين يعيشون على الشحاذة والصدقات بجانب حائط البراق فإن هؤلاء المساكين يعيشون في مساكن بسيطة عبارة عن أكواخ خشبية متهالكة تدل على فقرهم المدقع.

"مـن الصعـب أن نطلـق لفظ منزل عـلى المكان الذي تعيش فيه أورا، فهـو عبارة عن غرفة مكونة من الخشب القديم المتهالك في إحدى أحياء قطمون في القدس القدس"[38]

وإذا كانـت القدس وخاصة الشرقية، تضم أشـخاصًا يعانون فقرًا مدقعًا ويعيشون في أكواخ ضيقة، فإن القدس الغربية الجديدة تضم بجانب الفقراء يهودًا أثرياء وشوارع واسعة جديدة.

"ذات مرة سارت نيلي وأختها إيمونا مع والديهما لشراء شيء ما من شارع يافا، وفي طريقهم نظـروا في باترينات العرض في الشارع الرئيسي بالقـدس، فجأة توقفت نيلي في مكانها كأنها تثبتت بمسـامير؛ فقد رأت بالقرب من محطة الأتوبيسـات إيجد، التي تقع وسـط شارع يافا شخصًا ما جالسًا على الأرض، ملابسه رثة وفي قدميه حذاء مرقع، أمامه شوال رثّ وممزق؛ قطع صابون؛ أربطة أحذية، علب ورنيش أحذية، أمشاط، دبابيس شـعر وغيرها، ويتوجه الرجل إلى المارة ويتمتم: اشتروا أيها الرحماء اشتروا إنه رخيص، رخيص[39]".

ويعكس الأديب هنا في نظرة واقعية واقع حياة اليهود في القدس وطبيعتها، فيصف شوارع القدس الواسـعة وأزقتهـا الضيقة، والناس فيها وحياتهم الاقتصاديـة وطبيعة العمل الذي يمارسـه اليهود الفقراء فيهـا، وهنا نظرة واقعية، حيث إن القدس ليسـت جنة عدن يحظون فيها بالملك والثراء والحية الكريمة، كما حلموا قبل هجرتهم إليها بل معاناة من فقر وحرمان.

استيطان القدس الجديدة

في القرن التاسـع عشر تم تأسـيس أحياء جديدة خارج أسـوار القدس العتيقة، وشـهدت المدينـة في القـرن العشرين هجرة يهودية أوروبية منظمة وكثيفة هدفت إلى اسـتعمار القدس بشـكل خاص وفلسـطين بشكل عام، ومع ازديـاد وتيرة الهجرة اليهودية في القرن التاسـع عـشر ازدادت حركة الانتقال إلى باقـي أحياء المدينة الجديدة، وخلال فترة الانتداب تراجع الاسـتيطان اليهودي في القدس البلدة القديمة بسـبب نمو الأحياء الجديدة خارج الأسوار التي توفرت فيها الخدمات العصرية.[40]

ويعكـس الأديب في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس" جهود قادة الصهيونية الأثرياء في حركة الاسـتيطان اليهودية في القدس الجديدة، فيصف جهود الزعيم الصهيوني الثري موشيه مونتفيوري في إقامة تلك الأحياء الجديدة في القدس.

"بنـى موشـيه مونتفيوري خمسـة أحيـاء في القدس الجديدة وتسـمى على اسـمه، وهو من مواليد مدينة لندن"[41]

ولا شك أن الهدف من تذكير الشباب بما فعله زعماء الصهيونية من أجل استيطان القدس، هـو تعريف الشبـاب الإسرائيلي بهـؤلاء الزعماء ودورهـم وزرع حبهم في قلـوب الشباب الصاعد وتمجيدهم.

ولم يقـف الأمـر عند حد جهود زعـماء الصهاينة فقط، بل إن اليهود أنفسـهم، منهم من قام بالهجرة تطوعًا وإنشاء أحياء جديدة خاصة بهم في القدس الجديدة، وهذا ما يعكسه كوهين في قصة עינים "عينان".

"قبل ذلك بسـنوات كثيرة أقبل إلى فلسـطين مهاجرون من المغرب كثيرون، وكان قائدهم الحاخام دافيد بن شـمعون الذي شـجعهم على الهجرة إلى فلسـطين. هؤلاء المهاجرون من المغـرب أطلق عليهـم أبناء الطوائف الشرقيـة في القدس "مغاربة" وقد بنـوا حيًّا صغيرًا في شارع "ميلا" في القدس، وكان اسم ذلك الحي "محنه يسرائيل" وهو من الأحياء الأولى التي بناها يهود بمالهم خارج الأسـوار. وقد نظر إليهم على أنهم شـجعان تجرؤوا على السـكن في حي خارج أسوار القدس القديمة[42]".

وفي عجالـة، يتناول الأديب الاسـتيطان اليهـودي في غرب القدس ويصـف اليهود الذين اسـتوطنوا هذه الأحياء بالشجعان وأنهم يتحلون بالجرأة والجسـارة لكي يزرع في الشباب الصاعـد هذه الصفات، والتي يفتقدها اليهود، والحقيقة أن اليهود الذين وفدوا على المدينة الجديـدة قـد دخلوها بحيل مختلفة أثناء الحكم العثماني وفي عهـد الانتداب البريطاني الظالم، عـدد كبـير منهم عدته حكومـة الانتداب نفسـها مهاجرين غير شرعيـين لمخالفتهم قوانين الهجـرة. والأراضي التـي نزلها هـؤلاء المهاجرون غير الشرعيـين أراضٍ عربية اقتطعت من القرى العربية.[43]

ولم يكـن في الأمـر جرأة أو شـجاعة، بل اغتصاب لحقوق العـرب وأراضيهم وجبن وغدر وليـس كـما يريـد الأديب أن يغـرس في قصصـه الموجهة للشبـاب الإسرائيـلي الصاعد من مغالطات تاريخية واضحة.

ادعاء الحق الديني والتاريخي في القدس

حائط البراق: وادعاء الحق اليهودي فيه

من المعروف أن اليهود لم يكن لهم أثر مقدس في فلسـطين، فبحث زعماؤهم عن وجود رمز دينـي يجمع يهود العالم للإيمان به ويثير العواطف الدينية لديهم، فابتدعوا ما يسـمى "حائط

المبكى" يؤدي اليهود أمامه طقوسهم الدينية، وتلك عادة قد تفشت خلال الحكم العثماني، بشكل خاص خلال القرن السادس عشر[44]. وقد زعم اليهود أن هذا الحائط هو جزء من سور كان حول هيكل سليمان.

وقد سمى الحائط "حائط المبكى" لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح، بل جاء أيضًا في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التاسع من آب. وقد ترسخت صورة الحائط في الوجدان اليهودي والصهيوني واعتبروه من الرموز اليهودية التي تربطهم بفلسطين وتعطيهم الحق التاريخي فيها[45].

ويرتفع حائط المبكى عن سطح الأرض حوالى ثمانية عشر مترًا، الستة الأولى منها مبنية بحجارة مستطيلة ضخمة هي نوع من أحجار أساسات هذا السور، يضاف إليها أربعة عشر سطرًا من حجارة أصغر، يبدو أنها جزء من عملية تعلية للحائط، وترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده، أما الأساس المطمور للسور تحت الأرض فهو مكون من تسعة عشر سطرًا من الأحجار المستطيلة الضخمة، وبالإمكان رؤية جزء من هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال، أما بقية السور من الجهة الغربية فقد اندثرت ولم تبق سوى نتوءات تبرز من مسافة أخرى، وهناك اثنا عشر مترًا من الضلع الجنوبي للسور ما تزال بارزة.[46]

ويعكس يونا كوهين في قصة "نفتالي من القدس القديمة" مدى أهمية الحائط من الناحية الدينية؛ حيث يقوم يهود القدس بالصلاة لديه كل سبت، كما أنه يعد قبلة دينية مهمة يفد إليها يهود من كل بلدان العالم للزيارة والصلاة والتبرك بهذا الحائط، ويصف على لسان بطله نفتالي الحائط، في محاولة منه لتعميق العلاقة بين الصبي اليهودي والحائط لإثبات قدسيته لليهود.

"كان نفتالي يذهب كل يوم سبت مع والده للصلاة بجانب حائط البراق. عرف نفتالي عدد صفوف الحجارة الكبيرة الظاهرة والواضحة لعين الجميع، هم تسعة صفوف. عرف أيضًا عدد الصفوف التي على مرّ السنوات قد غاصت في الأرض: خمسة صفوف هي التي غاصت، ويوجد أحد عشر صفًّا آخر لكن الحجارة بها صغيرة جدًا. عندما قدم نفتالي إلى هنا كان قلبه يمتلئ بالسعادة. هنا بجانب الحائط الذي هو بقايا من الهيكل رأى يهود من كل الأنواع، كبار وصغار، أشكناز وسفارد، أبناء كل الطوائف، منهم من قدم من بلدان بعيدة للزيارة، للصلاة والعودة إلى بلدانهم، منهم من يصلي بصخب وصياح، ومنهم من يصلي في

هدوء، فقط شفاههم تتحرك ولا يسمع لهم صوت."(47)

ويصـور هنـا الأديب مدى إقبال جميع اليهود على هذا الحائط –وإن كان يعكس التناقضات الجوهريـة بين اليهود على المسـتوى الاجتماعي والدينى، واختـلاف طريقة الصلاة لديهم– ويركز الأديب على أمر واحد وهو تقديس جميع اليهود لهذا الحائط، واعتقاده الراسـخ على لسان بطله أن هذا الحائط هو من بقايا هيكل سليمان عليه السلام.

وفي لوحـة أدبيـة إبداعية يربـط الكاتب بين اليهود وحائـط البراق ارتباطًا وثيقًـا وقويًّا من خـلال بطله الصبـي الصغير نفتـالي المقدسي الذي يرتبط بهـذا الحائط ذي الأهميـة الدينية، حتـى إنه لا يسـتطيع تحمل الحيـاة بعيدًا عنه، وإذا مـا ذهب بعيدًا عنه فإنـه يحلم به ويشتاق للعودة إليه.

"أغمـض عينيـه وها هـو حائط مرتفع يقـف أمامه، نظر وهـا هو حائط الـبراق. وهو يرى قطرات كبيرة تنزل منه إنها دموع، دموع تتساقط من الحائط، القطرات تنزل وتتجمع في نهر فياض. أيضًا صوت، إنه يسـمع صوتًا يصدر من أحجار حائط البراق يقول: نفتالى لماذا لا تأتي إلي، لماذا تركتني؟ لا يأتي أي شـخص إلي وأنا وحيد. فقام نفتالي في الصباح، فتح عينيه وقال لأبيه: أبي لنعد إلى القدس حالا"(48).

ويعكـس الكاتب هنا الارتباط النفسي والروحي الديني بين الصبي اليهودي نفتالي وحائط الـبراق كجزء من المقدسـات اليهودية، كما يدعي اليهود، ويربـط الكاتب اليهود بهذا الأثر الدينـي ويربـط الشباب اليهودي به والتمسـك به كجـزء من العقيدة اليهودية وطقوسـها، وحثهم على عدم تركه للعرب مطلقًا والاستيلاء على هذا الجزء المهم من المدينة العربية.

وهنـا يربط الأديب اليهود بهذا الحائط، محـاولًا ادعاء الحق التاريخي والديني لليهود في هذا المكان المهم، وأن اليهود من حقهم الحياة فيه وبجواره لأنه ملكهم وخاص بهم ويمارسـون طقـوس العبـادة فيه، وأن هذا حقهم الطبيعي، حقهم الدينـي التاريخي الذي لا جدال فيه، وهـذا مـا يؤكده الأديب على لسـان رجال الديـن في قصـة מטהרן לירושלים من طهران إلى القدس ليعطي بعدًا دينيًّا طبيعيًّا لهذا الادعاء.

"في اليوم الثالث من أيلول، الذي هو يوم ذكرى موت رئيس حاخامات فلسطين الحاخام الجـأون الرابي أبراهام يتسـحاق هكوهن كوك، ذكرى صديـق مباركة، تجمع المهاجرون في

مركـز المعسـكر، وروى المبعـوث عن حياة الحاخـام، كيف كان يقرب اليهـود البعيدين إلى اليهوديـة، وكيف واجه بثبات رجال السـلطات البريطانية الذيـن حكموا بلدنا، ودافع عن حق اليهود في الهجرة إلى فلسطين والصلاة دون مضايقات بجانب حائط البراق".[49]

ويعكـس هنا الكاتب جهود رجال الدين اليهـودي في إثبات مدى أحقية اليهود في الصلاة بجانـب حائـط الـبراق الـذي يطلقون عليه حائـط المبكـى، وفي رؤيتهم في أن هـذا الحائط هـو جزء مـن حقوق اليهود في القـدس وأن من حقهـم الصلاة عنـده دون مضايقات، بل إن رجـال الدين مـن منطلق إيمانهم بهذا الحـق الديني يصارعون ويناضلـون ضد الإنكليز والعرب لإثبات أحقية اليهود في الصلاة في هذا الجزء المهم من القدس.

وقبـل أن نوضح حقيقة هذا الحائط المهـم، علينا أن نوضح أمرًا مهمًّا للغاية، وهو أن اليهود أنفسهم يتخبطون فيما بينهم بشأن هذا الحائط وحقيقته؛ فيعتقد كثير منهم أنه من بقايا هيكل سـليمان "عليه السلام" ويتناسـون أن الإمبراطور هدريان قام بتخريب القدس كلها وتغيير معالمها تمامًا، كما دمرت المدينة عدة مرات. كما يزعم البعض من اليهود أن هذا الحائط ليس إلا بقية من سور داود، وقال البعض إنه جزء من حائط سليمان، ونسبه آخرون إلى المكابيين اليهود[50]، إلا أن الحفائر الإسرائيلية التي جرت وما زالت- منذ احتلال القدس عام 1967 لم تسفر عما يمكن أن يدعم هذه المزاعم على الإطلاق[51].

وفي حقيقـة الأمـر، إن حائط البراق الذي يطلق عليه خطأ "حائط المبكى" هو جزء لا يتجزأ مـن الحـرم الشريف الذي يضم مسـجدي قبة الصخرة والأقصى، وهـو مربط البراق الذي أسري به الرسـول ليلة الإسراء ثم عرج بعد قيده إلى السماء، وبالإضافة إلى هذا، فإن حائط البراق الذي يجعله اليهود ركيزة لدعواهم بحق الاستيلاء على المدينة القديمة هو أثر إسلامي صرف، وقف إسـلامي لاينازع فيه. وقد ثبت ذلك ثبوتًا قاطعًا للجنة الدولية التي حققت في هـذا الموضـوع عام 1930 ونظـرت في جميع الوثائق والبيانات التـي قدمت إليها من قبل العـرب واليهود وحكومة الانتداب، ثم أصدرت حكمها ونصه: "إن للمسـلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريـف التي هي من أملاك الوقف وللمسـلمين أيضًا تعود ملكيـة الرصيف الكائن أمام الحائـط وأمـام المحلة المعروفة بحـارة المغاربة المقابلة للحائط بكونه موقوفًا حسـب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير.

ولايسـتطيع اليهود الطعـن في هذا الحكم لأن اللجنة التي أصدرتـه دولية وقد ألفها مجلس

جمعية الأمم، ولابد أن نؤكد أمرين: الأول، أن اليهود استماتوا في الدفاع عن الحائط وقدموا جميع ما في حوزتهم من وثائق على الصعيد المحلي والعالمي، والثاني: إن دولة الانتداب الوفية لوعد بلفور أقرت الحكم ونفذته وإن اليهود التزموا به مقرين بنزاهة اللجنة وعدالتها[52].

وعلى الرغم من هذه الحقائق الواضحة وضوح الشمس في أن الحائط عربي إسلامي ملك للمسلمين، وهو جزء لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف، وأنه يخلو من أي آثار يهودية، إلا أن الصهاينة غالوا في الادعاء بالحق اليهودي الديني في الحائط. وطالبت لجنة الدفاع اليهودية عن "حائط المبكى" في نداءاتها لليهود للعمل على خلاص الحائط من أيدي العرب وتوضيح مكانته للجميع ومدى أهميته بالنسبة لإسرائيل في الزمنين السابق والحاضر[53]. وعمل الصهاينة على إثارة المشاعر الدينية لدى اليهود لأسباب سياسية محضة. وأصبحت مسألة النزاع على الحائط صورة من النزاع الأكبر على ملكية القدس وفلسطين شارك فيها حتى الأدباء بأقلامهم، مبرزين مدى أهمية الحائط لدى اليهود وارتباطهم به والحق الديني اليهودي فيه، مسخرين بذلك أقلامهم في خدمة الادعاءات الصهيونية، مخالفين الحقائق الواضحة، غارسين في عقول ونفوس الشباب الإسرائيلي هذه الأباطيل والادعاءات الكاذبة ليتمسك هذا الشباب الصاعد بأرض فلسطين المحتلة على أساس ديني.

- الادعاء بأن القدس مدينتهم وعاصمة ملكهم

يدعي اليهود باطلًا أن القدس مدينة يهودية خالصة ملكًا لهم وحدهم، وأنها ظلت يهودية على مرّ العصور والأزمنة، وأنها خلال هذه القرون الطويلة كانت في يد غزاة ومحتلين. ويدعي اليهود الحق التاريخي والديني لهم في القدس منذ عصر داود وسليمان (عليهما السلام)، حتى إن اليهود خارج فلسطين يعتقدون اعتقادًا راسخًا بأحقيتهم في القدس، ويرون أنها مدينتهم المقدسة، وعاصمة ملكهم القديم والجديد، وهذا ما يدعيه أيضًا الأديب ويحاول ترسيخه في عقول الشباب الإسرائيلي من خلال قصصه ويظهر ذلك في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس".

"ربما بعد أسبوع، ربما بعد أسبوعين نهاجر بمشيئة الله تعالى إلى القدس، ونقيم طقوس السبت في مدينة الملك داود"[54].

ويطلق الأديب على مدينة القدس مدينة الملك داود، مدّعيًا الحق التاريخي الديني لليهود فيها، وكأنها ظلت خاوية طوال الحقبة التاريخية منذ عصر داود. ودائمًا ما يركز اليهود على داود بالذات واتخاذه كرمز للملك، ذلك لأن داود هو الذي استولى على القدس

قديـمًا وجعلها مركز مملكته السـياسي والديني، وكان عهده في جملتـه عهد يسر ورخاء [55]. وأصبحت القدس في عصره العاصمة السياسية والدينية، وتاريخ اليهود بعده وبعد سليمان تاريـخ متدهـور وانحلال وانقسـام وافتقار. ومـن الطبيعي أن ينظر الإنسـان إذا ما حلّ بما حولـه الانحـلال والتدهـور إلى عـصر ماض يعكـس عليه آمالـه وتطلعاتـه، وعندما جال اليهودي العنصري بنظره إلى العصور السالفة توقف عند عصر داود وسليمان، ومع أن هذا العصر بالنسـبة لما جـاء بعده عصر ذهبي حقًّا أخذ العقل اليهـودي ينصبه في مخيلته مثالًا لما يجب على التاريخ أن يكون[56].

ومـن هنـا كان اليهود يربطـون بين إسرائيل الحاليـة والمملكة الداوديـة القديمة في ربط بين المـاضي والحـاضر، وكأن التاريـخ الطويـل توقف وقفز مـن عـصر داود إلى العصر الحالي؛ لتظل القدس في نظر اليهود هي مدينة الملك والدين، زاعمين أنها مدينتهم المقدسـة ومدينة ملكهم.

"في صيحات فرح وشـكر دخلوا المعسـكر، وبدؤوا جميعًا في إنشاد أغنية فلنهاجر هجرة إلى القدس مدينتنا المقدسة وداود الملك ملكنا".[57]

- ربط الماضي بالحاضر.

مـن المعروف أن اليهود لايملكـون أي آثار –معالم– دينية في القـدس الشريف، ولكن بعد ظهور الصهيونية عمل زعماؤها على ربط الدين بالسياسـة، واتخاذه كوسـيلة من أجل إذكاء مشاعر اليهود تجاه القدس، وراحوا ينسـجون الأساطير حول الحق الديني التاريخي لليهود في القدس، ويبحثون عن شـتى السـبل التي من خلالها يربطون اليهود بهـذه المدينة العربية المسلمة، فراحوا ينسبون كل حجر وزاوية وكل جبل وركن إلى اليهود وإلى أجدادهم الذين مروا على هذه المدينة ويربطون اليهود بكل أثر ومعلم إسلامي عربي، مدّعين أنه أثر يهودي خـاص باليهود، بل إنهم راحوا يبحثون في توراتهـم المحرفة عما يثبتون به ادعاءاتهم الباطلة وإلباسها ثوب الحق بشتى الوسائل.

وفي محاولـة ترسـيخ هذا الفكر الباطـل في عقول الشباب الصاعد، عملـوا على ربط الماضي القديـم والحاضر، وأطلق الأدباء العنان لأنفسـهم لتوطيد مزاعمهـم، فنجد أن الأديب في قصـة "نفتالي من القدس القديمة" ينسـب كل آثار ومعالم القـدس إلى اليهود، محاولًا تعليل مزاعمه من خلال اسـتشهاده على كلامه من فقرات التوراة، محاولًا إثبات أن معالم القدس القديمة هي معالم وآثار تاريخية يهودية صرفة.

"سمع من والديه وجدّه كثيرًا عن الأماكن المهمة في المدينة، والتي تظهر من فوق قبة معبد "نيسان بق" المرتفعة. وكان يريهم من فوق قبة هذا المعبد جبل الزيتون، الجبل الكبير الممتلئ كله بشواهد قبور يهودية والتي أحضرت للدفن في هذا الجبل؛ لأن المكان مقدس بالنسبة لليهود ولأنه أيضًا قريب من جبل الهيكل ومكان الهيكل. من هنا أيضًا نرى نصبًا كبيرًا على شكل مبنى يدعى "يد أبشالوم" كان نفتالي يفتح كتاب التناخ ويقرأ في الإصحاح الثامن عشر، الفقرة الثامنة عشرة من سفر صموئيل الثاني "أخذ أبشالوم وأقام لنفسه وهو على قيد الحياة النصب الذي وادي الملك، لأنه قال ليس لي ابن يخلد ذكر اسمي"، ودعا النصب باسمه وهو يدعى أبشالوم إلى هذا اليوم.

عندما توجهوا ناحية اليمين رأوا ثانية مكانًا له اسم غير مألوف "بيت المرض" عاد نفتالي وفتح التناخ وقرأ في سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة الخامسة "وضرب الرب الملك وكان أبرص إلى يوم وفاته وأقام في بيت المرض".

وعندما رفع الزوار أعينهم ونظروا بعيدًا عن هناك، بدا المكان وكأن به نبع يدعى "المنحنى" هناك بجوار هذا النبع قد توج صادوق الكاهن النبي سليمان بن داود ملكًا على إسرائيل، وبجوار هذا النبع قد نفخوا في البوق وصاحوا: يحيا الملك سليمان، وروي عن هذا في سفر الملوك الأول في الإصحاح الأول"[58]

ويتحدث الأديب هنا وكأن الزمن يتوقف منذ عهد التناخ، فيربط بين الماضي الغابر البعيد في عهد المملكة اليهودية القديمة وبين دولة إسرائيل الحالية والقدس العربية المغتصبة، زاعمًا أن كل شي منذ عهد التوراة وحتى الآن كما هو لم يتغير البتة، وكأنه كما كان قديمًا (يهوديًّا فقط، حسب زعمهم) لم يدمر بفعل الزمن أو أحداث التاريخ الطويل.

ويهدف الأديب من هذا الربط بين الماضي والحاضر والادعاءات بأن كل شيء يهودي وملك لليهود، وإلى غرس مفاهيم صهيونية في الشباب الصاعد، وهي أن القدس ملكية يهودية، وحق ديني وتاريخي يهودي، فهي مكان المملكة القديمة وأن المدينة المقدسة حق ديني تاريخي لليهود، وأن القدس الشرقية بالذات التي تم احتلالها عام 1967 هي جزء لا يتجزأ من الملكية اليهودية وليس للعرب أي حق فيها؛ فهي مقر ومكان المملكة اليهودية القديمة.

الصراع على القدس

عندما ازدادت مطامع الصهاينة في فلسطين والقدس وكثفوا نشاطاتهم الإرهابية ضد

العـرب، وازدادت المصادمـات المسـلحة بـين الطرفـين، رفعت سـلطات الانتـداب قضية فلسـطين إلى هيئـة الأمـم المتحدة عام 1947، التي أصدرت قرار تقسـيم فلسـطين إلى دولة عربيـة ودولـة يهوديـة، "وعولجـت القدس معالجـة خاصة، حيـث نص قرار التقسـيم على تدويل القدس باعتباره أفضل وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية في المدينة المقدسة، كما نص القـرار عـلى منطقة القدس، لا مدينة القـدس وحدها، وجعلها تضم بلديـة القدس مضافًا إليها القرى المحيطة بها[59].

وعـلى الرغـم مـن أن القـرار يعتـبر ظلمًا للعـرب ونـصرًا منقطع النظـير للصهاينـة، إلا أن تصريحات زعماء الصهاينة عبّرت عن مطامعهم في فلسـطين والقدس ورفضهم للتقسـيم، فقـد عبّر الحاخام الصهيونى آبا هليل سـيلفر عن موقف الصهاينة من التقسـيم وقبولهم به عـلى اعتبـاره يمثل الحد الأدنى الذي يمكن القبول بـه. وأكد أن الشعب اليهودي قبل قرار التقسـيم على مضض لأنه ينطوي على التضحية بنصف مسـاحة الوطـن القومي اليهودي، وذلك في سبيل تحقيق الاستقلال وإقامة الدولة. بينما يعلن مناحيم بيغن ما يلي: "إن تقسيم الوطـن غير شرعي، ولن يعترف به أبدًا، وتوقيع المؤسسـات والأفراد على اتفاقية التقسـيم باطـل وهو لن يلـزم الشعب اليهودي بـشيء، القدس كانت عاصمتنا وسـتبقى كذلك إلى الأبد. إن شعب إسرائيل سوف يسترجع أرض إسرائيل، الأرض كلها وإلى الأبد[60]".

ومنـذ اليوم الذي صدر فيه قرار التقسـيم، كانت قيـادة الصهاينة قد خططت للقيام بهجوم واسـع قبيل الانسـحاب البريطاني لإحكام السـيطرة على المناطـق التابعة للدولـة اليهودية وفقًا لقرار التقسـيم، وكذلك السيطرة على بعض النقاط الاستراتيجية وطرق الاتصال بين المناطـق اليهوديـة والاسـتيلاء على القرى العربيـة التي تضمها هذه المناطق وطرد السـكان العرب منها، وبالفعل تم الاسـتيلاء على طبرية وصفد وحيفا ويافا، وعند إعلان قيام دولة إسرائيـل في 15 أيار/ مايـو 1948 كانـت القوات اليهوديـة قد دعمت قبضتهـا على مناطق الشريط السـاحلي وشرق الجليل وشـمال النقب، حيث أصبحت المناطـق اليهودية متكاملة ومترابطة إلى حد بعيد.[61]

وبالنسـبة للقدس، فقد تم الاستيلاء عليها بصورة مناقضة للقانون الدولي والأخلاقي، حيث اسـتولى اليهود في 1948 على مدينة القدس الجديدة (الغربية) وقسـم كبير منها عربي، بل وفيها أحياء جميع أصحابها وقاطنيها عرب. واسـتيلاء اليهود على هذه الأحياء العربية وانتزاعها من أصحابها لا مسوّغ له ولا سند، يضاف إلى ذلك أن القرى العربية المحيطة بالقدس التي ضمها اليهود وعدّوها بعد غزو 1948 جزءًا من المدينة الجديدة هي عربية صرف.[62]

وقد أدخل الاحتلال الإسرائيلي في القدس الغربية أراضي قرى فلسطينية قام بتدميرها بعد احتلالها وأقام عليها مباني الحكومة الإسرائيلية، بعد أن اغتصبها ونزع ملكيتها وشرّد أهلها: لقد أخلى الاحتلال الإسرائيلي القدس الغربية من جميع سكانها العرب وكان عددهم في 1948 يبلغ 35 ألفًا تم تشريدهم، ولم يسمح لواحد منهم بالعودة إليها وجلب المستعمرين اليهود إلى القدس.[63]

وعلى الرغم من حقيقة اغتصاب اليهود أكثر من 2, 66 بالمئة من المساحة الكلية لمدينة القدس، وإخلاء القدس الغربية من العرب وطرد أهلها منها في حرب 1948 إلا أن اليهود في تناولهم لقضية الصراع على القدس في مرحلة حرب 1948 تلك المرحلة الحاسمة والمهمة، فإنهم يقلبون الحقائق رأسًا على عقب، فينظرون إلى مدينة القدس بأكملها –الشرقية والغربية– على أنها مدينة يهودية خالصة ملك اليهود وأن العرب هم الجانب المعتدي الذي يهاجم اليهود الأبرياء ويحاصرهم ويعتدي عليهم، وهذا ما يدعيه الأديب في قصة עינים "عينان".

"في حرب 1948 كانت القدس الجديدة والقديمة– محاطة بالأعداء، وقد انقض عرب كثيرون على اليهود القليلين الذين سكنوا في المدينة القديمة[64]".

ثم يتحول الكاتب في قصة "نفتالي من القدس القديمة" للحديث عن المدينة الشرقية بالذات في هذه الحرب ووضع اليهود في المدينة، وما لاقوه من عناء وحصار، موضحًا للجيل الصاعد من الشباب الإسرائيلي مفهوم الحصار الذي واجهه اليهود في القدس في حرب 1948 من العرب والعناء الذي عانوه في قلب صارخ للحقائق وتزييف الوقائع والأحداث الفعلية التي وقعت في حرب 1948.

"كان هذا حصارًا حقيقيًّا، بداية لم يفهم الأطفال ماذا يعني حصار. المعلم الذي درس لهم في البيت، قبل أن يستدعى أيضًا للخروج إلى نوبة حراسة محلية قد شرح لهم، فأخذ ورقة ورسم عليها القدس القديمة، الأحياء العربية وفيها الحي اليهودي، رسم خطًّا حول الحي اليهودي أحمر وثقيلًا، على الخطوط رسم صلبانًا صغيرة وكثيرة، وقال أترون الخط الأحمر من جميع الجهات؟ خلف هذا الخط يقيم الأعداء. هذه الصلبان الصغيرة هي مواقع العرب. للعرب اتصال بالعالم ولديهم طريق للوصول خارج مدينتهم. نحن يهود القدس القديمة ليس لنا اتصال حتى مع إخواننا المقيمين في القدس الجديدة القريبة منا.

القدس الجديدة هي قريبة منا لكن في الحقيقة هي الآن بعيدة عنا. للعرب آلاف كثيرون من

الناس الذين يريدون محاربتنا وطردنا من هنا ونحن قلة. القلة لن تستسلم للكثرة، فنحن على حق لأن بيوتنا هنا وهذه مدينتنا، لذلك لن نرضخ ولن نكون جبناء. قال نفتالي: مثل المكابيين.

حقًّا أيها الصبي الحبيب مثل المكابيين. القليلون الذين على حق استبسلوا وضربوا الكثرة الشريرة وانتصروا عليهم، وسيكون أيضًا هذا الآن، وليساعدنا الله."[65]

ويهدف الأديب ما سبق إلى ما يلي:

- تزييف واضح للحقائق وقلب لأحداث التاريخ، فيدّعي حصار العرب لليهود في مدينة القدس.

- محاولة الأديب ترسيخ فكرة أن اليهود أقلية على حق تحارب أكثرية على باطل في عقلية الشباب الإسرائيلي الصاعد.

- ترسيخ فكرة الحق اليهودي في القدس الشرقية العربية، وتعميق هذا الادعاء في عقول الشباب والدعوة للاستبسال للدفاع عن هذا الحق المزعوم.

- تصوير الجانب العربي في صورة الوحش المعتدي الذي أراد الفتك باليهود والاستيلاء على حق الأقلية اليهودية في المدينة الشرقية.

ويؤكد الأديب باطلًا- على حال اليهود أثناء هذه الحرب ومدى صمودهم وثباتهم وتحملهم المصاعب الكثيرة أثناء هذا الصراع وأثناء الحصار متمسكين بحقهم في القدس الشرقية، ويصف مدى تحملهم الجوع والعطش أثناء حصار العرب لهم وما يعانونه من ويلات الحرب والصراع من أجل هذه المدينة وتحملهم من أجلها.

"لقد شدد العرب الحصار. أيضًا القوافل التي كانت تصل إلى الحي اليهودي في المدينة المقدسة من المدينة الجديدة، مرة كل ثلاثة أيام لم تعد تصل، وكل الطعام الذي كان في المنزل تم تقسيمه إلى وجبات صغيرة ويتم تناول الطعام مرتين فقط في اليوم. كان الآباء والإخوة البالغون يأكلون مرة واحدة فقط في اليوم. وقد قرؤوا صلاة القدوس في أيام السبت على الخبز، لأن الخمر قد نفد منذ فترة، والطفل الذي يطلب من أمه كسرة خبز أخرى أو طماطم صغيرة لم يكن يغضب إذا ما أجابته أمه بأنه لا يوجد"[66].

ويستمر الأديب في تكملة الادعاءات الباطلة التي تصف كذبًا صمود الجانب اليهودي في القدس الشرقية، وهم أقلية أمام أكثرية عربية شريرة يصفها بالمعتدية والمقدرة بالآلاف، واصفًا الشجاعة التي تحلى بها اليهود في الدفاع عن القدس الشرقية وصمودهم واستبسالهم في الدفاع عنها، هادفًا من ذلك إلى زرع روح البطولة والحماس في نفوس الشباب الإسرائيلي للتمسك بالقدس الشرقية العربية والاحتفاظ بها. ويؤكد على مزاعمه في أكثر من موضع.

"الوضع في المدينة القديمة قد تغير؛ لا سلام ولا هدوء، لم يذهب الناس إلى العمل، ولم يذهب الأولاد إلى المدرسة، وفتحت المحلات ساعة واحدة فقط في اليوم وسار الناس بجوار الجدران لكي لا يصابوا من الطلقات، توقع العرب بذلك أن يهرب اليهود من شدة الخوف ويتركوا المدينة القديمة وينتقلوا جميعًا إلى المدينة الجديدة، لكن أبناء القدس القديمة أحبّوا مدينتهم ولم يتركوها، كان العرب يصعدون على أسطح المنازل ويطلقون من هناك إلى داخل بيوت اليهود ماذا فعل اليهود، ملؤوا جولات رمل وأغلقوا كل نافذة بجولات رمل. مرة تلو مرة صعد اليهود فوق الأسطح، أطلقوا على العرب فهربوا. كان يهود المدينة القديمة أبطالًا، قليلون صمدوا أمام كثيرين، كما كان في عصر المكابيين.[67]

وهنا يصف حالة اليهود وقت الحصار العربي وشجاعتهم واستبسالهم في الدفاع عن القدس القديمة. ويوضح هنا الأديب التشبث اليهودي بالقدس الشرقية والحق اليهودي المدّعى في القدس الشرقية وصمودهم في صراع حرب [67] وتمسكهم بها، فهي كما يدّعي الأديب باطلًا مدينتهم التي أحبوها والتي يدافعون عنها أمام الهجوم العربي الغاشم والذي يصفه بصمود اليهود أمام الاحتلال اليوناني.

ويربط هنا الأديب الماضي الغابر بالحاضر وبطولة يهودية زائفة قديمة ببطولة يهودية حالية مصطنعة، في محاولة لقلب حقائق تاريخية واضحة وفي محاولة إرساء وغرس قيم الشجاعة والإقدام والبطولة في روح الشباب الصاعد من أجل التمسك بالقدس الشرقية المحتلة وانتزاعها من العرب بلا تردد، مؤمنين بأنها حقهم المسلوب الذي يجب أن يعود إليهم من العرب الغزاة الذين يشبهون اليونانيين الغزاة الذين احتلوا القدس من قبل.

ومن أجل الأهداف التي ذكرناها، فإن الأديب يصور العرب في صورة الجانب المعتدي الذي يهدف من حصاره للقدس الشرقية إلى الضغط على اليهود وطردهم من مدينتهم، كما يدّعون، والاستيلاء على أملاك اليهود وحيّهم ومعابدهم والسيطرة على حائط البراق، والذي يدعون بأنه من ممتلكاتهم الدينية.

"يريد العرب تجويعنا، إنهم متأكدون أن اليهود سيتوسلون أمام الإنكليز لكي يساعدوهم على الخروج، وأن يظل كل الحي والمعابد وحائط البراق للعرب، إنهم يريدون طرد اليهود دون حرب من القدس القديمة"[68].

ولاشك أن ما فعله اليهود وما زالوا يفعلونه كل يوم في القدس –الشرقية والغربية من قبل– يعكسه الأديب في قصصه ولكن مع قلب للحقائق تمامًا، حيث إنه يقلب الأدوار والحقائق متّبعًا سياسة الإسقاط لخداع الجيل الصاعد تاريخيًّا.

ويزيف الأديب الحقائق، فيصور القدس الشرقية كمدينة يهودية تسقط في يد العرب أثناء حرب 1948 بعد دفاع اليهود عنها ببسالة، فهي، كما يصور للشباب الصاعد حتى سقطت في أيدي العرب فقتلوا الشباب وأسروهم وطردوا النسوة والشيوخ إلى المدينة الجديدة الغربية، ويظهر ذلك في قصة עיניים "عينان".

"انقض عرب كثيرون على اليهود القليلين الذين سكنوا في المدينة القديمة، الرجال والنساء والأطفال الذين دافعوا ببسالة عن مدينتهم قد قُتلوا في هذه الحرب، وقد طرد العرب المغيرون اليهود من بيوتهم الذين في المدينة القديمة. وقد أخذوا المحاربين الشباب أسرى وطردوا النساء والشيوخ إلى المدينة الجديدة. وقد نزل الشيوخ بألم وبكاء"[69].

ويؤكد الأديب في قصة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي من القدس القديمة" مصير القدس الشرقية في هذا الصراع، حيث سقوطها في يد العرب والاستيلاء على الحي اليهودي وانتقال اليهود إلى أحياء القدس الغربية.

"الآن يقيم نفتالي في القدس الجديدة. زمن طويل مرّ منذ ذلك اليوم المرّ، دافع اليهود ببسالة عن مدينتهم وعن حيّهم الصغير. دافعوا عن كل بيت، كما واصل الجرحى الحرب وقتل العرب الذين انقضوا عليهم وسقط المحاربون القليلون الذين ظلّوا على قيد الحياة في أسر الأعداء وانتقل الأطفال، بمن فيهم نفتالي وزملاؤه، مع أجدادهم للسكن في حي قطمون في القدس الجديدة".[70]

وأمام التشبث الإسرائيلي المزعوم بمدينة القدس القديمة الشرقية، لابد أن نوضح عدة حقائق مهمة، تُظهر لنا زيف ادعاءات اليهود، وهي أن سكان القدس القديمة كانوا حسب إحصاء 1947 نحو 33,600 عربيًّا مقابل 2,400 يهوديًّا، أي نحو سبعة بالمئة.[71]

وقبل عام 1948 كانت الملكية اليهودية على الأرض بالقدس أقل من ثلاثة بالمئة، وحتى

الحي اليهودي من البلدة القديمة كان يهوديًّا بالاستئجار بصورة رئيسة؛ فأغلبية الحي كانت تخص عائلات مقدسية قديمة بصفة وقف إسلامي، وفيما يخص القدس الغربية فإن الأملاك التابعة لليهود فيها قبل حرب 1948 لم تتعد في مجموعها 20 بالمئة والباقي يخص فلسطينيين مسيحيين ومسلمين وهيئات دولية مسيحية، وكان هذا القطاع يضم الأحياء الفلسطينية الأكثر ثراء، وكذلك أغلبية القطاع التجاري الفلسطيني.[72]

ونتيجة لحرب 1948 وما يتبعها من تقسيم القدس عبر سقوط الأحياء الغربية من المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي وتفريغ هذا الجزء من السكان الفلسطينيين، فقد فرغ شرق المدينة من السكان اليهود وأصبحت حارة اليهود فارغة بالكلية.[73]

ونجد أن القدس كلها شرقية وغربية عربية خالصة ولا حق لليهود فيها مطلقًا وقد استولوا على مدينة القدس الغربية بعد أن طردوا أهلها وقتلوهم وشردوهم واغتصبوا أملاكهم وحقوقهم وأراضيهم.

وأما القدس الشرقية القديمة فكانوا أقلية فيها لاتملك أي شيء، وكانت أملاكهم وقفًا إسلاميًّا لاحق لهم فيها. فلا حق لهم في شرق المدينة أو غربها، وإنما هي ادعاءات باطلة رددوها وعملوا على الدعاية بحقهم في القدس الشرقية لسببين:

السبب الأول- ينسي العرب حقوقهم المسلوبة في القدس الغربية ولايطالبوا بالحق العربي في غرب المدينة، وقد نجحوا بالفعل في ذلك مع مرور الوقت وترويج الادعاءات الصهيونية الباطلة بيهودية القدس الغربية، وأنها منطقة يهودية خالصة خاصة باليهود، صمت العرب عن المطالبة بحقهم المشروع في القدس الغربية.

والسبب الثاني: هو أن يستولوا على القدس الشرقية رويدًا رويدًا ويضفوا عليها الطابع اليهودي من خلال الاستيطان المنظم فيها وطرد العرب منها وسلبها من العرب، كما فعلوا في القدس الغربية.

وهم يزرعون في الجيل الصاعد هذه الأفكار ليؤمنوا بها ويدافعوا عن حقهم المزعوم في القدس الشرقية العربية وليغتصبوها من العرب كحق مشروع لهم من خلال الادعاء بأنها يهودية والحق اليهودي فيها، والادعاء بأن اليهود في القدس الشرقية تم اضطهادهم وحصارهم وطردهم من مدينتهم- كما يدعون- وأن من حقهم العودة إليها ثانية لأن هذا حقهم المشروع حسب زعمهم.

ويؤكد الأديب على هذا الفكر الصهيوني العنصري، فيظهر مدى معاناة اليهود الذين تركوا القدس الشرقية وانتقلوا للحياة في القدس الغربية ويتطلعون للعودة إلى المدينة القديمة ويتملكهم الشوق والحنين إليها على الدوام.

"يصعد نفتالي مع والده سبت على الأقل من كل شهر على جبل صهيون، ذلك الجبل القريب من الحي اليهودي في المدينة القديمة، يقف نفتالي ساعات كاملة ويلقي بنظره على شوارع الحي اليهودي القريب البعيد عنه، فيرى جيدًا جدار المخابئ وبقايا المعابد الجميلة، بحزن بالغ يلقي بنظره على تلك الأماكن التي يعرفها جيدًا والمقربة إليه للغاية ولا يستطيع الوصول إليها"[74].

ويؤكد الأديب الحنين الذي يتملك اليهود الذين تركوا القدس القديمة وحلم العودة إلى هذه المنطقة بالذات دون غيره ولا يقبلون الحياة حتى في القدس الجديدة، لكنهم يتطلعون إلى القدس القديمة بالذات.

"من وقت لآخر تطلعوا للعودة إلى الحي اليهودي في القدس القديمة، كانوا متأكدين أنه لن يطول الوقت ويعود اليهود للعيش في المدينة القديمة، لكنهم لم يعرفوا متى بالضبط".[75]

ويؤكد الأديب على تشبث اليهود بالقدس الشرقية العربية، ويرى أن في عودتها إلى اليهود وعودتهم إليها خلاصًا لهم، مضيفًا بذلك بعدًا دينيًّا عقائديًّا للتمسك اليهودي بهذه المدينة.

"سينفخ النبي إلياهو في هذا البوق، وبهذا يبشر بمقدم المسيح. وفي اليوم الذي سيأتي فيه المسيح سنسير كلنا من القدس الجديدة ونعود إلى مدينتنا القدس القديمة نطلب المغفرة من حائط المبكى، لأنه رغمًا عنا تركناه وقتًا طويلًا، عندئذ سنبني الهيكل وأتمنى أن يكون هذا بسرعة وفي عصرنا".[76]

ويطرح هنا الأديب فلسفة جديدة في تشبث اليهود بالقدس القديمة؛ حيث إنه يعتبر استيلاء اليهود عليها هو بمثابة خلاص لليهود وللقدس ومقدم للمسيح المخلص، فعقيدة الخلاص تتحقق من خلال عودة اليهود للقدس أو عودتها إليهم كما يزعم، في ربط واضح بين الدين والسياسة، فيجعل المفاهيم الدينية في خدمة الأهداف السياسية، كما يفعل الصهاينة على الدوام، حيث إنهم يستغلون الدين ويسخرونه بشكل مغلوط لخدمة أهدافهم السياسية.

إن طرح الأديب لقضية الصراع العربي- الصهيوني على القدس في قصصه التي يكتبها للشباب طرح أيديولوجي مخطط، فهو لا يعرض القضية على أنها حق يهودي في مدينة

القـدس الشرقيـة فقط، بل إنه أيضًا يهدف إلى طمس الحـق العربي تمامًا في المدينة، فيصورها عـلى أنهـا مدينة يهودية تعرضت لهجمة مسـتعمر أو غازٍ غزا المدينـة واحتلها واغتصبها من أهلهـا، فقتـل مـن قتل وأسر مـن أسر وطرد مـن طرد، إنه عـرض منهجي ومنظـم للجيل الصاعـد قالبًا لهم الحقائق رأسًـا على عقب، كما تفعل على الـدوام الدعاية الصهيونية بهدف أن يتمسك الجيل الصاعد بهذه الادعاءات ويتخذوها كحقائق ثابتة لا مجال للشك فيها.

والأديـب وأمثالـه يتجاهلـون الحقائـق الواضحـة وضوح الشمـس، وهـي أن قبل 1948 وبمسـاعدة الاسـتعمار البريطاني وأثناءه قاموا باحتلال واغتصاب القدس الغربية وسبعين بالمائة من أراضي فلسطين، ولقد طرد اليهود في عام 1948 مليون عربي بلا رحمة عن وطنهم ودفعـوا بهم إلى البؤس والشقـاء والموت، وارتكبوا كل جريمة ببسـاطة حتى جريمة القتل الجماعي وإبادة الشعوب.[77]

ولقـد قامت العصابـات الصهيونية بارتكاب عدد من المذابح الوحشية ضد سـكان القرى والمـدن العزّل من السـلاح، وأهمها مذبحـة يافا ومذبحة دير ياسـين[78] وغيرها من المذابح البشعة التي ذبحوا فيها عشرات الآلاف من العرب بلا رحمة.

واستخدمت إسرائيل كل الوسائل والأساليب الإرهابية في القدس الشرقية منذ احتلالها في حرب 1967 ولا تزال تستخدمها حتى اليوم، فقد تم هدم الأحياء وتشريد الناس ومصادرة الأراضي، واسـتعمال حجة المناطق الأثرية للحفر والتنقيب تحت المسـجد الأقصى، وجلب مستعمرين مستوطنين يهود إلى القدس بعد طرد أهل القدس العرب.[79]

ولازالـت عملية الاسـتيطان اليهودي في القدس العربية مسـتمرة ومصحوبـة بطرد أهلها العـرب منهـا وتشريدهم، ولـو أن الأديب صادق مع نفسـه ما قلب الحقائـق بهذا الشكل، ولكن شـأنه في هذا شـأن المسـتعمر المغتصب الـذي يضع المنطق ويخلق الذرائـع الكاذبة لما يقوم به من اسـتعمار وسرقة وما يرتكبه من مذابح وتشريد، وهو يريد أن يغرس هذا الفكر العنصري في الجيل الصاعد.

الخاتمة

- أثبتـت الدراسـة أن مدينة القـدس هي مدينة عربية خالصة وبشـكل قاطع لايدع أى مجـال للشك، فقد أسسـها العرب قبل ظهـور بني إسرائيل فيها بحـوالى ألفي عام، وأن الوجـود الإسرائيـلي فيها عبارة عن برهة في عمر الزمن ولحظة لاتحسـب مطلقًا في عمر الأمم والممالك.

– اهتمت الصهيونية بالشباب اليهودي في مقتبل العمر، فعملوا على تأسيس تنظيمات خاصة بالشباب، أصدرت عنها مجلات أدبية، ومن خلالها عملت على بث فكرها وأيديولوجياتها في الجيل الصاعد من الشباب.

– اهتم الأدب العبري على اختلاف مراحله بالشباب الصاعد، فصدرت أعمال أدبية خاصة بهذه المرحلة العمرية، وقد استخدم هذا الأدب الموجه للشباب لبث الفكر الصهيوني وأهداف الحركة الصهيونية.

–عمل الأديب على إثبات أن للقدس مكانة دينية مهمة لدى اليهود، في محاولة منه لربط اليهود في كل بقاع العالم بالقدس ربطًا وثيقًا وإيهام الجيل الصاعد بأن اليهود في كل مكان يرتبطون بالقدس ويتطلعون للهجرة إليها والعيش فيها والدفن فيها، هادفًا بذلك إلى تعميق مشاعر حب القدس لدى الجيل الصاعد وأنها تستحوذ على ألبابهم ليتمسكوا بها بعد اغتصابها من العرب.

–عرض الأديب واقع حياة اليهود في القدس، فحرص على وصف القدس القديمة والجديدة بما تحويه، من قديم وجديد، من فقر مدقع ليهود يعيشون على صدقات وتبرعات، في أكواخ متهالكة إلى شوارع كبيرة فخمة وأحياء جديدة فيها شوارع واسعة وحياة عصرية حديثة.

– حرص الأديب على خداع الشباب الصاعد بإيهامه بأن استيطان اليهود القدس الغربية يعد عملًا بطوليًّا وجرأة من اليهود، مخفيًا عنهم حقيقة أن هذا الاستيطان جاء على حساب قرى وأحياء عربية كاملة. فحرص على عدم ذكر الحقيقة للجيل الصاعد لكي لا يشعر بالورطة الأخلاقية أو تأنيب الضمير، وأن يلتزم بالصمت تجاه الحق العربي التاريخي الواضح في القدس الغربية.

– أسهم الأدب المكتوب لهذه المرحلة في ترويج الأباطيل التي يدعيها اليهود حول حائط البراق؛ فصوره على أنه رمز ومعلم ديني يهودي، يجمع حوله اليهود من كل حدب وصوب على اختلاف أنواعهم، وربط اليهود بهذا الحائط مدّعيًا أنه ملك لليهود وحق من حقوقهم الدينية في القدس الشرقية ولا منازع لهم فيه، زارعًا بذلك في عقلية الشباب الصاعد فكرة أن الهجرة إلى القدس وامتلاك حائط البراق حق مشروع لليهود ولا جدال فيه، والهدف من ذلك غرس فكرة أن يتمسك الجيل الصاعد بهذه المنطقة، وبهذا الجزء الذي هو جزء من الحرم الشريف للسيطرة على القدس الشرقية المحتلة عام 1967.

-ربـط الأديـب بين مـاضي اليهود الغابـر عصر المملكـة وداود الذي هـو برهة في عمر الزمـن بالحـاضر الحالي والهدف منه تضليـل الجيل الصاعد وترويـج الادعاء الصهيوني اليهـودي الباطل بأن القدس مدينـة يهودية خالصة وخاصة باليهود وأنها حق لهم فهي، كـما يـروج الأديب، مدينتهم المقدسـة وعاصمة ملكهم القديم ويجـب أن تكون كذلك في العـصر الحاضر، وحـاول ترويج، بين الشبـاب الصاعد، لفكـرة أن القدس الشرقية بالـذات يهوديـة خالصة وأنهـا من حق اليهـود وكأن القرون الكثيرة بـين عصر المملكة والعـصر الحـاضر قد توقفـت أو كأنها لم تكن مدللًا على تلك الأباطيل وينسـب كل أثر ومعلم في القدس الشرقية إلى اليهود، مدللًا على ذلك بفقرات كاملة من التوراة المحرفة، هادفًـا من ذلـك تضليل الجيل الصاعد ليتمسـك بالقدس الشرقيـة المحتلة وعدم ردها للعرب تحت دعوى أنها يهودية خالصة منذ عصر المملكة القديمة ولاحق للعرب فيها- وعمـل الأديب على تضليل الجيـل الصاعد من الشباب الإسرائيلي أثنـاء تناوله القضية الـصراع على مدينـة القدس، فقلب الحقائق رأسًـا على عقب، فصـوّر العرب في صورة الوحـش المعتدي الكثير العدد والعتاد والـذي يريد الفتك باليهود واغتصاب حقهم في مدينتهـم القدس وطردهـم منها، في حين أن اليهود -كما صورهـم- حمل وديع وبريء معتدى عليه وقلة قليلة، يدافعون باستبسـال عن مدينتهم المقدسـة وحقوقهم فيها أمام العـرب الغزاة المحتلين، قالبًا بذلك حقائق تاريخية واضحة وضوح الشمس، هادفًا من هـذه الأباطيل لزرع فكرة الحق اليهـودي المزعوم في القدس الشرقية المحتلة لدى الجيل الصاعـد لكي ينشأ جيل صاعد مؤمن بهذه الأكاذيـب فيتشبث بالقدس العربية المحتلة ولا تعـود إلى أصحابهـا العرب مطلقًـا، فيؤمن بأنها أرض يهودية عـادت إلى اليهود ولا حق للعرب فيها، كما هدف من ذلك إلى وضع تبرير أخلاقي ومنطقي للجيل الصاعد لما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة والقدس الشرقية من اسـتيطان ومصادرة أراضٍ عربية وطرد وتشريد وقتل جماعي للعرب وتهويد القدس الذي يسـير في خطا حثيثة.

- أثبـت البحـث أن الأدب المكتوب لهذه المرحلة العمرية هـو أدب موجه يهدف إلى خداع الجيل الصاعد وتضليله، فهو أدب يقلب الحقائق رأسًـا على عقب ويخدع النشء من خلال عـرض اختـلاق أحـداث مغلوطة وزيف مصطنـع عكس الواقع لإشـباع الجيـل الصاعد بهـذه الأكاذيب لتتحـول لديه إلى حقائق ثابتة راسـخة مزعزعة، ويتخذ مـن هذه الأباطيل أيديولوجية وعقيدة ثابتة يدافع عنها.

الهوامش

1 – فاروق عز الدين: القدس تاريخيًّا وجغرافيًّا مكتبة الأنكلو المصرية 1981 مصر ص 16.

2 – للمزيد انظر: فؤاد حسنين علي: إسرائيل عبر التاريخ. دار النهضة العربية القاهرة د.ت.

وانظر أحمد صدقي الدجاني: قراءة للوجود اليهودي في القدس. مجلة القدس العدد السابع مركز الإعلام القاهرة: تموز/ يوليو 1999.

3 – اسحق موسي الحسيني: عروبة بيت المقدس: منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث– بيروت 1969 ص 12.

4 – صابر طعيمة– التاريخ اليهودي العام– دار الجليل. بيروت، 1991 ص 152.

5 – فاروق محمد عز الدين: القدس تاريخيًا وجغرافيًا. ص 41.

6 – ولد يونا كوهي علم 1920 وقد تلقى في بداية حياته تعليمًا دينيًّا، حيث درس في مدرسة تلمود توراة ومدرسة بورات يوسف الدينية في القدس القديمة، وهو مرشد في حركة الشباب الدينية "بني عقيبا"، مرشد مبعوث من قبل المؤسسات القومية لشؤون هجرة وتعليم في بلدان سوريا، إيران، ليبيا، تونس والجزائر.

وهو أديب جريدة הצופה منذ تأسيسها عام 1938، مراسل برلماني منذ يوم عقد دورة الكنيست الأولى ومراسل شبكة الإذاعة. نشر مقالات كثيرة في مجلات مختلفة في إسرائيل وخارجها، أهم الكتب التي أصدرها هي:

- "بين المواطن والدولة" عبارة عن حوارات للمرشدين حول موضوع الجنسيو المواطن.
- "عيون" و"يوسهلاه" كتابان للأطفال.
- "حرب النجمة والخلاص" حول حرب 1997.
- "حاخام جرشون من نبع شمعون" واقع حي القدس.
- "فصول في تاريخ الحركة الدينية القومية".
- "إسرائيل المواطن والدولة".
- "الكنيست، مناقشات وابتسامات"، وقد حظي عنه بجائزة في عام 1973.
- "القدس في الحصار".
- "الحاخام يهودا حلي القلعي".
- "ماهية الهوية والحق".

7 – أمل عبد العزيز عيد، فوزية فهيم: الآثار النفسية والتربوية لما يقدم للطفل. هيئة الاستعلامات 1983 ص 10.

8 – محمود حسن إسماعيل، محمود أحمد مزيد: أدب الأطفال وتطبيقاته العلمية. القاهرة ص 16.

9 – אופק אוריאל: ספרות הילדים העברית , ההתחלה. הוצאת מפעלים אוניברסאיים. 1979. עמ" 149 – 150.

10 – שם. עמ" 151.

11 – אופק אוריאל: ספרות הילדים העברית.1948 – 1988 , 1900 עמ"598.

12 – שם. עמ" 601.

13 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר , הוצאת עם עובד. תייא. 1985. עמיי 11 – 12.

14 – שטינברג יעקב: כל כתבי יעקב שטיינברג: הוצאת דביר. תשי"ז. עמ"69.

15 – للمزيد انظر: גוברין נורית: שורשים וצבריות. 1981 עמיי 69.

وانظر محمد محمود أبو غدير: القصة العبرية وأوضاع اليهود في فلسطين. القاهرة 1987 ص 46–46.

16 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר , עמי 13.

17 – שם. עמי 13.

18 – עוז עמוס: באור התכלת היזה , מאמרים ורשימות. הקבוץהארצי , ת"א. 1979. עמי 207

19 – ברזל הלל: ששה מספרים. אנתולוגיה. משרד החנוך בשתוף יחידיו , ת"א. תשל"ב. עמי 146.

20 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר. עמיי 14

21 – שם. עמי 14

22 – כהן דוד: כותל הדמעות. דבר לילדים 1975. 1 – 8

وانظر: כהן דוד: החשמונאים הצעירים. דבר לילדים. 1972 – 2 – 11

23 – חביב יפרח: שכור לכל החיים , הארץ שלנו ,– 1975 – 4 – 6

24 – מינץ רחל: נעלה לירושלים. דבר לילדים. 1975 – 11–11

25 – גלוזמן שרה: אהוד עולה לירושלים. דבר לילדים. 1980 – 5 – 22

26 – محمد خليفة حسن: دراسات في تاريخ وحضارات الشعوب السامية القديمة: دار الثقافة– القاهرة 1985 ص 177.

وانظر: محمد خليفة حسن: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضاراته. 1995 ص 236.

27 – محمد عبد الوهاب المسيري، سوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية– مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975 ص 364 – 365.

28 – כהן יונה מטהרן לירושלים ועוד ספורים לבני הנעורים.קרית ספר.ירושלים.1980.עמ"27

29 – כהן יונה: מטהרן לירושלים.עמיי 55

30 – محمد عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 188.

31 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ"55 – 56

32 –שם.עמ" 92_93

33 – שם.עמ" 55

34 – שם.עמ72"

35 –שם.עמ 69"

36 – فرانك.أ مانويل: بين أميركا وفلسطين ترجمة يوسف حنا. عمان 1967 ص 15.

37 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ" 65–66

38 – שם.עמ"63

39 – שם.עמ"65.

40 – نظمي الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس– مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 50 ربيع 2002، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ص 104.

41 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ"20

42 – שם.עמ"65

43 – اسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، ص 19.

44 – محمد صالح توفيق: أسماء القدس عربية مجلة الدراسات الشرقية– عدد 26 ص 45.

45 – محمد عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. ص 164.

46 – حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي– دار القلم– دمشق 1987 ص 37، 38.

وانظر محمد جلاء إدريس: أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي– مركز الإعلام العربي– القاهرة ص 123.

47 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ"71

48 – שם.עמ"73

49 – שם.עמ"56

50 – حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي. ص 3.

51 – محمد جلاء إدريس: أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي. ص 122.

52 – إسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 22 – 31.

انظـر: زينب راشـد وآخـرون: الصهيونية، دراسـة تاريخية وفكريـة. مطبعة الجبـلاوي، القاهرة، ص 153,152.

53 – للمزيد انظر: زينب راشد وآخرون: الصهيونية ص 153.

54 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ" 58

55 – سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية. ترجمة يعقوب بكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997 ص 115.

56 – إسماعيل راجي الفاروقي: أصول اليهودية في الدين اليهودي. مكتبة وهبة القاهرة. ص 60.

57 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ" 60

58 – שם.עמ"71

59 – سـمير الزبن: مركزية القدس في الصراع– مجلة شـؤون الأوسـط– عدد 72 أيار/ مايو 1998 – مركز الدراسات الإستراتيجية– بيروت ص 69.

60– beigin menachm:The revolt.story of the irgun.new york. 1951.p.335

وانظر: أسعد رزوق: الصهيونية وحقوق الإنسان العربي منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث– بيروت ص 152.

61 – نادية عز الدين رفعت، عمرو كمال حمودة– المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. سينا للنشر– القاهرة 1999 ص 88–89.

62 – إسحاق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 20 – 21.

63 – أحمد صدقي اللجاني– خطر الاستيطان الصهيوني في البلدة القديمة في القدس – مجلة القدس. العدد التاسع، أيلول/ سبتمبر 1999. مركز الإعلام العربي. القاهرة ص 8.

64 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ" 66.

65 – שם.עמ" 80

66 – שם עמ" 79

67 – שם.עמ" 73 – 74

68 – שם.עמ" 79

69 – שם.עמ" 66

70 – שם.עמ" 80

71 – إسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 48.

72 – أحمد صدقي الدجاني: خطر الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس 7–8.

للمزيد انظر: إسحاق موسى الحسيني، عربية بيت المقدس ص 18 – 19.

73 – نظمى الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهود في البلدة القديمة في القدس ص 105.

74 – כהן יונה: מטהרן לירושלים. עמ"81

75 – שם.עמ"66

76 – שם.עמ" 82

77 – فرانتز شايدل: إسرائيل المعتدية. ترجمة محمد جديد– وزارة الثقافة، دمشق 1970 ص 65.

78 – للمزيد حول مذابح اليهود ومذبحة دير ياسين بالذات انظر: جاكي رينيه: القدس 1948. ترجمة وتقديم نبيل سعد. دار أخبار اليوم. القاهرة– 2000. ص 57–69.

79 – للمزيد حول مطامع إسرائيل في القدس الشرقية وما تتبعه من سياسة التهويد فيها منذ احتلالها في 1967 وحتى الآن انظر:

– بلال الحسن: التهويد والتهجير وضرورات المواجهة السريعة مجلة العربي، الكويت. العدد 293 نيسان/ أبريل 1983 – ص 56.

نظمي الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس– مجلة الدراسات الفلسطينية ص 108 – 109.

عبد القادر ياسين: اللمسات الأخيرة لتهويد القدس. مجلة القدس– العدد الخامس أيار/ مايو 1999. مركز الإعلام العربي. ص 63 – 65.

. أحمد صدقي الدجانى: خطر الاستيطان اليهود في البلدة القديمة في القدس. مجلة القدس. ص 7.

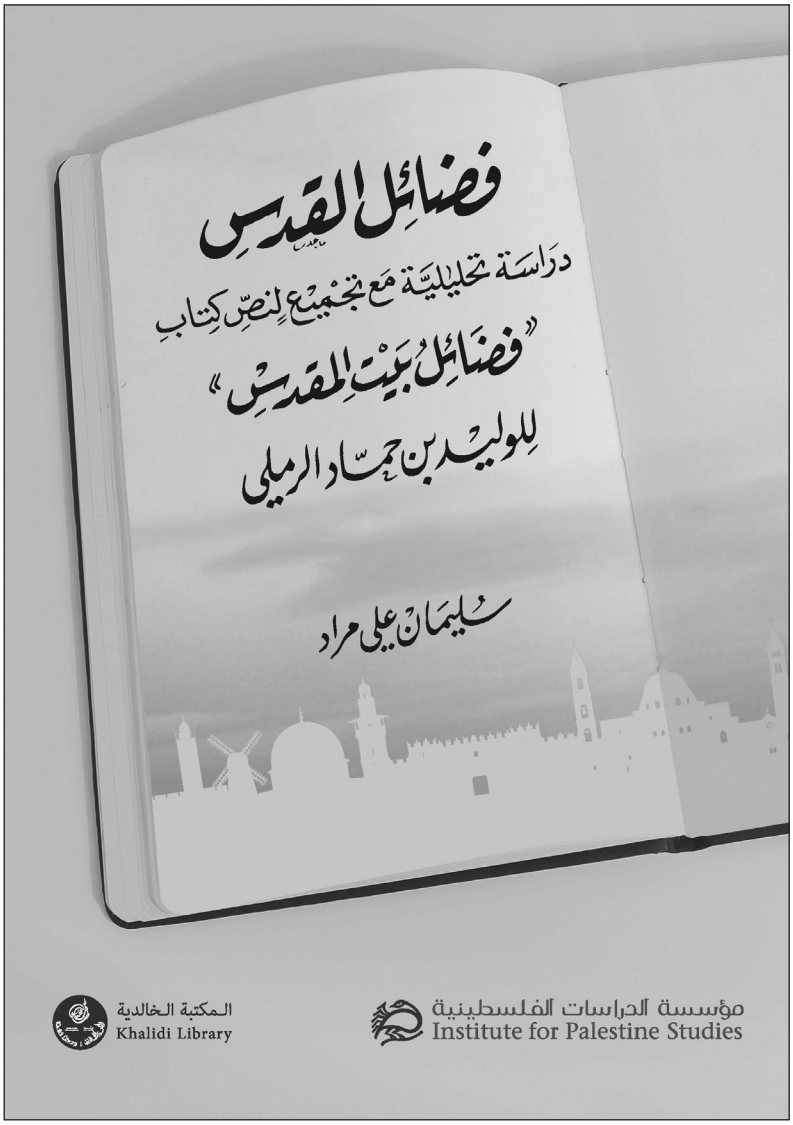

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

سياسات الاحتلال الإسرائيلي وتأثيرها على التعليم في مدينة القدس المحتلة

د/ محمد فتحي شقورة

مقدمة

يواجه التعليم في فلسطين تحدّيات كثيرة تستهدف تعطيل المسيرة التربوية، وخصوصًا في المناطق التي لا زالت خاضعة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي والتي تسمى مناطق (ج) أو في البلدة القديمة في مدينة الخليل والتي تسمى H2،H1، وكذلك مدينة القدس وضواحيها، فالحواجز والإغلاق والجدار، ومحاولات النيل من التعليم في القدس وشطب جزء كبير من مكوّنات الكتب محاولات لم تتوقف، واستمرار الحملات الشرسة لتهويد مدينة القدس وخصوصًا الأماكن المقدسة فيها.

لقد أدرك الاحتلال أن الوصول لطمس الهوية الفلسطينية سيكون من خلال احتلال جديد بسياسة جديدة، هو احتلال العقول للأجيال الناشئة حتى يستمر احتلال الأرض، فعملوا على تحقيق أهدافهم في الوصول إلى وعي الإنسان من خلال عدة محاولات لاحتلال العقول ونزع الذاكرة المتعلقة بالهوية الفلسطينية، عندما أدرك المحتل أن التعليم هو المحرك الأساسي للعمل الوطني والنضالي ضد الاحتلال. لذا عمل من البداية على فرض مناهجه على طلبة القدس، وتمت مواجهته برفض شعبي ووطني من أبناء القدس وأجبر على أثره للتراجع عن مخططه وأعاد التدريس بالمنهاج العربي الذي كان في ذلك الحين المنهاج

الأردني، ولكنه أعاد المحاولة مرة أخرى عندما شعر بأن المنهاج الفلسطيني يكرس الهوية ويمهد لإنشاء دولة فلسطينية عاصمتها القدس.

وفي سياق ذلك، اتبعت إسرائيل خطة محكمة لتدمير قطّاع التّعليم في القدس من خلال ضرب محاوره الرئيسة الثلاثة وهي: المعلم والطالب والمنهاج، إذ تقوم سلطات الاحتلال بوضع العقبات المختلفة أمام الطالب لكي لا يحصل على حقه بتعليم إلزامي مجاني جيد، ضاربة بعرض الحائط جميع القوانين والمواثيق الدولية التي تضمن له هذا الحق، ومتغاضية عن مسؤولياتها القانونية تجاه شعب محتل، كما تحرمه من الوصول إلى مدرسته بسهولة.

أولًا: واقع التعليم في القدس المحتلة

تعتبر القدس بتاريخها القديم وواقعها المعاصر من أهم مراكز التعليم في فلسطين والذي يضمّ أفضل المؤسسات التعليمية، هذه المركزية تماثلت مع الأهمية السياسية، الاقتصادية والخدماتية للمدينة التي شكّلت العاصمة غير المعلنة للشعب الفلسطيني منذ العام 1993، وقد تعاظمت محاولات سلطات الاحتلال «الإسرائيلي» لعزل القدس عن محيطها المباشر وباقي الأراضي الفلسطينية، وقد انعكس ذلك على الوضع التعليمي في المدينة، فتضاءل عدد الطلاب الذين قدِموا من قرى القدس المحيطة، ومناطق أريحا وبيت لحم ورام الله مع تشديد سياسة الإغلاق والحصار.

وقد انتهجت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس المحتلة، على مدى العقود الماضية العديد من الممارسات، هدفت إلى فرض واقع جديد على الأرض بهدم المنازل العربية ومصادرة الأرض، وطرد سكانها خارج ما يسمى حدود بلدية القدس حسب التقسيمات الإدارية للمحتلين، وعملت على الإخلال بالتوازن الديموغرافي لمصلحة اليهود داخل حدود المدينة وخاصة داخل أسوار القدس، وعملت على ضمّ المؤسسات الرسمية، وإصدار القوانين والتشريعات التي تكرّس عملية التهويد وحاصرت المؤسسات العربية فيها، لإجبارها على نقل مكاتبها خارج القدس، وقطعت الطريق على قطاعي التعليم والصحة لمنعهما من التطور.

وتفتقد القدس لوجود مرجعية موحدة لإدارة العملية التربوية، فمن جهة تفرض سلطات الاحتلال نفسها من خلال مدارس المعارف والبلدية ومن خلال التضييقات المختلفة التي تمارسها على المدارس الأخرى، ومن خلال ضمها شرقي القدس إداريًّا إلى دولة الاحتلال. ومن جهة ثانية، تعتبر السلطة الفلسطينية شرقي القدس جزءًا إداريًا من الضفة الغربية،

ولكـن وزارة التربيـة والتعليـم الفلسـطينية لا تدير فعليًـا إلا مدارس الأوقـاف، وتتعاون مدارس وكالة الغوث مع توجهات هذه الوزارة. أما المدارس الأهلية والخاصة فإنها مختلفة الانتـماءات والتوجهـات، فمنها مـا يتعاون مع الوزارة الفلسـطينية، ومنها مـا يتمتع بدعم سـلطات الاحتلال وبالتالي يحابيها، ومنها ما هو مسـتقل أو يتبع لهيئـات عربية أو دولية أو دينية مختلفة.

وتمارس سلطات الاحتلال تمييزًا فاضحًا بين مدارس شرقي القدس ومدارس غربي القدس، على مستوى الميزانيات المخصصة أو المرافق والتجهيزات أو كفاءة الجهاز التعليمي، وحتى في تطبيـق قانـون التعليـم الإلزامي. فمـدارس الاحتلال تلتـزم بقوانينه وبالأهـداف التي رسمتها هذه القوانين والتي تتوافق مع التاريخ والثقافة والهويّة الصهيونيّة، ما ينعكس تمييزًا صارخًـا ضدّ الطلاب المقدسـيّين، حيث تخلـو مناهجهم من أيّ روابـط أو جذور تربطهم بالشعب العربي الفلسـطيني أو الشعوب العربية والإسلامية الأخرى. كما تحرص سلطات الاحتلال على التركيز على المفاهيم التي تعزز عدم المقاومة في جميع كتب العلوم الإنسـانية، وتفرض في الوقت نفسه تدريس مساقات التاريخ اليهودي للطلبة المقدسيين.

أما بالنسبة للمدارس التابعة للسلطة الفلسطينية، فهي تواجه عدّة صعوبات، كون السلطة غـير قـادرةٍ على فرض قوانينها عليها، لأنّها لا تملك أيّ سـلطة فعليّـة داخل مدينة القدس، ولأنّهـا لا تُبـدي التزامًا جادًّا تجاه هذه المـدارس من ناحية المتابعة والرقابـة والتمويل. وقد أدى ذلـك إلى خلل في تطبيق فلسـفة التعليم الفلسـطينيّة التي تهدف حسـب قوانين وزارة التربيـة والتعليـم إلى تعزيز الهويّـة والثقافة الفلسـطينيّة والانتماء العربيّ وقيـم الديمقراطية والحريّة والمساواة.

إذ تتولى سـلطات الاحتلال مسـؤولية التعليم في المدارس التابعـة لبلدية القدس والمعارف الإسرائيليتـين، حيث تنفق على المدارس الأساسـية بينما البلدية تنفق عـلى المدارس الثانوية وتقوم البلدية بتعيين الجهاز التعليمي وتوفير مستلزمات المدارس وتدفع رواتب العاملين. وتعاني هذه المدارس من انخفاض مستوى التحصيل لدى الطلبة وانخفاض مستوى تأهيل المعلمين وعدم اهتمام سلطات الاحتلال بهذه الظاهرة، وعدم متابعتها وعدم تطبيق إلزامية التعليم أسوة بالمدارس الإسرائيلية غرب القدس، كما تتفشى في هذه المدارس ظاهرة انتشار المخدرات بين صفوف الطلبة تحت أعين وبصر سلطات الاحتلال.

وتنتهج سلطات الاحتلال الإسرائيلي سياسة جذب الطلبة المقدسيين إلى المدارس التابعة لها

على حساب المدارس الخاصة والمدارس التابعة للأوقاف من أجل فرض وتدعيم سيطرتها على المؤسسات التعليمية باستخدام الأساليب التالية:

1 – التضييق على المدارس الحكومية والتابعة للأوقاف بمنعها من التوسع والحدّ من البناء وإجراء الصيانة الدورية للمدارس، مما يرفع من مستوى الازدحام في الغرف الصفية، ويقلل من قدرات هذه المدارس الاستيعابية لدفع الطلبة للالتحاق بمدارسها.

2 – دفع رواتب عالية للعاملين في التدريس في مدارس المعارف والبلدية بالمقارنة مع معلمي المدارس الحكومية والخاصة بهدف جذب المعلمين من المدارس الوطنية إلى مدارسها وتفريغ المدارس الوطنية من المعلمين الأكفياء.

3 –تعترف وزارة الداخلية الإسرائيلية بأسر الطلبة المنتسبين إلى مدارس المعارف والبلدية كمقيمين في القدس، مما لا يعرض أسرهم من سحب هويتهم المقدسية، بينما الطلبة المنتسبون إلى المدارس الوطنية، لا تعتبر دليلًا على الإقامة في المدينة ويتعرضون لسحب هويتهم.

4 – تقوم سلطات الاحتلال بدفع مساعدات نقدية وعينية لبعض المدارس الخاصة بهدف تبني هذه المدارس سياستها وفرض سيطرتها على المؤسسات التعليمية.

5 – المضايقات التي تمارسها سلطات الاحتلال والمستوطنون تجاه الطلبة والمعلمين من الاعتداءات والاعتقالات ومحاصرة المدارس الوطنية ووضع الحواجز المؤدية إليها لدفع الطلبة للانتقال إلى المدارس خارج القدس أو الانتقال إلى مدارس البلدية والمعارف.

ثانيًا: أهداف تدريس المنهاج الإسرائيلي في مدارس القدس المحتلة العربية

من بين المهمات الرئيسة لنظام التعليم في إسرائيل السعي إلى زراعة بذور الخوف من الآخرين في عقول النشء، وترسيخ عناصر الكراهية والحقد في وجدانهم، إذ إن ما تهدف إليه الحركة الصهيونية في مجال التعليم، هو خلق وتنمية روح العداء للعرب وتشويه صورتهم لدى الجيل الإسرائيلي الحالي والأجيال التالية.

ولعل المناهج الدراسية هي الوسيلة المثالية التي تساعد المؤسسات الصهيونية في تحقيق ما تبتغيه. فالأساليب الصهيونية تقوم على التربية الأيديولوجية من خلال المشاريع المخططة للأنشطة التربوية، التي ينفذها الصغار في المدرسة الإسرائيلية بأرض إسرائيل اللا محدودة، بالإضافة لتعميق الكراهية للعرب في نفوس التلاميذ. وهكذا فإن الصهيونية وسلطاتها

الحاكمة في إسرائيل تؤمن باستخدام التربية كسلاح في يدها تستطيع بها توجيه الطالب منذ قدومه والتحاقه بالمدرسة، من أجل أن تغرس في نفسه قواعد الولاء للدولة الصهيونية، والعمل من أجلها، بتعميق الشعور بإسرائيل كدولته وكيانه والصهيونية كقوميته.

إن جهاز التعليم في إسرائيل خضع منذ تأسيسه لأسس أيديولوجية متمثلة في المعتقد الصهيوني والذي تم التعبير عنه من خلال جهاز التعليم في اتجاهين:

الاتجاه الأول، اعتبار التعليم أداة مادية وركيزة للتطور التكنولوجي والرأسمالية والعولمة وأما الاتجاه الثاني، فهو اعتبار التعليم أداة روحية وركيزة لبناء الهوية الجماعية للغالب عبر الأيديولوجية الصهيونية وما انبثق عنها من معتقدات اجتماعية، بواسطة غرسها بشكل انتقائي في كل مناهج ومضامين التعليم وعلى وجه الخصوص في تلك المناهج، والمضامين ذات الصلة بتشكيل الهوية الثقافية والذاكرة الجماعية مثل التاريخ والجغرافية والموطن والمدنيات.

من هنا نجد أن كتب التعليم في إسرائيل لا تعكس وجهة نظر المؤلفين فقط، وخاصة تلك الكتب التي تتحدث عن إسرائيل شعبًا وأرضًا، كالتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية وغيرها، إنها تعكس خلفية فكرية ضاربة الجذور في ثقافة ومفاهيم هؤلاء المؤلفين، ويراد لهذه الكتب وما تحمل بين سطورها من مفاهيم أن تتغلغل في عقول وأذهان وقلوب أفراد الشعب اليهودي، لأن كتب التعليم تبني وجهة نظر الطالب وتعتبر جزءًا من القيم والمعايير اليهودية.

وقد ركزت كتب التاريخ وخاصة كتب المناهج بشكل كبير على موضوع الشعب اليهودي أصلًا وميزاته بطريقة تجعل الطالب اليهودي يرتبط بهذا التاريخ ويشعر بالفخر والاعتزاز به، وذلك ما سعت له الخطط التعليمية وما هدَفَ واضعو المنهاج للوصول إليه. وبهذه الوسيلة التعليمية المهمة استطاع واضعو المنهاج التعليمي في إسرائيل وعلى رأسهم واضعو منهاج التاريخ، أن يقنعوا هذا الشتات من الناس المختلفين في كل شيء تقريبًا ما عدا الانتماء لليهودية أنهم شعب أو أمة، وتم تعزيز الشعور بالانتماء للشعب أو الأمة وأخذ شعور الانتماء للطائفة الذي لازم اليهود السنين السابقة يتلاشى لحساب مفهوم الشعب والأمة.

فالمنهاج يعرّف القدس على أنها عاصمة للدولة اليهودية، ويعتبر طبريا مدينة يهودية، ويسمي الضفة الغربية يهودا والسامرة، ويسمي النكبة استقلالًا، وبدل أن يدرس الطلبة تاريخ فلسطين والعرب، يدرسون تاريخ «إسرائيل»، وكيف بناها دافيد بن غوريون

واسحق شامير وأرييل شارون واسحق رابين.

1 – الأهداف الرسمية للتربية والتعليم في إسرائيل

تتمثل الأهداف الرسمية للتربية والتعليم في إسرائيل بما يلي:

أ- تكوين مجتمع عضوي موحد.

ب- بناء دولة عصرية تملك أسباب القوة المعنوية والروحية.

ج- الحفاظ على التراث اليهودي ونشره وتعميمه.

د- دعم مركزية إسرائيل بين يهود العالم والالتزام نحوها باعتبارها دولة اليهود.

ولقد حددت السلطات التعليمية في إسرائيل هذه الأهداف لإرساء الأسس التربوية الآتية:

1- تعميق الوعي اليهودي الصهيوني.

2- التربية على قيم القومية اليهودية الصهيونية.

3- الاهتمام بدور اللغة العبرية من أجل الحفاظ على التراث اليهودي وبعثه وتعميقه بين الشباب الإسرائيلي، ولهذا فقد أصبح دورها يفوق كل أدوار التدريس، إذ تحتل مكانًا بارزًا في مناهج المدارس الإسرائيلية.

4 – ترسيخ جذور الشباب الإسرائيلي في ماضي الشعب اليهودي، وتراثهم التاريخي، وذلك لخلق أجيال إسرائيلية تؤمن بالمعتقدات الصهيونية التي اعتنقها جيل المؤسسين الرواد للتأكيد على الريادة وتصوير الرواد الأوائل مؤسسي الدولة نماذج للاقتداء بهم.

5- التعلق بالأرض، ويرتبط هذا الهدف مع ضرورة تكوين مجتمع موحد فيه الشتات اليهودي ويلتصق به.

6- فلسفة دين العمل ويرتبط مع الهدف السابق بوصفه أحد أركان الثقافة اليهودية والهدف من التعلق بالأرض. وفلسفة دين العمل بها، هو تحقيق الاستيطان اليهودي في النهاية على أرض إسرائيل.

أما الأهداف غير المعلنة للتربية الصهيونية الإيمان المطلق بحق شعب إسرائيل في أرض إسرائيل وملكيتهم لها والاستيطان فيها من خلال التكرار، والتأكيد بالحديث عن الحق

التاريخي في أرض إسرائيل التاريخية، وتكوين الاستعداد لدى الأجيال الإسرائيلية اليهودية للتوسع والاحتلال والعنف وكراهية العرب وذلك بحجة إنقاذ الأرض، كما تستهدف المناهج التعليمية توفير قدر من الثقافة العامة لدى تلاميذ المدارس منذ الصغر تجعلهم يدركون الظروف المحيطة بهم، وتقدم لهم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الناس والحياة في المجتمع والبيئات المحيطة، غير أن الأنماط الثقافية التي تقدم للتلاميذ تكون في إطار الجماعة اليهودية وما يتصل بها من علاقات سواء في إسرائيل أو في بلاد المهجر وهي لا تتعرض للحديث من باقي المجتمعات والبيئات إلا عن منظور أنهم أغيار وأجانب وعرب.

أما عن المذابح والجرائم التي ارتكبت في حق الفلسطينيين وعن نكبة هذا الشعب، فلم تتطرق كتب التدريس لا من بعيد ولا من قريب إلى ذلك، فالعرب لم يهجروا وإذا ذكروا فهم هربوا أو رحلوا، ولم ترتكب المجازر لترحيلهم، ولم يطرد أهالي العشرات من القرى العربية عام 1948، ولم تهدم 417 قرية عربية تم الاستيلاء على أراضيها.

ثالثًا: المشكلات التعليمية التي تواجه الطلاب الفلسطينيين جراء سياسات الاحتلال الإسرائيلي

إن التقصير البيّن لتطوير التعليم والتعلم بالقدس من جوانبه البنيوية والبيئية والموارد البشرية أدى إلى بروز عدة مشاكل في المؤسسات التعليمية والتي كان من أهمها تعدد الجهات والمرجعيات التي تشرف على العملية التعليمية واختلاف فلسفاتها وأهدافها وأجنداتها، مما يشكل دورًا سلبيًا على الوضع التعليمي وتطوره بمدينة القدس ويُصَعِّبْ في وضع إستراتيجية ورؤيا ذات مرجعية واحدة مسؤولة عن وضع خطة شاملة لمستقبل التعليم العربي فيها بغياب نظام تعليمي وإشرافي وتوجيهي واضح المعالم مما أوجد جيلًا ضائعًا متخبّطًا ومتعدد التوجهات خصوصًا مع تزايد سيطرة المعارف الإسرائيلية والبلدية على المدارس وضعف تأثير وأداء السلطة الفلسطينية في المدينة، وتراجع دور البيت وأولياء الأمور.

كما أن عدم وجود مصادر تمويلية ثابتة ومستقرة وميزانيات كافية ومستمرة تغطي احتياجات القطاع التعليمي، أدى إلى النقص في عدد المدارس وعدم كفاية المدارس، وعدم صيانة أو توسيع القائم فيها، ونقص الغرف التدريسية (حيث بلغ العدد المطلوب استحداثه حوالي 1800 غرفة صف)، مما حدا باستئجار مبانٍ غير مؤهلة، وحاويات وأبنية متنقلة وملاجئ ومخازن وممرات، واستخدامها أماكن للدراسة تفتقر للحد الأدنى من الظروف الصحية

والتصميمية والمرافق التعليمية المناسبة، الأمر الذي أدى إلى ازدحام واكتظاظ الصفوف الدراسية لضيقها ولعدم إمكانية التوسع ببناء مدارس جديدة أو ترميم بعضها الآيل للسقوط «تبلغ الكثافة الصفية حوالي 30 طالب بالصف الواحد.

بالإضافة إلى ازدياد المشاكل في البنى التحتية للمدارس وتردي حالة الكثير منها لافتقارها للمرافق والساحات والتجهيزات المخبرية والطواقم الإدارية التعليمية والخدمات الأساسية اللازمة للعملية التعليمية والملائمة للبيئة المدرسية ورياض الأطفال، ناهيك عن نقص البرامج لذوي الاحتياجات الخاصة وعدم توفر الأماكن التي تخصص للأنشطة اللامنهجية كالمكتبات والقاعات والصالات وملاعب الرياضة وخلافه.

ويضاف إلى تلك المشاكل تعديل المنهج التدريسي في القدس وتشويه وحذف أجزاء من الكتب الدراسية وطمس مادة العقيدة الإسلامية، وغياب بعض السور القرآنية، وتجزئة مادة التاريخ، وتحريف أسماء المدن الفلسطينية بدواعٍ تحريضية بهدف تهويد وأسرلة منهاج التعلم في القدس، بخطوات مدروسة وممنهجة لتجهيل ونشر ثقافة التخلف.

وفي السياق نفسه، تنامي نسبة التسرب، خاصة المراحل العليا التي تجاوزت أكثر من 50 بالمئة بين أبناء المدينة، جراء جذب سوق العمل الإسرائيلي لهم بسبب ارتفاع الأجور ومشاكل النظام التربوي كالنقص في عدد المدارس، والغرف الصفية الضيقة، حيث إن متوسط الغرفة 14م2 وتفتقر للشروط الصحية والسلامة التربوية، وتوتر علاقات المعلمين مع الطلبة والتي لعبت دورًا كبيرًا في التسرب حتى أصبحت ظاهرة مقلقة للغاية، وخصوصًا أن ذروتها بالمرحلة الثانوية، بسبب قلة التدريب والخبرة.

يشار إلى أن ضعف ميزانيات المدارس ومصادر التمويل الثابتة وعدم انتظام الرواتب وعدم كفايتها للوضع المالي الخانق الذي تعيشه المدارس، أدى إلى هجرة وتسرب الكثير من الكفاءات التدريسية إلى مدارس وزارة المعارف والتابعة للبلدية الإسرائيلية لتدني الرواتب مع المستوى المعيشي في المدينة، مما أوجد نقصًا في المدرسين الأكفياء في التخصصات الأساسية المطلوبة وأدى إلى ضعف مستوى التحصيل لدى الطلبة، ناهيك عن النقص في أجهزة المختبرات العلمية والحوسبة والمكتبات ومراكز التعليم التقني والمهني.

وأيضًا النقص في دور المعلمين، ومراكز التدريب التخصصي والتربوي والبحثي للمعلمين، وفي تمويل المدارس المهنية ومراكز الإرشاد والتوجيه والتدريب التقني والمهني وتوفير الأجهزة والمكائن الحديثة لاستيعاب مهن جديدة وتشجيع الطلبة على التعليم المهني

المتمشي مع حاجات وسوق العمل ومتطلبات المجتمع ونشر الوعي فيه.

ولقد أدت المضايقات والصعوبات التي يضعها الاحتلال لتعطيل العملية التعليمية خصوصًا مع إجراءاته وقوانينه بعزل المدينة عن محيطها وفصلها عضويًا عن باقي الجسم الفلسطيني، وحصارها بجدار فصل إلى عبور أكثر من 30 بالمئة من الطلاب لمدارسها من خلال حواجز، وعدم تمكن حوالي 20 بالمئة من الوصول بحرية لمدارسهم، وكذلك منع معلمي الضفة الغربية من دخول القدس وتأخر وصولهم لوجود الحواجز.

ناهيك عن تنصل الاحتلال من مسؤولياته تجاه السكان العرب وعدم تَكَفّلِه التعليم، بتوفير المدارس التي تلبي حاجات المدينة حسب القانون الدولي كونه دولة احتلال، ضاربًا بالحائط الاتفاقيات والقوانين الدولية، بل يعمل على تطبيق ودعم نظام الخصخصة في التعليم الذي يفتقد لنظام إشراف تربوي حقيقي، وذلك لخلق حقائق تعليم جديدة تطمس حق وحاجة الفلسطينيين للتعليم الحر وحقهم في ذلك، مثلهم مثل حق باقي دول العالم.

رابعًا: أساليب الاحتلال الإسرائيلي في عرقلة المسيرة التعليمية في القدس المحتلة

لم تتطرق الكتب التدريسية في مدارس القدس المحتلة إلى قضية سلب الأرض من أصحابها العرب، أو إلى قضية مصادرة الأراضي وتحويلها إلى أملاك دولة، لا بل نشرت وزارة المعارف الإسرائيلية مادة لدحض ادعاء سلب الأرض العربية. هذا على الرغم من أن سياسة الاستيطان والتوسع الصهيوني حرمت الشعب الفلسطيني من حقوقه القومية الأساسية، وفي الأساس من حقه في وطنه وإقامة دولته المستقلة، وقد كان من أهم مقومات الحلم الصهيوني أن يصدقوا أنهم وصلوا إلى أرض بلا شعب، لذلك مارسوا سياسة الطرد والتهجير والمصادرة، ومن خلال ما سبق يمكن إجمال أهداف الرسمية لتدريس المنهاج الإسرائيلي في القدس المحتلة كالتالي:

أ- تضليل الهوية الفلسطينية لأبناء القدس مما يسهل فصلهم عن ارتباطهم بشعبهم الفلسطيني وأمتهم العربية.

ب- إطفاء الحس الوطني والنضالي لدى المقدسيين فيسهل الاستيلاء على أراضيهم ومساكنهم، حيث يصبح بيع الأرض أو المسكن لليهودي وجهة نظر وليست من ضمن المحرمات الوطنية وبهذا أيضًا يسهل تهجيرهم.

ج- فرض سيطرتهم على المسجد الأقصى المبارك دون مقاومة من المقدسيين وإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاضه.

د- توفير أيدٍ عاملة رخيصة من أبناء القدس العرب وفق احتياجاتهم، حيث يترفع اليهود عن العديد من المهن (النظافة، البناء، الحمل، العتالة، الأعمال الشاقة الأخرى) يعتقدون أن هناك فئة من غير اليهود يجب أن تخدمهم في تنفيذ هذه المهن.

هـ- إثبات أن السيادة الإسرائيلية كاملة على مدينة القدس ويعلمون فيها مناهجهم ولا يوجد أي دور لسلطة أخرى على المدينة.

ولم تكتف سلطات الاحتلال بهذا القدر من التهويد وتحريف المناهج ومن منطلق إدراكها لأهمية الجيل القادم، ولمعلوماتهم الأكيدة أن احتلال العقول هو الأصعب قرروا ابتداء من العام الدراسي 2013 إدخال منهاج إسرائيلي بكل معلوماته وطابعه، ليحتلوا العقول ويصبغوها بصبغة إسرائيلية حتى لا يعود الطالب المقدسي مطلعًا على تاريخ بلاده، ولا يجد أمامه إلا منهاجًا بطابع إسرائيلي بحت يحتل عقله، وجيلًا بعد جيل ستتوه الهوية والقضية وكل ما حملته فلسطين من تاريخ للنضال، جدير بالذكر هنا أنهم حاولوا إدراج هذا المنهاج في خمس مدارس من المدارس التي تشرف عليها إدارة المعارف وبلدية الاحتلال في مدينة القدس كخطوة أولية وعلّلوا ذلك برغبة الأهالي، إلا أن الحقيقة غير ذلك فقد فرض على إدارات تلك المدارس وغرر بالأهالي بأن التغيير إلى المنهاج الإسرائيلي سيعود بالنفع عليهم تعليميًّا وعمليًّا، والدليل على ذلك عندما تمت مهاجمة هذا المنهاج وفضح مكنونه من المؤسسات الوطنية المقدسية ووزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية ومديريتها في القدس ووسائل الإعلام المحلية والعربية سارع الكثير من الأهالي لسحب أبنائهم من هذا المنهاج المضلل.

وقد اتبعت إسرائيل خطة محكمة لتدمير قطاع التعليم في القدس من خلال ضرب المحاور الرئيسية الثلاثة وهم:

- المناهج التعليمية.
- الطالب.
- المعلم.

1 - المناهج التعليمية

منذ عام 1967 سعى الاحتلال إلى تهويد المناهج، حيث تم استبدال المناهج العربية الأردنية التي كانت تدرس في ذلك الوقت بمناهج إسرائيلية تحمل الفكر الصهيوني، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية من تاريخ وجغرافيا ومجتمع، وقد قوبل ذلك بالرفض الشديد من المؤسسات والشخصيات الوطنية، بالإضافة إلى أولياء أمور الطلبة الذين وعوا تمامًا لهذه الهجمة الشرسة على المؤسسات التعليمية الفلسطينية وعلى ثقافتها الوطنية والعربية، مما جعل المدرسات والمدرسين الأفاضل يرفضون تدريس المناهج الإسرائيلية.

وفي المقابل تم تعيين مدرسين آخرين في مدارس الاحتلال تنقصهم المؤهلات العلمية اللازمة للقيام بدورهم التربوي والأكاديمي بشكل سليم، كما تمخض عن هذا الرفض منح مدارس الأوقاف الإسلامية التي كانت بمثابة صمام الأمان الذي أنقذ عروبة المناهج في القدس، استيعاب الطلبة والمدرسين جنبًا إلى جنب مع المدارس الأهلية الوطنية، والتي كان لها الدور الوطني الكبير في جعل إسرائيل تتراجع عن قرارها تدريجيًا بعد ما تم تفريغ مدارسها من الطلبة، وبذلك تمت إعادة المنهاج الأردني الذي كان يدرس في ذلك الوقت.

ولم تنتهِ محاولات تهويد المناهج، فقد تكررت وبأساليب مختلفة، خاصة بعد أن شنت حملاتها الإعلامية على المناهج الفلسطينية، التي دخلت المدارس الفلسطينية لأول مرة عام 2000، حيث وحدت التعليم في جناحي الوطن، لكن سلطات الاحتلال اتهمت تلك المناهج بأنها تحريضية تدعو إلى العنف وكراهية إسرائيل، وارتفعت الأصوات الدولية تطالب بدراسة المناهج وتحليلها، وسحبت الدول المانحة التي كانت تمول طباعة الكتب مساعداتها.

ولا تزال إسرائيل تشكو باستمرار من التحريض ضدها عبر المناهج الفلسطينية وتطالب بإسقاط مفاهيم «وطنية» من الذاكرة الفلسطينية، وإلغاء مصطلح شهيد الوطن في الكتب الدراسية، متناسية أن مناهجها الدراسية العنصرية تسعى إلى تشويه وتزوير التاريخ، كما أنها تعتبر من أهم ركائز نشر الفكر الصهيوني، وهذا يمكن تلمسه من خلال سياسات التهويد التي تسعى إلى محو الذاكرة، وتغيير المعالم وطمس الحقيقة واستبدال أسماء المدن والقرى والأنهار بأسماء عبرية مثل «صفات» بدلًا من «صفد»، وجبال يهودا بدلًا من «جبال القدس».

ومتجاهلة في ذلك أيضًا أن مناهجها تدعو بصورة مباشرة إلى التحريض على العنف ومتجاهلة أيضًا الفتوى اليهودية التي علا صوتها «اقتلوا الفلسطينيين العماليق» كما أن في مجمل كتب الجغرافيا المقررة للطلاب اليهود لا يتم تحديد حدود لدولة إسرائيل بحجة أن

هـذه الحدود القائمة عرضة للتغيير السـياسي، ولا تمثل حدود دولـة إسرائيل القديمة التي تمتد من النيل إلى الفرات.

وفي ظل هذه الازدواجية يوجد حوالي 50 بالمئة من الطلاب الفلسـطينيين في القدس (وهم طلاب مدارس البلدية- المعارف الإسرائيلية) الذين يدرسـون مناهج فلسـطينية لعبت بها يد الاحتلال بوسـائل منها، خلال حذف شـعار السلطة الوطنية الفلسـطينية وشعار مركز مناهجها الذي يعطيها الخصوصية الفلسـطينية، والتي تشعر الطالب بهويته الوطنية، كما تم حذف إحصائيات التعداد السكاني، فالصراع ديموغرافي وسكاني ولم يأخذوا بعين الاعتبار حق الفلسطيني في الحصول على التعليم، الذي يرتئيه مناسبًا لأبنائه ومتجاهلة أن مناهجها تدعـو بصـورة مبـاشرة إلى التحريض والعنف تجاه الفلسـطينيين، ومتجاهلـة أيضًا الفتوى اليهودية (العمالقة) بأنهم قوم كانوا يعيشون في فلسطين منذ عدة قرون.

2 - الطالب

تقوم سلطات الاحتلال بوضع العقبات المختلفة أمام الطالب في الحصول على حقه بتعليم إلزامي مجاني جيد ضاربة بعرض الحائط جميع القوانين والمواثيق الدولية التي تضمن له هذا الحـق من خـلال عدم مسـؤولياتها القانونية تجاه شـعب محتل. فقد أدى بنـاء جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية إلى عزل أكثر من 154 ألف مقدسي عربي خارج المدينة، وجعلهم مضطرين يوميًّا للدخول عبر الحواجز العسـكرية الثابتـة الموجودة على جميع مداخل المدينة التي تعرقل وصول الطلبة والمعلمين إلى مدارسـهم الواقعة داخل الجدار، وخاصة أن أكثر مـن 20 بالمئـة يحملون الهوية الفلسـطينية، وليـس لديهم هوية زرقـاء إسرائيلية، ناهيك عن المدارس الواقعة في مواقع متضررة بشكل مباشر ويفصلها الجدار عن المدينة المقدسة. وزاد هذا الأمر من معاناة المقدسـيين، وأثّر سـلبًا على المسـيرة التعليمية من خلال تأخير وصول المعلمين والطلاب إلى مدارسهم وبالتالي عدم انتظام الدوام أو التسرب.

كما يعمد الاحتلال إلى تجميد بناء الأبنية المدرسـية، ووضع العراقيل المختلفة لاستصدار رخص بناء المدارس، فلم يراعِ الزيادة السـكانية الطبيعية، مما تسبب بنسبة اكتظاظ عالية في الطـرق الضيقـة تؤثر سـلبًا عـلى أداء المعلم، وبالتالي عـلى عمل عمليـة تلقي الطالب والذي يؤثر حتمًا على العملية التعليمية بشكل عام. فهناك نقص حاد في الغرف الضيقة، إذا أخذ في عين الاعتبار أن معظم الأبنية المدرسية هي عبارة عن مبانٍ سكنية مستأجرة لا تفي بالشروط التعليمية التربوية ولا الصحية ولا النفسية، فإذا ما تمت المقارنة بين حجم الموازنـة لمـدارس الطلبة العرب ومدارس الطلبة الإسرائيليـة نجدها تزيد عدة أضعاف،

حيث يتوفر في مدارسهم شتى المرافق التعليمية المجهزة بمواصفات وشروط ومعايير عالمية.

3 - المعلم

رفض سلطات الاحتلال منح المعلمين من حملة هوية الضفة الغربية التصاريح اللازمة لدخول القدس والتعرض لهم على الحواجز واعتقالهم وإذلالهم وفرض الغرامات عليهم عند ضبطهم دون تصريح، كما يعيش المعلمون من حملة هوية القدس ازدواجية الراتب الضئيل وغلاء المعيشة في القدس، بالإضافة إلى الضرائب والتأمينات الإجبارية المفروضة عليه، فيضطر إلى البحث عن عمل آخر بعد الدوام المدرسي، مما يسبب له الإرباك والتعب ويؤثر سلبًا على أدائه، أو قد يتسرب كليًا من مدرسته للبحث عن عمل بديل للحصول على راتب أفضل يؤمن له ولأسرته حياة كريمة، وهذا ما تسعى إليه سلطات الاحتلال لينعكس سلبًا على العملية التعليمية، هذا بالإضافة لتعرض بعض المعلمين المقدسيين للاعتقالات أو التحقيق، وقد يمنعون من السفر خارج البلاد، الأمر الذي بدوره انعكس سلبًا من خلال جود أكثر من حوالي 10 آلاف طالب مقدسي دون أي إطار تعليمي، إضافة إلى ارتفاع نسبة العنف بين الطلبة، وارتفاع نسبة التسرب بين الطلبة المقدسيين.

أدى ضعف ميزانيات المدارس ومصادر التمويل الثابتة وعدم انتظام الرواتب وعدم كفايتها للوضع المالي الخانق التي تعيشه المدارس إلى هجرة وتسرب الكثير من الكفاءات التدريسية إلى مدارس وزارة المعارف والتابعة للبلدية الإسرائيلية لتدني الرواتب مع المستوى المعيشي في المدينة، مما أوجد نقصًا في المدرسين الأكفياء في التخصصات الأساسية المطلوبة وأدى إلى ضعف مستوى التحصيل لدى الطلبة، ناهيك عن النقص في أجهزة المختبرات العلمية والحوسبة والمكتبات ومراكز التعليم التقني والمهني، والنقص في دور المعلمين، ومراكز التدريب التخصصي والتربوي والبحثي للمعلمين، وفي تمويل المدارس المهنية ومراكز الإرشاد والتوجيه والتدريب التقني والمهني وتوفير الأجهزة والمكائن الحديثة لاستيعاب مهن جديدة وتشجيع الطلبة على التعليم المهني المتمشي مع حاجات وسوق العمل ومتطلبات المجتمع ونشر الوعي فيه.

خامسًا: طرق ووسائل مقاومة المنهاج الإسرائيلي

رغم كل الضغوط والصعوبات والعراقيل التي يضعها الاحتلال الإسرائيلي في عرقلة المسيرة التعليمية في القدس، فلا يزال هناك رجال غيورون مخلصون على ماضي وحاضر

ومستقبل مدينة القدس ومقدساتها، فلا يزال هنالك من أبنائها ومحبيها من يعمل دون كلل للمحافظة على عمليتي التعليم والتعلم والمحافظة على مستوى ونوعية العملية التعليمية وزيادة فاعليتها، فتجدهم يعملون محليًا وعلى المستويين العربي والإسلامي بالرغم من كل المعاناة والظروف القاسية التي يمرون فيها، وذلك من خلال جمع التبرعات والإعانات لإنشاء مدارس وتطوير المؤسسات التربوية، ولتلبية احتياجات التعليم في المدينة بقدر الإمكان.

كما أنهم يسعون بكل جهدهم للمحافظة على العملية التعليمية والارتقاء والنهوض بها بإقامة وعقد المحاضرات والمؤتمرات والندوات وورشات العمل للتأهيل التربوي للمعلمين والمعلمات والعاملين في سلك التعليم، ونشر الوعي التربوي والسلوكي في المدرسة والبيت والمجتمع، ومتابعة التواصل بين جهاز التربية والتعليم والأهالي وإدارة المدارس وأبنائهم الطلاب، وتعزيز انتماءاتهم وحبهم للمدرسة والمعلمين على حد سواء، وتعميق الصلة بأولياء أمورهم، ناهيك عن جهود بعض المديريات والمشرفين والمدراء الحريصين بمبادرات فردية على تطوير جودة وتحسين نوعية التعليم في القدس.

إلا أن ذلك كله وحده لا يكفي باعتباره جهودًا ذاتية مبعثرة، لذا لا بد من تضافر كل الجهود الوطنية والجهات المشرفة على الواقع التعليمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والإعلامي، للتمكن من صد هذه الهجمة الإسرائيلية الشرسة بخطة شاملة واقعية وعملية ومنظومة وآليات عمل متكاملة للنهوض بمستوى التعليم في المدينة كمًّا ونوعًا في كل مجالاته ومستوياته ومراحله المتعددة في التعليم المبكر، وتعليم رياض الأطفال، وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، لذا يصبح تضافر الجهود العربية والإسلامية وحشد الرأي العام المحلي والعالمي لمساندة القدس ودعمها ودعم مؤسساتها الوطنية واجبًا دينيًّا وقوميًّا وإنسانيًّا ملحًّا لمواجهة التحديات والقدرة على الصمود وإثبات الوجود.

ولهذه الأسباب وغيرها فإن دورًا كبيرًا يقع على الدول العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الفلسطينيين ودورًا أكبر على عاتق المؤسسات الدولية والحقوقية، لرفع العنف وممارسات الاحتلال ضد العملية التربوية والتعليمية الفلسطينية، وتعريتها أمام المجتمع الدولي لتوفير التعليم الآمن لكل طالب وطالبة وحشد التأييد والدعم الدولي لذلك.

فقد لعبت الثقافة الفلسطينية دور المقاتل الشرس دفاعًا عن الوطن والهوية الوطنية، وأسهمت في تجذير العلاقة بين الإنسان والأرض، وأمدت الإنسان الفلسطيني بخطوط

دفـاع وممانعة، بـل وأنتجت عناصر المقاومـة، وكانت البوصلة التي توجـه الهجوم المضاد، ولقد شـكلت ثقافة المقاومة الفلسطينية عبر سياق تاريخي للمواجهة مع العدو الإسرائيلي، حيث عكست طبيعة الصراع نفسها على خصائص ثقافة المقاومة الفلسطينية فكرًا وممارسة.

وتتميـز ثقافة المقاومة الفلسـطينية بأنهـا تحمل فكر المقاومة في كل المجـالات، كون الصراع مـع العدو الإسرائيـلي مفتوحًا على كل الأصعدة، منها العسـكرية والسياسـية والاجتماعية والاقتصادية، كما أنها تتميز بأنها ثقافة سـائدة بحكم اسـتمرار الواقع الاحتلالي وممارسـاته على مدار عقود طويلة، مما يميزها بتراكم الخبرات، ومنحها قدرة على الإبداع، بالإضافة إلى أنها ثقافة شـعبية وليسـت نخبوية، حيث يطول الاسـتهداف الصهيوني كل شرائح المجتمع الفلسـطيني، ويتسـبب وبشكل قصدي وممنهج بمعاناته في كل شؤون الحياة اليومية، وهذا ما يطور لدى الفلسطيني مجموعة من الخبرات والمهارات تشكل ثقافة المقاومة.

فالمناهـج التعليميـة إن لم تكـن السياسـة التعليميـة فهي جوهريًـا والركيزة الأساسـية لها، ونجاحهـا وفشلها يتعلق بمحتوى المناهـج النابعة من الأهداف التربوية، ويجب أن تنصب الجهـود عـلى إعداد مناهج تتوفر فيها القدرة الكبيرة على مواجهة تحديات العصر بأسـلوب علمي فعال وبأدوات حديثة تلبي احتياجات الخطط التنموية وتراعي الأسـس التي تستند عليها صياغة المناهج، وما تتضمنه من أهداف تربوية تعكس حاجات المجتمع وتساعد على تطوره وتحسين كفاءة العنصر البشري.

ولهذا فإن صياغة مناهج تعليمية متخصصة في الواقع الفلسـطيني وبجهود ذاتية ومسـاعدة عربية تسـتطيع بنـاء جيل قادر على حمل رايـة المقاومة بكل أشـكالها، وذلك من خلال فتح الرؤيـة والاسـتقلال في كيـان المتعلمين، ولابـد أن يكـون للمناهج الدراسـية دور كبير في ترسـيخ ثقافة المقاومة، وذلك من خلال تضمينها متطلبات ثقافة المقاومة من خلال تقديم المفاهيـم والمعـارف والقيم والمهارات التي تصـل إلى عقول ونفوس الطلبة، سـواء بطريقة مبـاشرة أو غـير مبـاشرة بثقافة المقاومـة ومنها: رفـض الظلـم والاسـتبداد، الديمقراطية، الحرية، التعاون، التسـامح، الوعي السـياسي، الوعي الإعلامي، الوعي الأمني، حتى ينشأ جيل قادر على التعبير عن حقوقه بحرية مطلقة دون الخوف من القوى المهيمنة في المجتمع.

ولذلك يقع على التربويين وواضعي المناهج مراعاة ما يلي عند وضع المنهج:

- التأكيد على المحافظة على الهوية الوطنية التاريخية.
- من الضروري أن تعرض المقررات كيفية المحافظة على التراث الفلسطيني.

- التأكيد على أهمية الديمقراطية.
- من الضروري أن يعرض الانتماء والولاء لفلسطين من خلال ثقافة المواطنة.
- التأكيد على الوعي السياسي.
- التأكيد على الوعي الاقتصادي والإعلامي والأمني.

دور المعلم في تنمية ثقافة المقاومة

ويتفق التربويون على أن المعلم هو العنصر الرئيسي في العملية التعليمية، لأنه العنصر الأكثر تأثيرًا في الحصيلة النهائية، والتي تمثل مدى تحقق الأهداف التعليمية، وما دام المعلم هو العنصر الأهم في نجاح العملية التعليمية، فلابد من حسن إعداده لهذه المهمة الشريفة والخطيرة في الوقت نفسه، وعليه تتوقف طبيعة المخرجات من هذه العملية، لأن المناهج مهما تحسنت وتطورت فإنها تموت في يدي مدرس ضعيف.

ومن أجل إعداد المعلم المقاوم فلا بدّ من ربط واقع تدريب المعلمين بالبيئة الفلسطينية من خلال طرح مواد تدريبية لموضوعات القضايا الحديثة المتعلقة بواقع المجتمع الفلسطيني، وارتباطها بالعلوم التربوية مع تناول المشكلات البيئية في المجتمع الفلسطيني كمحاور للتدريب لتخدم بشكل وطني المناهج الفلسطينية الجديدة.

وبصورة عامة، يمثل المعلم الفلسطيني أنموذجًا للمعلم المقاوم، حيث يتعرض للأسر والسجن والاستشهاد والإبعاد والفصل من الوظيفة ومحاربته في رزقه ومنعه من النضال من أجل حقوق وطنه وشعبه، ومع ذلك فهو صامد لا يلين ولا يستكين، ومثلت المدارس والجامعات بؤرًا لانطلاق المظاهرات والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال، لكن المعلم رغم ذلك يشعر أنه مكبل بقيود عديدة تعوقه عن دوره المقاوم، ومن ذلك التعهدات التي تفرضها عليه قوانين التوظيف، خاصة في وكالة الغوث الدولية بعدم العمل السياسي، والانضمام إلى الأحزاب وفصائل المقاومة بحجة حيادية الوكالة كمؤسسة دولية، مما يهدده في لقمة عيشه.

ومن أدوار المقاومة التي يجدر بالمعلم الفلسطيني القيام بها خدمة لقضية الوطن العادلة: نشر الوعي بين طلابه حول الحق الفلسطيني، وتفنيد مزاعم اليهود حول ذلك، من خلال الدروس والمسابقات والمعارض والاحتفالات والمجتمعات الصديقة وغيرها.

وعلى الصعيد الداخلي المدني، عليه القيام بدوره الأساسي في المجتمع من خلال تعليم طلابه حقوقهم

وواجباتهم كمواطنين، وتبصيرهم بالغزو العنصري، ونقد الوضع المحلي والعالمي والتحديات المستقبلية، وتنمية ثقافة الحوار واحترام الرأي الآخر والانتخاب الحر في مجالس الطلاب.

سادسًا: طرق ووسائل المحافظة على المناهج الفلسطينية

شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بتنفيذ القرار القاضي بإلزام المدارس العربية في القدس المحتلة بتدريس المناهج والكتب الصادرة عن دائرة المعارف في بلدية الاحتلال بالمدينة، حيث تقوم بتوزيع تلك الكتب على العديد من المدارس الخاصة في المدينة وتهدد المدارس التي لا تلتزم بهذا القرار بالإغلاق وفصل مدرسيها.

وبموجب تنفيذ هذا القرار تضيف إسرائيل إلى ميراثها الممعن في خرق القوانين الدولية تعديًا جديدًا على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، فهي بذلك تكون قد اخترقت بندًا كاملًا من معاهدة جنيف الرابعة التي تنص على أن: الوضع التعليمي في البلاد المحتلة حيث يقع على عاتق الدولة المحتلة توفير الأجواء التعليمية المناسبة للطلبة دون المساس في مجرى العملية التعليمية أو منع استمرارها. وللحفاظ على الواقع التعليمي بمدينة القدس المحتلة ومعالجة الوضع القائم والناتج عن الإجراءات الإسرائيلية العنصرية يتطلب من دولة فلسطين التدخل الفوري، على النحو التالي:

أولًا: تلبية الاحتياجات الطارئة للتعليم في القدس

ثانيًا: إنجاز أهداف الخطط الطارئة

ثالثًا: دعم ومساعدة الطالب

رابعًا: تأهيل المعلمين

كما أنه وفي مواجهة ما تتعرض له مدينة القدس من محاولات صهيونية حثيثة ومتواصلة لا تنقطع لطمس هويتها العربية والإسلامية واقتطاعها من وجودها الفلسطيني العربي وصبغها بالصبغة اليهودية، يصبح من الواجب على القائمين على المؤسسات التعليمية وخاصة العلماء الأكفياء، وخاصة ممن لهم باع طويل في تخصص تاريخ القدس قديمًا وحديثًا والتراث الإسلامي، وفي مختلف المجالات وذلك للعمل الجاد والبحث العلمي المنظم المتواصل المتخصص في شكل دراسات جادة تعزز الوعي بعروبة القدس وإسلاميتها وتراثها، وبيان الدور في الحفاظ عليها والدفاع عنها وجعلها منارة ومركزًا حضاريًّا ودينيًّا وسياسيًّا يتناسب مع مكانتها.

أي يصبح من الواجب تشجيع العلماء والباحثين على الكشف عن تراث القدس الديني والأدبي والتاريخي والحضاري والسياسي والجهادي والفكري والعلمي، لأن ذلك التراث يستحق أن يحظى بعنايتنا وأن يبقى حاضرًا في العقول وأمام الأجيال القادمة، وأن يكون أساسًا من أسس المناهج في الجامعات والمعاهد والمدارس لربط الإنسان الفلسطيني والعربي والمسلم بتراثه ودينه وحضارته عبر التاريخ، وفي هذا المجال فإنه من الضرورة إنشاء مراكز أبحاث في الجامعات الفلسطينية والعربية والإسلامية أو كليات مهمتها السعي الجاد لإحصاء تراث القدس والإحاطة به من جميع جوانبه، وعمل فهارس علمية له ليكون مصدرًا غنيًا للباحثين والعلماء وللأجيال للتواصل مع هذا التراث، ويمثل ذلك تجديدًا له وحفاظًا عليه وتعزيز الوعي به، بالإضافة إلى جمع كل الدراسات حول القدس في مختلف التخصصات لتشكيل مادة علمية وتراثية واسعة تصبح ملكًا للجميع وتسهم في التعريف بالقدس والحفاظ عليها وعلى تراثها الحضاري والثقافي.

أما عن المناهج فإنه لا يخفى دورها في الحفاظ على الهوية الوطنية العربية الإسلامية، والمناهج تعكس ثقافة الأمة، والثقافة من حيث هي تربية وتعليم وآداب وفنون وجملة معارف هي المكون الأساسي من مكونات الشخصية الفلسطينية العربية، وهي جزء من الثقافة العربية والإسلامية التي ينتمي إليها الشعب الفلسطيني، وتحمل المناهج فلسفة واضحة تتمثل في أنها تغرس في نفوس الشباب المفاهيم الوطنية والدينية، تغرس أن هذه البلاد عربية إسلامية في الأصل وستبقى كذلك ما بقي الإنسان على هذه الأرض.

إن المناهج التعليمية في الجامعات أو المعاهد أو المدارس وفي كل المؤسسات التعليمية يجب أن تشتمل على ما من شأنه إعداد أجيال تؤمن بعروبتها، وعروبة قدسها وإسلاميتها وتعمل من أجل الانتماء إليها والتصدي لكل محاولات تهويدها، وخاصة أن المحتل لا يكتفي بتهويد القدس واستلاب مبانيها وعقاراتها ومقدساتها فقط، ولا يستهدف بحفرياته وهجومه تدمير الأقصى وبناء الهيكل فحسب، بل يريد أن يخرس أهل القدس وفلسطين، وأن يمحو ذاكرتهم ويقتلعهم من جذورهم التاريخية والجغرافية والعربية والإسلامية ليرحلوا عنها.

خاتمة

تعتبر المعركة على المنهاج الفلسطيني جزءًا من معركة السيادة على المدينة التي يسعى الاحتلال إلى تهويدها بكل الممارسات القمعية، وعبر القوانين التي يجري سنّها وتطبيقها

عـلى المقدسـيين. لـذا فإن التشويـه الذي يتعرض لـه طلبة القـدس في مناهجهـم التعليمية القائمة على تسويق الاحتلال وتزيينه في عقول الناشئة، هو أخطر أنواع التهويد الاستيطاني الإحـلالي الاسـتعماري المسـتند إلى سياسـة عـزل القدس عـن محيطها من خـلال الحواجز العسـكرية وجـدار الفصـل العنصري، وكذلك من خـلال الإغراءات الماديـة التي توفرها سلطات الاحتلال التعليمية لمعلمي المدارس التابعة لها.

فبعـد أن أصبـح للمـدارس الفلسـطينية منهاج فلسـطيني مختلف عن المنهـاج الأردني، بدأ الاحتـلال يـدرك أن هـذه المناهج تحمل طابـع الهوية الفلسـطينية، وتـزرع روح الوطنية في عقـول الطلبـة طيلة مراحـل تعليمهم المـدرسي، ومن هنا بـدأت أولى خطواتهـم ليحاربوا المنهاج والقضية، بأنهم لم يسـمحوا للطالب في مدارس بلدية الاحتلال أن يتعرف على هذا المنهاج الفلسـطيني، فهو مستهدف ومؤامرة حيكت منهم لزعزعة الهوية الفلسطينية فقاموا بتحريف كتب المناهج، وتركز التحريف في محو كل ما له علاقة بالهوية من العلم الفلسطيني والسلام الوطني والنضال والمقاومة الفلسطينية والأسرى وحق العودة، والقصائد الوطنية وتاريخ فلسـطين، وكذلك حذف تعريف الجهاد وأهميته، كذلك ما كتب عن حياة الرئيس الشهيد ياسر عرفات، وكذلك طالت أيديهم آيات من القرآن الكريم وغيروا أرقام السـور فيها.

لذا فإن للقطاع التربوي والتعليمي في القدس أهمية كبيرة لما يلعبه من دور أسـاسي في تأكيد الهوية الفلسـطينية والعربية للمدينة المقدسة ومؤسسـاتها التربوية والتعليمية، بالإضافة إلى أن نظام التعليم المهني في القدس العربية لا يلقى الاهتمام الكافي الذي يستحقه وأن الإقبال على هذا النوع من التعليم ضعيف، وبقي مستوى التعليم المهني متدنيًا ولا يلبي احتياجات سوق العمل، وفي المقابل تعمل سلطات الاحتلال في المدينة إنشاء مراكز تعليم مهني وتقدم لها التسهيلات والدعم المادي لجذب الطلبة إليها وتقوم بالإعلان عن هذه المراكز بمختلف أساليب الدعاية بالوسائل الإعلامية المختلفة وبداخل المدارس الأكاديمية في المدينة وتقدم المنح الدراسية للملتحقين بها.

المصادر

1- أحمد رأفت غضية، الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها، مجلة دراسات باحث، السنة الثالثة، ربيع 2015.

2-أحمد علي الفنيش، محمد مصطفى زيدان، التوجيه الفني التربوي، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 2016.

3 -أشرف سلفيني، صحيفة البيان الإماراتية، هكذا يربي الإسرائيليون أبناءهم، 5/ 2/ 2013.

4 - الياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عامًا، الجزء الأول، دار جفرا للدراسات والنشر، دمشق، 2002.

5- أوس داوود يعقوب، دراسة بعنوان تهويد قطاع التعليم في مقدمة المخططات الصهيونية لتهويد القدس الشريف، مركز إعلام القدس، القدس، 2009.

6- السلطة الوطنية الفلسطينية، وزارة التربية والتعليم العالي، وحدة شؤون القدس تقرير عن قطاع التعليم في القدس الشريف للعام الدراسي، 2018.

7-جامعة الدول العربية، قطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة، لجنة البرامج التعليمية الموجهة إلى الطلبة العرب في الأراضي العربية المحتلة، بيانات غير منشورة، الدورات 90-99.

8- جميل السلحوت وإيمان مصاروة، معاناة الأطفال المقدسيين تحت الاحتلال، مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، القدس، 2002.

9- فايز صايغ، الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2010.

شرعنة الإرهاب وقتل الفلسطينيين في فكر جماعة "تاج محير" اليهودية
دراسة فقهية تأصيلية

في ذكرى إحراق الطفل المقدسي محمد أبو خضير

بحث مقدم من: الباحثة إيمان كامل محمد عبد الجواد

مقدمة

في ذكرى إحراق الطفل المقدسي محمد أبو خضير

جماعـة تاج محير תגמחיר، بالعربيـة جماعة تكبيد الثمن: وת"ג اختصارًا لـــתנועהגדולה، وتعني حركـة كبـيرة، أما الشق الثاني من المصطلح فيعني الثمن[1]. والمقصود أن هذه الحركة تكبد من يعارضهـا ثمـن معارضته لها. فجماعة تاج محير هي حركة شـبابية يمينية متطرفـة، بدأ نشاطها عـام 2008م، وتطلق على نفسـها "تاج محير"، أي تكبيـد الثمن، وهدفها هو فرض نظام جديد وإقامـة دولـة يهوديـة شرعية. بـدأت تعمل جماعة تاج محـير بشكل فردي لمحـو كل ما هو غير يهـودي، وتكبيـد الفلسـطينيين ثمـن بقائهم؛ وذلـك بقتلهـم، وحرقهم، وهدم مسـاجدهم، وكنائسـهم، وحقولهـم. وتفعـل ذلـك مـع الجيـش الإسرائيـلي الذي يحـاول إخـلاء أو هدم المسـتوطنات، والانسـحاب من الأراضي الفلسـطينية المحتلة. معظم أعضاء هذه الحركة: هم شـباب مستوطنين من تلاميذ الحاخام "يتسحق شابيرا" (רביצחקשפירא)، والحاخام "يتسحق

(1) אברהם אבן שושן, המילון החדש ,כרך ששי ,הוצאת עם עובד בע"מ כנרת זמורה ביתן ,דביר בע"מ,ידיעות אחרונות ספרים 2006 , עמ"1979.

جينزبورج"[1] (יצחקגינזבורג)، والحاخام "دافيد دودكفيتش" (ברב דודדודקביץ). وتتخذ حركة تاج محير كتاب "شريعة الملك" (תורתהמלך) مرجعية لها في أعمالها الإرهابية. وأبرز أعضاء هذه الحركة هو: "مئير إيتنجر" (מאיראיטנגר)، وهو حفيد الحاخام "مئير كهانا" (מאירכהנא). وقد بدأ يظهر هذا المصطلح في بادئ الأمر على الجدران كرفض لإخلاء البؤر الاستيطانية وهدم المستوطنات[2]، ثم أصبح يستخدم ضد الفلسطينيين، وأحيانًا ضد بعض عمليات الجيش الإسرائيلي.

يعد الإرهاب الذي تمارسه جماعة تاج محير نيابة عن الكيان الصهيوني، فالإرهاب في فكر تاج محير: هو قتل أفراد أو جماعات من المدنيين أو العسكريين على أساس انتمائهم الديني أو الطائفي أو العرقي بمبررات ودوافع دينية متوهمة.

ومن الملفت للنظر أن الإرهاب باسم الدين لدى جماعة تاج محير مصنوع، أي إنه صناعة تقف وراءها مخابرات عالمية ذات خبرة عالية تدعمه لوجستيًا[3]؛ بهدف تغيير خريطة السياسة العالمية، وخريطة الشرق الأوسط بصفة خاصة، ونظرًا لأن المرء يولد على الفطرة، لذلك يتطلب تغيير هذه الفطرة التي خلق الله الناس عليها، بأن يخضع المرء الذي وقع عليه الاختيار لعملية تغيير فكره كليًا. ليصبح من السهل تجنيده، وتحويله إلى قنبلة موقوتة. ولكي يصبح المرء إرهابيًا، أي مقتنعًا بما يقوم به من تفجيرات أو أعمال قتل ووحشية، ومقتنعًا بأن هذا هو الطريق المؤدي إلى الجنة، يجب أن يتم إعداده فكريًا وذلك عن طريق:

1. **تزييف الوعي**: عن طريق خلق مصطلحات، ومعانٍ لم ترد في النص الديني الأصلي، وإلصاقها به أو إسنادها إليه.

2. **التنفيذ العملي**: وهو أن يُقر المرء بصحة تفسير العلماء للنص الديني دون التحقق من

(1) يتسحق جيتزبورج: هو مفكر قبالي وحاخام حبد חב"ד، عارض الصهيونية كثيرًا ورأى أن الصهيونية هي تعجيل بالخلاص الذي سيتم على يد الرب، وذلك بوسائل بشرية ودنيوية. تم تعيينه رئيس مدرسة دينية تُدعى "عودة إسرائيل" (שובה ישראל) في القدس، وبعد حرب 1967م تم تعيينه رئيس مدرسة دينية تُدعى "مازال يوسف حيًا"، وقد ألف العديد من الكتب في القبالا والحسيدية. وهو الحاخام نفسه الذي زكّى كتاب "شريعة الملك".

(2) https://www.inn.co.il/Besheva/Article.aspx/7528 م 2018/9/25

(3) هو فن تحريك الجيوش وإمدادها باستمرار، ويُعرف بالإمداد والتموين والتسليح والإخلاء وغيرها من الأعمال غير القتالية، والعاملون بهذا المجال عبارة عن مجموعات غير قتالية لكنها مدربة تدريبًا عاليًا جدًا، ويتحولون إلى القتال إذا تطلب الأمر.

صحته، ودون العودة إلى النص مباشرة، وليس هذا فحسب بل تبرير ذلك فقهيًا.

3. **التأسيس الفقهي**: وهو عبارة عن مبررات، ودوافع دينية متوهمة، واتباع وسائل فقهية من أجل إضفاء الشرعية، ومن أجل أن يبدو ما يحدث على الأرض مشروعًا، رغم أن ما يحدث يختلف تمامًا عما جاء في النص الديني.

4. **العقيدة**: بعد أن يمر المرء بالمراحل السابقة، ويتم تغيير فكره، يبدأ تكوين قناعة لديه بأن ما يحدث على الأرض هو في إطار الشرع ونُص عليه، فيقدم المرء على العملية الانتحارية وهو يعلم جيدًا أنه سوف يموت، ولكنه في الوقت نفسه يعلم أنه سوف يحظى بالجنة وما فيها من نعيم.

5. **الفتوى**: دور الفتوى مهم في الترويج للفكر الإرهابي، فهي ترديد للتأسيس الفقهي والتنفيذ العملي. فالقتل، والطائفية، والدموية هي آراء فقهية ليس لها علاقة بالنص الأصلي.

من هذا المنطلق، تأتى أهمية دراسة الفتاوى التي وردت في كتاب "شريعة الملك"، والتي تستند إليه جماعة تاج محير، وهو من تأليف الحاخام "يتسحق شابيرا" (יצחקשפירא)، والحاخام "يوسف إليتسور" (יוסףאליצור)، ويضم هذا الكتاب أكثر من ستين فتوى: تحل القتل، والإبادة، والسلب، والنهب، والاغتصاب.

ويرجع سبب اختياري هذه الدراسة لما يلي:

1 – إن المرجعية الدينية لجماعة تاج محير هي كتاب شريعة الملك، فكتاب شريعة الملك يؤسس فقهيًا، أي يشرعن العمليات الإرهابية التي تتم على الأرض، ويلبسها ثوبًا دينيًا، وهو المرجعية الدينية التي تستمد منه جماعة تاج محير أفكارها في عمليات القتل، والحرق، والإبادة.

2 – يضم كتاب شريعة الملك السند الفقهي للعديد من الفتاوى، كما يضم الأحكام التي تبيح قتل الفلسطينيين، بمن فيهم الأطفال والرضع، بحجة أنهم سيحذون حذو آبائهم وسيفعلون كما فعل آباؤهم، والأحكام التي تبيح اغتصاب النساء وقتلهن، وتبيح السلب والنهب وإتلاف الممتلكات، كما يعرض السند الفقهي للفتاوى التي تبيح قتل اليهود أيضًا.

3 – يستند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" إلى كتب التشريع اليهودي، أو التراث الديني اليهودي.

4 – يمثل كتاب "شريعة الملك" حلقة في المراحل التي يمر بها الفكر الإرهابي، فهو يؤسس فقهيًا، أي يضع سندًا شرعيًا للعمليات الإرهابية التي تتم على الأرض، فيجعلها تتم باسم الدين، ويلبسها ثوبًا دينيًا.

المنهج

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يتم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي

تتناول الدراسة عينة من الفتاوى التي وردت في كتاب شريعة الملك والذي تستند إليها جماعة تاج محير في العمليات الإرهابية.

وسوف أعرض هدف جماعة تاج محير، والوسائل، والفتاوى التي لجأت إليها لتحقيق هذا الهدف.

أولًا: هدف جماعة تاج محير والوسائل التي لجأت إليها:

أ– تغييب فلسطين والفلسطينيين في الخطاب الديني لكتاب "شريعة الملك" وجماعة تاج محير.

ثانيًا: الفتاوى الدينية التي لجأت إليها جماعة تاج محير في ترويع وإرهاب وطرد السكان:

أ– الفتاوى التي تبيح حرق الأحياء الفلسطينيين وزراعاتهم وبيوتهم.

ب– الفتاوى التي تبيح قتل وإبادة الفلسطينيين في السلم.

ج– الفتاوى التي تبيح التنكيل بجثث الموتى الفلسطينيين.

د– الفتاوى التي تبيح قتل الأطفال الفلسطينيين.

هـ– التأسيس الفقهي الذي يحل إبادة الشباب الفلسطينيين الذين يرفضون الاحتلال.

أولًا: هدف جماعة تاج محير والوسائل التي لجأت إليها:

أ– تغييب فلسطين والفلسطينيين في الخطاب الديني لكتاب "شريعة الملك" وجماعة تاج محير.

لجأ كتاب شريعة الملك إلى استخدام بعض الوسائل التي استندت إليها جماعة تاج محير في تحقيق هدفها وهو تغيير الخريطة الفعلية، وذلك من خلال ما يلي:

1 – **تغييب مصطلح فلسطينيين واسم فلسطين:**

فطن مؤلفا كتاب "شريعة الملك" كما فطن زعماء الحركة الصهيونية إلى خطورة وجود الشعب الفلسطيني على الأرض قبل إبراهيم -عليه السلام- وحتى الآن (التكوين 21/ 34): "وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً". لذلك أخذ زعماء الحركة الصهيونية مثل يسرائيل زانجويل (ישראלזַנְגְוויל (وثيودور هيرتزل (תאודור הרצל) يزيفون الوعي ويرددون أن (فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، كما دأبت غولدا مائير (גולדהמאיר) رابع رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية على تغييب اسم الفلسطينيين بقولها: (لا يوجد شعب اسمه فلسطيني) وكانت تطلق عليهم اسم عرب، وبذلك غيّبوا الشعب الفلسطيني رغم وجوده في أرضه، فأطلقوا عليهم اسم "عرب إسرائيل" أو "عرب 48"، وردد مؤلفا كتاب "شريعة الملك" مصطلح العرب[1] بدلاً من الفلسطينيين في جميع الفتاوى التي وردت في الكتاب ومصطلح "أرض إسرائيل" بدلًا من فلسطين، كما رددت جماعة "تاج محير" التي تستند إلى كتاب "شريعة الملك" مصطلح العرب بدلًا من الفلسطينيين وقامت بكتابته مصحوبًا بكلمات تحريضية تحض على قتل الفلسطينيين على الجدران مثل (الانتقام من العرب)، (الموت للعرب)، وذلك بهدف إبادة كل ما هو غير يهودي على الأرض تمهيدًا لإقامة دولة يهودية وفق الشريعة، فالعرب هو مصطلح أطلق على الفلسطينيين سكان أرض فلسطين (كنعان) لقطع الصلة بينهم وبين الأرض وحتى ينفوا وجودهم على الأرض منذ أقدم العصور، فهم أبناء متصرايم بن حام بن نوح سفر التكوين (10: 14).

2 – **التخلص المادي من الشعب الفلسطيني عن طريق الترويع والإرهاب والقتل**

قامت جماعة تاج محير التي تستمد فكرها من كتاب "شريعة الملك" بكتابة مصطلح العرب بدلًا من الفلسطينيين، مصحوبًا بكلمات تحريضية تحض على قتل الفلسطينيين على الجدران بهدف ترويع الفلسطينيين، مثل: الانتقام من العرب، والموت للعرب؛ وذلك بهدف إبادة كل ما هو غير يهودي على الأرض، كما حدث مع عائلة دوابشة[2]، تمهيدًا لإقامة دولة يهودية تحكم بالشريعة، ولذلك يقوم أفراد جماعة تاج محير بالقتل، والحرق، والتخريب، والتدمير؛ فيستهدفون المساجد، والكنائس، والمنازل، والحقول لحرقها، ويستهدفون البَشر؛

(1) שפירא (יצחק)ואליצור(יוסף): תורת המלך דיני נפשות בין ישראל לעמים،חלק ראשון،הוצאתהמכון התורני שעל-יד ישיבת עוד יוסף חי،יצהר،،2009، עמ' רכג.

(2) http://www.maariv.co.il/news/world/Article-491358 م 2019/9/11

فيضربون، ويقتلون، ويحرقون. وبعد الانتهاء من عمليات الترويع، والإرهاب، والقتل في كل مرة يوقعون على الجدران باسم تاج محير.

فما جاء في كتاب شريعة الملك تأسيس فقهي لمشروع قانون القومية اليهودية، أي إعلان إسرائيل دولة يهودية، الذي أقره الكنيست في 19 تموز/ يوليو 2018م، وينص القانون على أن "فلسطين هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي، وأن حق تقرير المصير فيها يخص الشعب اليهودي فقط"[1].

ثانيًا: الفتاوى الدينية التي لجأت إليها جماعة تاج محير في ترويع وإرهاب وطرد السكان:

أ: السند الفقهي الذي يحلّ إحراق الفلسطينيين أحياءً

أفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بإباحة حرق العربي (الفلسطيني) حتى الموت، استنادًا إلى ما وضعه ابن ميمون[2] في كتابه دلالة الحائرين[3] (מורהנבוכיםא،נד) فجاء:

"ونجد ذلك في أفعال الرب تبارك التي جلبت على البشر ضربات عظيمة، مثل الضربات التي حلّت على بعض البشر وقتلتهم، أو الضربة العامة التي قتلت عشائر أو أقاليم فأبادت الابن والحفيد، حيث لم يعد لهم نسل أو ذرية، والخسف والزلازل والأعاصير وإغارة شعب على آخرين لإبادتهم بالسيف ومحو ذكرهم... فإن أراد رئيس الدولة أن يحكم كما ينبغي عليه أن يتسم بهذه الصفات وتصدر عنه هذه الأفعال... ففي بعض الأحيان يكون

(1) https://knesset.gov.il/spokesman/arb/doc/PR190718.pdf اطلع عليه بتاريخ 20/ 9/ 2018م

(2) موسى بن ميمون (1135م 1204-م) ولد في قرطبة الأندلس، وطرد منها وجاء إلى مصر وترأس فيها الطائفة اليهودية. وهو من علماء اليهودية، وفيلسوف وطبيب، جدد ابن ميمون في القرن الثالث عشر الميلادي الخطاب الديني، وقام بمفرده بما قامت به أجيال عديدة من المشرعين على مدى سبعة عشر قرنًا، واستحق بذلك وعن جدارة مقولة: من موسى إلى موسى لم يظهر مثل موسى! ويقصد بها: أنه من موسى عليه السلام إلى موسى بن ميمون لم يظهر مثل موسى. ومن مؤلفات موسى بن ميمون: تثنية الشريعة، دلالة الحائرين. راجع أبو المجد (ليلى إبراهيم)، تجديد الخطاب الديني، الكتب وجهات نظر، العدد 125 حزيران/ يونيو 2009م، ص34.

(3) كتاب "دلالة الحائرين": ألف ابن ميمون كتاب دلالة الحائرين باللغة العربية ولكن بحروف عبرية (العربية اليهودية) وجعله فصولًا وأجزاء وبعث به إلى تلميذه تباعًا. فكتاب "الدلالة" موجه إلى المثقفين، لذلك كتبه ابن ميمون باللغة العربية، وهى لغة الثقافة الأكثر انتشارًا في ذلك العصر، وكتبه بحروف عبرية حتى لا يطلع عليه من المثقفين إلا من يعرف هذه الحروف العبرية. أما عن هدف ابن ميمون من تأليف "دلالة الحائرين" هو أن يزيل ما في نفوس الدارسين اليهود للفلسفة من شك وريبة حتى يصلوا إلى اليقين، وذلك بسبب ما تعرض له تلميذه "يوسف بن عقنين" من حيرة ودهشة فيما يتعلق بالأمور الإلهية. راجع أبو المجد: نماذج من التفاعل الثقافي بين العرب واليهود في الأندلس، ص23، 24.

لدى القليل من الأشخاص مشاعر حقد وانتقام وغضب، ليس بسبب الغضب وحده، فقد يُؤمر المرء بحرق الرجل وهو غير غاضب أو ساخط عليه أو كاره له، إنما يفعل ما هو ملزم به، وينظر ماذا يجلب هذا الفعل من منفعة عظيمة لجمهور من الناس، ألم ترَ ما جاء في التوراة سفر التثنية (20: 16) فقد أمر الرب بإبادة الشعوب السبعة، فقال "فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً"، وسند ذلك ما ورد في سفر التثنية (20: 18): "كَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ"[1].

استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" إلى ما وضعه ابن ميمون في كتابه دلالة الحائرين، وأفتيا بأن الانتقام من الفلسطينيين يحقق منفعة لليهود خصوصًا وأن ابن ميمون قد أسس لذلك فقهيًا وأسنده إلى نص التوراة دون أن يعود مؤلفا كتاب "شريعة الملك" إلى النص الأصلي، وأصدرا حكمهما بناء على ما أورده ابن ميمون وأسقطا الحكم بضرورة إبادة الشعوب السبعة إبادة تامة على الشعب الفلسطيني. فقد تغافل موشيه بن ميمون، وسار على أثره مؤلفا كتاب "شريعة الملك"، على الرغم من أن الفلسطينيين لم يكونوا ضمن الشعوب السبعة التي أمر الرب بإبادتهم وهم: (الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفريزيون والحويون واليبوسيون).

وسارت جماعة "تاج محير" على أثر كتاب "شريعة الملك" الذي قدم لها السند، فقامت بعد خطف المستوطنين الثلاثة، وتنكر حاخام واثنان من أبنائه في زي عربي، وقاموا بخطف الطفل الفلسطيني (محمد أبو خضير) أثناء عودته من صلاة الفجر في شهر رمضان دون سابق معرفة بالطفل، وتوجهوا به إلى منطقة نائية بعيدًا عن الشهود، وقاموا بضربه على رأسه بمفتاح حديدي حتى نزف وأجبروه على شرب البنزين، وبعد ذلك قاموا بحرقه حيًّا حتى لفظ أنفاسه، وحرقوا كل ما يتصل بالجريمة حتى لا يتم الكشف عن هويتهم، ورفضت المحكمة الإعلان عن أسماء المتهمين، واكتفت بوصفها المتهمين بأنهم ثلاثة أشخاص، من بينهم اثنان قاصران، وأفرجت عن ثلاثة متهمين آخرين من بينهم حاخام[2].

وقد أفتى الربيّ إلياقيم ليڤانون بمعاقبة من قاموا بحرق الطفل الفلسطيني بالقتل قائلًا:

(1) שפיראואליצור :תורת המלך،עמ' ריח،ריט

(2) חסון(ניר):כתב אישום נגד בגיר ושני קטינים ברצח אבו חדיר: "יצאו למסע ציד אדם"،באתר עיתון הארץ، פורסם 17/ 7/ 2014.

اطلع عليه بتاريخ 11/ 9/ 2018م http://www.haaretz.co.il/news/law/1.2379598

إن الشريعة اليهودية لا ترحم القاتل، سواء كنا نتحدث عن قتل اليهود أو الفلسطينيين[1].

من الملاحظ أن هذه الفتوى تم رفعها بعد ذلك من معظم المواقع الإلكترونية الإسرائيلية التي نشرتها على الإنترنت.

فقد أسس ابن ميمون فقهيًا وأحل قتل وحرق الآخر دون دافع من غضب أو حقد، ولكن بغرض المنفعة والانتقام، وتابعه مؤلفا كتاب "شريعة الملك" وجماعة "تاج محير".

ب: التأسيس الفقهي الذي يحلّ قتل وإبادة الفلسطينيين في السلم

أفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في الفصل الأول بإباحة قتل غير اليهودي[2]في السلم، واستندا إلى عدة أسانيد فقهية.

فقد استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" إلى ما وضعه موشيه بن ميمون في كتابه "تثنية الشريعة"[3] تشريعات القاتل (הלכותרוצחפ'אה'א) فجاء: "كل من يقتل نفسًا من بني إسرائيل يعد متعديًا للنهي (لاتقتل)، وإن قتل متعمدًا أمام شهود، يُقتل بالسيف...".

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": أن النهي (لا تقتل) يتعلق باليهودي الذي يقتل يهوديًا آخر فقط. وليس اليهودي الذي يقتل غير اليهودي حتى وإن كان غير اليهودي هذا من الأتقياء[4].

---

(1) **לוי(מישאל) :הרב אליקים לבנון בפסק הלכה: להוציא להורג את רוצחי מוחמד אבו חדיר، באתר עיתון כיכר השבת،פורסם** 6/7/2014.

https://www.kikar.co.il/abroad/%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%9C%D7%91%D7%A0%D7%95%D7%9F-%D7%9C%D7%94%D7%A8%D7%95%D7%92-%D7%90%D7%AA-%D7%A8%D7%95%D7%A6%D7%97%D7%99-%D7%90%D7%91%D7%95-%D7%97%D7%93%D7%99%D7%A8.html

(2) الأغيار (**גויים**) : استخدم هذا المصطلح منذ عصر المشنا للدلالة على الآخر المختلف عن اليهودي عرقيا أو دينيًا

(3) كتاب "تثنية الشريعة ": هو كتاب فقه وتشريع، كتبه ابن ميمون باللغة العبرية، وهو كتاب ضم فيه ابن ميمون كل الأحكام التي جاءت في التراث اليهودي الذي يؤمن به الربانيون (المشنا والتلمود وكتب الأحكام والفتاوى التي وضعها الفقهاء حتى عصر ابن ميمون) ولا يؤمن به القراؤون... عمد موسى بن ميمون في كتاب تثنية الشريعة إلى عدم ذكر قائل هذا التشريع أو ذاك لكي يتمكن من نقل الأحكام والتشريعات التي يحتاج إليها من كتب الفقه الإسلامي... راجع أبو المجد (ليلى إبراهيم): نماذج من التفاعل الثقافي بين العرب واليهود في الأندلس، بحث منشور، ص 24، 25، 27.

(4) **שפיראואליצור :תורת המלך עמ' יח.**

كما استعان مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بأقوال الربيّ يتسحق جينزبورج والذي استند فيها إلى تفسير الربي "أڤراهام بن عزرا" (אברהם אבן עזרא)[1] لما جاء في سفر الخروج (20: 13–16):"[2] لَا تَقْتُلْ، لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَىَ قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ"، فجاء: "يجب علينا أن نقبل تحريم قتل غير اليهودي الذي وضعه العلماء، نظرًا لأن النص لم يذكر في الوصايا العشر (لا تقتل) و(لا تزنِ) وأيضًا (لا تسرق) كلمة صاحبك مثلما ذكر في النهيين الآخرين، فما وضعه العلماء يحسم أن هذه النواهي جميعًا تقتصر على صاحبك فقط، ويمكننا أن نفسر، أن هذه الفرائض جاءت جميعًا في نفس فقرة "لا تشهد على صاحبك شهادة زور"، ونستنتج من ذلك أن جميع الفرائض التي جاءت في هذه الفقرة هي نواهٍ تخص صاحبك فقط، ومما يؤكد ذلك واو العطف التي جاءت بين هذه النواهي في الوصايا العشر في "פרשת ואתחנן" سفر التثنية (5: 17–21): "لاَ تَقْتُلْ، وَلاَ تَزْنِ، وَلاَ تَسْرِقْ، وَلاَ تَشْهَدْ عَلَى صاحبك شَهَادَةَ زُورٍ، وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ صاحبك، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ صاحبك وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِصاحبك"[3].

كما استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" إلى المخيلتا (تفسير سفر الخروج) (מכילתא)[4] سفر الخروج (21: 14): "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ". فقال النص صاحبه ليستثنى بها الآخرين. إيسي بن عقيڤا (איסי בן עקיבה)[5] يقول: تم نهينا عن سفك الدماء قبل أن نتلقى التوراة عندما كنا أبناء نوح، ولكن بعد أن تلقيناها تم تيسير بعض الشرائع المغلظة، لذلك قالوا: اليهودي الذي يسفك الدماء لا يجب قتله بيد البشر وعقابه بيد السماء"[6].

وقد استدل مؤلفا كتاب شريعة الملك بكلمة (صاحبه) التي جاءت في سفر الخروج

(1) أڤراهام بن عزرا ولد في إسبانيا عام (1089 م – 1167م) هو من علماء اليهود البارزين في العصر الوسيط.

(2) الفقرة التي استند إليها مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في النص العبري للتوراة وكذلك الترجمة العربية لا تتناول النواهي "لا تقتل ولا تزن ولا تسرق" فقد استندا إلى سفر الخروج (20/ 12) والتي يأمر فيها الرب بني إسرائيل بأن يكرموا آباءهم وأمهاتهم: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" على حين الفقرة التي تتناول النواهي لا تقتل لا تزن ولا تسرق جاءت في سفر الخروج (20: 13 - 15).

(3) قامت الترجمة العربية للمقرا بترجمة كلمة **רעך** قريبك، وهذا خطأ والصواب صاحبك.

(4) **מכילתא** (مخيلتا): هي تفسير لسفر الخروج وهناك نوعان من المخيلتا **מכילתא דר' ישמעאל** (تفسير الربي إسماعيل لسفر الخروج)، **מכילתא דרבי שמעון בר יוחאי** (تفسير الربي شمعون بن يوحاي لسفر الخروج).

(5) ويطلق عليه أيضًا ايسي بن يهودا (**איסי בן יהודה**) ينتمي للجيل السادس والأخير من علماء المشنا.

(6) **שפיראו אליצור :תורת המלך، עמ' כב.**

(21:14) على أنه لا يجب قتل اليهودي الذي يقتل غير اليهودي، وأن أقوال إيسي بن عقيقا تتعلق بمسألة العقاب وليس التحريم، أي رغم أن دار القضاء لا تدين اليهودي بالقتل، فإنه من غير الممكن أن يتم تيسير هذه الفرائض ولا يكون هناك عقاب مطلقًا، لذلك قالوا يجب عقابه بيد السماء. كما جاء في ردود ابن ميمون (שו"תפ'ט): "من قتل غير يهودي قبل تلقي التوراة تعاقبه دار القضاء بالقتل، فورد في سفر التكوين (9: 6) "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ" وبعد تلقي التوراة ورد "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ" ولم يَقُل على غير اليهودي. فيقول إيسي بن يهودا: لا يعفى اليهودي الذي قتل غير اليهودي ولكن يترك حكمه للسماء ويعفى من أحكام البشر"[1].

ولكي يخصص مؤلفا كتاب "شريعة الملك" نهي (لا تقتل) ويقصراه على اليهود فقط، لم يطبقا قاعدة "ليس هناك شيء يحل لإسرائيل ويحرم على الأغيار" وأوضحا أن هناك خلافًا حول هذه القاعدة، فهناك أمور تحل لإسرائيل وتحرم على الأغيار، كما أنه لايوجد تحريم في التوراة عن قتل غير اليهودي حتى وإن كان جنينًا، كما أن التوراة لم تحرم إبادتهم[2].

وقد أسند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" عدم الاستدلال بقاعدة "ليس هناك شيء يحل عند بني إسرائيل ويحرم عند الأغيار" إلى ما جاء في مسخت سنهدرين (סנהדרין עהא[3]): "يقول ربي يوسي بن ربي حنينا: أي فريضة وردت لأبناء نوح وتكرر ذكرها في سيناء فهي لهذا وذاك. والفريضة التي وردت لأبناء نوح ولم يتكرر ذكرها في سيناء، فرضت على بني إسرائيل وليس أبناء نوح... قال مار: أي فريضة وردت لأبناء نوح وتكرر ذكرها في سيناء فرضت على هذا وذاك. على العكس، فالتي تكرر ذكرها في سيناء فهي مفروضة على بني إسرائيل وليس أبناء نوح، من هنا شُرع "النهي عن العبادة الأجنبية" في سيناء، ووجدنا غير اليهودي يعاقب عليها. ونستنبط من ذلك أنها فرضت على اليهود والأغيار. لكن الفرائض التي فرضت على أبناء نوح ولم يرد ذكرها في سيناء فهي مفروضة على بني إسرائيل وليس على أبناء نوح. وعلى العكس فالفرائض التي لم يتكرر ذكرها في سيناء فهي مفروضة على أبناء نوح وليس على بني إسرائيل! أوليس هناك ما يحل لبني إسرائيل ويحرم على الأغيار؟!"[4].

---

(1) שם،עמ' כג

(2) שם،עמ' לד.

(3) ترقم صفحة التلمود من الجهة اليسرى فقط باستخدام الحروف العبرية، وتسمى تلك الصفحة التي تحمل الحروف العبرية (א) أو وجه الصفحة، وتسمى تلك الصفحة التي تليها (ב) أو ظهر الصفحة

(4) שם،עמ'כח.

ولتأييد التأسيس الفقهي السابق، أورد مؤلفا كتاب "شريعة الملك" سندًا من مسخت سنهدرين (סנהדרינמחב): "يقول الربي إليعزر نقلًا عن الربي حنينا: يُعاقب ابن نوح الذي ضاجع زوجته من الدُبر، فجاء في سفر التكوين (2، 24): "وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ" وليس من الدُبُر، قال ربّا: هل هناك شيء لا يعاقب عليه بني إسرائيل ويُعاقب عليه غير اليهود؟ وقال ربّا: يُعفى ابن نوح الذي ضاجع زوجة صاحبه من الدُبُر من العقاب. فما سند أن يُعاقب على زوجته ولا يعاقب على زوجة صاحبه، جاء: "وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ" وليس بامراة صاحبه"[1].

فيتبين مما سبق أن مؤلفي كتاب "شريعة الملك" وضعا المسوغ الشرعي الذي يحلّ للجنود الإسرائيليين قتل الفلسطينيين دون أن تعاقبه المحكمة بالقتل، لذلك ليس من الغريب أن يطلق الجندي الإسرائيلي أليؤور أزاريا عام 2016م الرصاص على رأس الشاب الفلسطيني (عبد الفتاح الشريف) في الخليل، رغم أنه كان مصابًا وممددًا على الأرض ولم يمثل خطرًا على حياة أحد الجنود أو المستوطنين الذين تواجدوا في المكان، وبالرغم من ذلك لم تعاقبه المحكمة بالقتل، بل حكمت عليه بالسجن ثمانية عشر شهرًا، وبعد ذلك خفّف رئيس أركان الجيش الإسرائيلي جادي إيزنكوت الحكم ليصبح أربعة عشر شهرًا، كما تم غلق الكثير من قضايا القتل المتهم فيها جنود إسرائيليون دون التحقيق معهم[2].

جـ: السند الفقهي الذي يحل التنكيل بجثث موتى الفلسطينيين

أفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بجواز التنكيل والتمثيل بجثث الفلسطينيين وانتهاك حرمة الميت، فيقوم اليهود بمنع تسليم جثث الفلسطينيين لذويهم لدفنها. فقد ناقش مؤلفا كتاب "شريعة الملك" ضرورة إبادة الفلسطينيين، وأفتيا بضرورة اتباع القاعدة الفقهية "كما تدين تدان" (מידהכנגדמידה)، وانتهاك حرمة موتاهم من أجل الضغط عليهم، استنادًا إلى ما ورد في كتاب "بيت حدش" (ביתחדששו"תהחדשותנב) فجاء:" إنه من الممكن تأخير دفن جثمان الميت للانتقام من أهله، فلا يعلموا هل بعد أيام أو سنوات سوف يدفنوا ميتهم لكي ننتقم منهم"[3].

---

(1) שם،כט.

(2) סוכנויות הידיעות:משפחת המחבל מחברון: "משפט ראווה، ידענו שהחייל יקבל עונש קל"، באתר עיתון וואלה פורסם 21/ 11/ 2017.

https://news.walla.co.il/item/3042630

https://www.btselem.org/arabic/video/20160324_soldier_executes_palestinian_attacker_in_hebron

(3) שפיראואליצור :תורת המלך، עמ'ריז

وقد علّق مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بقولهما: "إن أحد الأمور الضرورية لإلحاق الضرر بالآثمين هو الانتقام منهم، فلكي ننتصر على الآثمين علينا أن ننتقم منهم ونتبع معهم القاعدة الفقهية "كما تدين تدان" استنادًا إلى ما جاء في سفر الجامعة (8: 11)" لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفَعْلِ الشَّرِّ."[1].

أسند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" القاعدة الفقهية "كما تدين تدان" (מידהכנגדמידה) إلى سفر الجامعة (8: 11)، فسفر الجامعة لم ينص صراحة على القاعدة الفقهية (كما تدين تدان) وذلك لكي يبررا فقهيًّا ما وضعه مؤلف كتاب (بيت حداش).

فقد وردت القاعدة الفقهية (كما تدين تدان) كقصاص وكعقاب لمن يشهد شهادة زور ويلحق ضررًا للآخر، فجاء في (تثنية 18: 21): "فَإِنْ فَحَصَ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ كَاذِبٌ، قَدْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ عَلَى أَخِيهِ، فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ. وَيَسْمَعُ الْبَاقُونَ فَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذلِكَ الأَمْرِ الْخَبِيثِ فِي وَسَطِكَ. لاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْلٍ".

أي أطلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك" الغرض من تطبيق هذه القاعدة الفقهية التي وردت كقصاص وكعقاب على شهادة الزور.

فمؤلفا كتاب "شريعة الملك" وضعا المسوغ الشرعي الذي جعل الكنيست يتشجع ويصدر قانونًا تمت الموافقة عليه من القراءة الأولى، وبموجبه تمنع الشرطة الإسرائيلية تسليم جثامين الفلسطينيين إلى عائلاتهم لدفنهم، ردعًا لهم، كما يبيح القانون احتجاز الجثامين في حالة الخوف من حدوث ضرر لليهود أو التحريض على الإرهاب أو تنفيذ أعمال عنف أثناء الجنازة[2].

ولذلك لم يجد المستوطنون اليهود أية غضاضة في التنكيل بجثث الموتى الفلسطينيين لردع أهلهم والانتقام منهم، لذلك قام أفراد من جماعة تاج محير بالتنكيل بجثة الطفل الفلسطيني "محمد أبو خضير" فقاموا بركله ثلاث مرات وهو ملقىً على الأرض، وضربه في رأسه بمفتاح

(1) שם، עמ' ריז

(2) http://main.knesset.gov.il/Activity/Legislation/Laws/Pages/LawBill.aspx?t=lawsuggestionssearch&lawitemid=2021605 2018 /3/ 25 اطلع عليه بتاريخ.

حديدي حتى نزفت رأسه، وأحرقوه حتى لفظ أنفاسه؛ وذلك انتقامًا من الفلسطينيين[1].

كما احتجزت السلطات الإسرائيلية جثامين سبعة عشر فلسطينيًا في عام 2015م، واحتجزت جثمان الشاب الفلسطيني (أحمد عوض أبو الرب) (الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا) في معهد أبو كبير الطبي الإسرائيلي، ورفضت تسليم جثمانه لعائلته[2].

د: السند الفقهي الذي يحلّ إبادة أطفال الفلسطينيين في فكر جماعة تاج محير:

أفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بإباحة قتل الأطفال الفلسطينيين حتى لا يكبروا ويشكلوا خطرًا على إسرائيل، واستشهد مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في التأسيس الفقهي للفتاوى التي تبيح قتل الأطفال بثلاثة أسانيد فقهية:

أ- فقد استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في قتل الأطفال إلى تفسير الربي موشيه بن نحمان لسفر العدد (31: 7): "فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَر"، وقد أضاف النص "كل ذكر" ليعمم الحكم ويشمل هذا العقاب الأطفال وذلك بغرض الانتقام"[3].

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": لا يُقتل الأطفال بسبب شرورهم، ولكن من الضروري قتلهم انتقامًا من الأشرار، وقتل الأطفال يحقق هذه الضرورة[4].

وقد أسند مؤلفا الكتاب ضرورة اتباع القسوة والعنف إلى المقرا وإلى القاعدة الفقهية (كما تُدين تُدان)، فاستندا إلى ما جاء في سفر القضاة (1: 6-7): "فَهَرَبَ أَدُونِي بَازَقَ، فَتَبِعُوهُ وَأَمْسَكُوهُ وَقَطَعُوا أَبَاهِمَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَقَالَ أَدُونِي بَازَقَ: سَبْعُونَ مَلِكًا مَقْطُوعَةٌ أَبَاهِمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ كَانُوا يَلْتَقِطُونَ تَحْتَ مَائِدَتِي. كَمَا فَعَلْتُ كَذلِكَ جَازَانِيَ اللهُ. وَأَتَوْا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ فَمَاتَ هُنَاكَ"[5].

كما استندا إلى قتل (أجاج ملك عماليق) الذي خالف شاؤل أمر الرب وأبقى عليه ولم يقتله،

(1) חסון:כתב אישום נגד בגיר ושני קטינים ברצח אבו חדיר
اطلع عليه بتاريخ 11/ 9/ 2018م http://www.haaretz.co.il/news/law/1.2379598

(2) اطلع عليه بتاريخ 25/ 3/ 2018م http://www.wafa.ps/ar_page.aspx?id=d9D5tSa674432162613adD5tS

(3) שפיראואליצור :תורת המלך،עמ' ריח،ריט

(4) שם،עמ'،ריט.

(5) שם، עמ' רך.

فقام صموئيل النبي بقتله تطبيقًا للقاعدة الفقهية (كما تدين تُدان)، فجاء في سفر صموئيل الأول (15: 33): "فَقَالَ صَمُوئِيلُ: كَمَا أَثْكَلَ سَيْفُكَ النِّسَاءَ، كَذلِكَ تُثْكَلُ أُمُّكَ بَيْنَ النِّسَاءِ. فَقَطَّعَ صَمُوئِيلُ أَجَاجَ أَمَامَ الرَّبِّ فِي الْجِلْجَال"[1].

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": أوضحت التفاسير أن النص يتحدث عن القسوة في القتل كما قال الربي ليڤي بن جرشوم[2]، فجاء: "أراد أن يقول إنه شطره بسيفه كما لو كان يقطع الأخشاب امتثالًا لأمر الرب تبارك، وكان في ذلك منفعة لبث الرعب في قلوب من تبقى كي لا يحاربوا بني إسرائيل"[3].

كما استندا إلى ما جاء في سفر صموئيل الثاني (8: 2) حول تعامل داود بقسوة مع موآب وعمون بعد انتصاره عليهما: "وَضَرَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلٍ لِلاسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوآبِيُّونَ عَبِيدًا لِدَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا"[4].

كما استندا إلى ما جاء في سفر المزامير (137:8–9)": يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ"![5].

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": إن قسوة أبناء بابل أجبرتنا أن نتعامل معهم بقسوة مشابهة وأن نعتبر أطفالهم كالصخور[6].

ب– وقد استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" على ما جاء في نبوءة إشعياء، سفر إشعياء (14: 21): "هَيِّئُوا لِبَنِيهِ قَتْلًا بِإِثْمِ آبَائِهِمْ، فَلاَ يَقُومُوا وَلاَ يَرِثُوا الأَرْضَ وَلاَ يَمْلؤوا وَجْهَ الْعَالَمِ مُدُنًا[7]".

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك" على النص السابق وقالا: إن النبوءة تدعو إلى قتل أطفال بابل على الرغم من أنهم صغار وليس لديهم معرفة كاملة بالأمور؛ لأنهم عندما يكبرون

(1) **שם**، עמ' רך.

(2) الربي ليڤي بن جرشوم ولد عام (1288 م- 1344 م) في مقاطعة بروفانس جنوب فرنسا.

(3) **שפיראואליצור :תורת המלך**، עמ' רכא.

(4) **שם**، עמ' רכא.

(5) **שם**، עמ' רכג.

(6) **שם**، עמ' רכג.

(7) **שם**، עמ' רו.

سيقتفون أثر آباءهم وسيلحقون بهم الضرر[1].

واستعان مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بما جاء في تفسير الربي داڤد بن يوسف قمحي والذي يخالف ما جاء في سفر إشعياء (14: 21) فجاء في تفسير الربي داڤد: "فليقتلوهم بسبب إثم آبائهم، وعليكم أن تخشوا من أن يصبح هؤلاء الأبناء مثل آبائهم أشرارًا، لذلك اقتلوهم حتى لا يحيوا ويرثوا الأرض"[2].

أخرج مؤلفا كتاب "شريعة الملك" الحكم من كونه حكمًا خاصًا قصره النص على أطفال بابل إلى حكم عام ليشمل الأطفال الفلسطينيين، وبررا لذلك فقهيًا من خلال الاستناد إلى نبوءة إشعياء، كما جعل مؤلفا كتاب "شريعة الملك" عقاب الرب في نبوءة إشعياء لملك بابل بقتل بنيه حكمًا مطلقًا يصلح لأي زمان أو مكان، فالهدف من النبوءة هو الانتقام من ملك بابل وقتل بنيه حتى لا يرثوا الأرض؛ لأن ملك بابل استعبد بني إسرائيل وخرّب الأرض وقتل شعبه وتسلط على الشعوب الأخرى كما يقولون، على حين جعل مؤلفا الكتاب سبب قتل أطفال الفلسطينيين لأنهم سيقتفون أثر آباءهم.

جـ - كما استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في تأييد حكم قتل الأطفال الفلسطينيين إلى ما وضعه الربي بحيا بن أشر في تفسير سفر التثنية (20: 10-18) وفيه أسهب في توضيح هذا الاستدلال الذي يبيح قتل الأطفال عند قتال الشعوب السبعة فجاء: "لا ظلم في قتل الأطفال والذين هم فروع جذر التمرد، لأنهم سيقتفون أثر آبائهم وسوف يفعلون كل الآثام التي يبغضها الرب وسيتعلم منهم بنو إسرائيل بالتأكيد، (وبررا لذلك فقهيًا) استنادًا إلى سفر التثنية (20: 18) "لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ. "فقد تقول: إنهم عندما يكبرون سوف يتوبون ويُصالحوننا، فدعك من هذا النص ولنستدل بالنص الذي أحل الرب فيه دمهم: فالرب يعلم أنهم لن يتوبوا، ولذلك قال إشعياء بوضوح: "هَيِّئُوا لِبَنِيهِ قَتْلًا بِإِثْمِ آبَائِهِمْ، فَلاَ يَقُومُوا وَلاَ يَرِثُوا الأَرْضَ وَلاَ يَمْلؤوا وَجْهَ الْعَالَمِ مُدُنًا" إن كان الأمر كذلك، فإن أبقيناهم أحياء، أليست حياتهم سببًا لحدوث ضرر أكبر بكثير من ضرر قتلهم. فالأقرب للمنطق أن يرتكب المرء ضررًا صغيرًا لكي يمنع ضررًا أكبر، فالمرء الحكيم والعاقل يلقي نفسه من أعلى السطح لينقذ نفسه من الخطر، أو يقطع يده أو قدمه أو عضوًا من أعضائه لكي ينقذ سائر جسده،

(1) שם، עמ' רו

(2) שם، עמ' רו.

أو يشرب شرابًا مرًا كالعلقم لكي يدفع المرض، فهو في هذا كله لا يفعل شرًا لنفسه ولكنه يصنع معروفًا لنفسه وينقذ حياته، ولأن الإنسان يفعل ذلك لنفسه ولا نحكم عليه أنه شرير... فالأولى ألا يعد شريرًا إن فعل ذلك بنفس الآخرين، لهذا السبب أحلت الشريعة قتل الطفل، وأن يفعل المرء ضررًا قليلًا لكي يدفع ضررًا أكبر"[1].

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": سيرتاح الأطفال أيضًا بهذا القتل، لأنهم سوف ينشؤون بطريقة غير سوية، ومن ثم نضطر إلى قتلهم فيما بعد. ويبدو أن هذا ما قصده الربي بحيا بن أشر في بداية أقواله، فجاء "بما أن الرب تبارك استأصل قوتهم في السابق، فما نفعله لهم لاحقًا، لا يعدّ شيئًا"، أي بما أنه يترتب على ذلك ضرورة استئصال هذه الأمة وكل قوتها المعنوية (باستئصال القائمين عليها)، لذلك فهؤلاء الأطفال لا مكان لهم في هذا العالم (الدنيا)، ولن يكونوا شعبًا قائمًا بذاته وستكون نهايتهم الموت، ولذلك يُفضل قتلهم الآن[2].

قاس مؤلفا كتاب "شريعة الملك" قتل أطفال الفلسطينيين على قتل أطفال بابل والشعوب السبعة، وأخرجا حكم قتل أطفال الشعوب السبعة من كونه حكمًا خاصًا إلى حكم عام يطبق على أطفال الفلسطينيين. ولتأييد التأسيس الفقهي وإطلاق حكم إبادة الأطفال وجعله غير محدد بزمان أو مكان، أورد مؤلفا كتاب شريعة الملك سندًا من سفر ملوك ثانٍ (9: 8–9)[3]:" فَيَبِيدُ كُلُّ بَيْتِ أَخْآبَ، وَأَسْتَأْصِلُ لأَخْآبَ كُلَّ بَائِلٍ بِحَائِطٍ وَمَحْجُوزٍ وَمُطْلَقٍ فِي إِسْرَائِيلَ. وَأَجْعَلُ بَيْتَ أَخْآبَ كَبَيْتِ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ، وَكَبَيْتِ بَعْشَا بْنِ أَخِيَّا". فقد أباد الملك ياهو كل بيت أخآب بمن فيهم الأطفال حتى لا يكبروا ويشكلوا خطرًا على بني إسرائيل بعباداتهم الوثنية[4].

ومن الملفت للنظر أن مؤلفي كتاب "شريعة الملك" ذكرا أن سبب قتل الأطفال في المقرا حتى لا يكبروا ويشكلوا خطرًا على إسرائيل، على الرغم من أن جميع النصوص التي تتحدث عن

(1) שם،עמ' רו،רז.

(2) שם، עמ'רז، هامش עמ' מו

(3) الفقرة التي استشهد بها مؤلفا كتاب "شريعة الملك" من العهد القديم لا تتحدث عن إبادة ياهو لبيت آخاب، فاستشهد بـ(ملوك ثانٍ 9: 11 / 9: 17) والتي تناقش مسألة خروج ياهو بن يهوشافاط إلى عبيد سيده ليخبرهم بأن الرب مسحه ملكًا على بني إسرائيل، كما تناقش ذهاب ياهو إلى يزراعيل ليقتل يهورام ولا تتحدث عن إبادة بيت آحاب. على حين أن الفقرة التي تتحدث عن إبادة بين آخاب جاءت في (ملوك ثان 9: 9-8).

(4) שפיראואליצור :תורת המלך עמ'רז

قتل الأطفال أحلت القتل من أجل الانتقام من الآباء وليس من الخوف أنهم سوف يكبرون ويقتفون أثر آبائهم فجاء في سفر ملوك الثاني (9: 7): "فَتَضْرِبُ بَيْتَ أَخْآبَ سَيِّدِكَ. وَأَنْتَقِمُ لِدِمَاءِ عَبِيدِيَ الأَنْبِيَاءِ، وَدِمَاءِ جَمِيعِ عَبِيدِ الرَّبِّ مِنْ يَدِ إِيزَابَل".

فيتبين مما سبق أن ما جاء في كتاب "شريعة الملك" ترديد للسند الشرعي الموجود في كتب التراث الديني اليهودي، ولذلك لم يجد الحاخام مردخاي إلياهو[1] أية غضاضة في أن يصدر فتوى تحل قتل الرجال والنساء والأطفال وحتى الرضع الفلسطينيين[2].

كما أفتى الحاخام شموئيل إلياهو بن الحاخام مردخاي إلياهو وقال: "إن التوراة [3] تقول "من جاء ليقتلك سارع بقتله"، فإن اتضح أن الطفل الصغير سوف يكبر ليصبح هتلر ويقتل المئات من اليهود، ففي هذه الحالة تأمرنا الشريعة بقتله، فجاء "اقطع رأس أفضل الحيات"[4].

وعملًا بهذه الفتوى قام مستوطنون متطرفون تابعون لجماعة "تاج محير" بحرق منزل عائلة دوابشة، ما أدى إلى قتل الطفل علي دوابشة (الذي يبلغ من العمر سنة ونصف) وإصابة أطفال آخرين إصابات خطيرة[5].

كما تتعمد القوات الإسرائيلية استهداف الأطفال وخاصة أطفال غزة. ففي أول عشرة أيام من قصف غزة عام 2014 م قُتل أكثر من أربعين طفلًا وأصيب المئات من الأطفال[6]. وكذلك قامت القوات البحرية الإسرائيلية بقتل أربعة أطفال فلسطينيين كانوا يلعبون على شاطئ البحر قرب ميناء غزة وهم: إسماعيل محمد بكر (الذي يبلغ من العمر 10 أعوام) ومحمد رامز بكر (الذي يبلغ من العمر 11 عامًا) وزكريا عاهد بكر (الذي يبلغ من العمر 10 أعوام) وجميعهم من عائلة واحدة[7].

---

(1) حاخام مدينة صفد وزعيم التيار الديني الصهيوني

(2) http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=9581 اطلع عليه بتاريخ 25/ 3/ 2018 م

(3) ينسب مؤلفا كتاب "شريعة الملك" ذلك إلى التوراة على الرغم من أنه من وضع علماء الجمارا.

(4) http://www.moriah.co.il/ا. اطلع عليه بتاريخ 25 / 5/ 2014 م

(5) http://www.maariv.co.il/news/world/Article-491358 اطلع عليه بتاريخ11/ 9/ 2018م.

(6) http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=9437 م 28 /2/ 2018

(7) קייס (רועי) וסוכנויות הידיעותדיווח פלסטיני: "צה"ל תקף בחוף הים של עזה: 4 ילדים נהרגו" באתר עיתון ידיעות אחרונות פורסם 16/7/2014.

وفيما يلي جدول بأعداد الأطفال الذين قتلهم جنود الاحتلال والمستوطنون الإرهابيون، والتي وثقتها (الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال الفلسطينيين)[1].

- أعداد الأطفال الفلسطينيين الذين قتلوا طبقًا للعمر من عام 2000م حتى عام 2017م

السنة	10 - 8	12 – 9	15 – 13	17 – 16	المجموع
2000	4	9	34	47	94
2001	13	21	31	33	98
2002	50	33	62	47	192
2003	16	22	47	45	130
2004	13	29	58	62	162
2005	2	10	19	21	52
2006	26	12	40	46	124
2007	3	8	17	22	50
2008	22	13	38	39	112
2009	93	63	83	76	315
2010	0	0	3	5	8
2011	2	3	6	4	15
2012	18	8	8	9	43
2013	1	0	2	2	5
2014	248	119	99	80	546
2015	2	1	8	20	31
2016	1	2	13	19	35
2017	0	0	1	5	6
المجموع					

هـ: التأسيس الفقهي الذي يحلّ إبادة الشباب الفلسطينيين الذين يرفضون الاحتلال

أفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بوجوب قتل الشباب الفلسطينيين الذين يرفضون الاحتلال، فجاء: يجب قتل كل ذكر من العدو في الحالة التي تحتل فيها (إسرائيل) أرضه،

http://www.ynet.co.il/articles/0،7340،L-4544831،00.html 25/3/2018 م

(1) http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=9597 25/3/2018 م

ويرفض قبول السلام (احتلال الأرض)، فبقاء الشباب يشكل خطرًا على سلطة اليهود في ذلك المكان.

استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في ذلك إلى ما فعله الملك داود برجال العدو في حربه حتى لا يقصوا لأخيش ملك جت ما فعله داود بالجشوريين والجرزيين والعماليق، فجاء في سفر صموئيل الأول (27: 8 –11): "وَصَعِدَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ وَغَزَوْا الْجَشُورِيِّينَ وَالْجَرْزِّيِّينَ وَالْعَمَالِقَةَ، لأَنَّ هؤُلاَءِ مِنْ قَدِيم سُكَّانُ الأَرْضِ مِنْ عِنْدِ شُورٍ إِلى أَرْضِ مِصْرَ. وَضَرَبَ دَاوُدُ الأَرْضَ، وَلَمْ يَسْتَبْقِ رَجُلًا وَلاَ امْرَأَةً، وَأَخَذَ غَنَمًا وَبَقَرًا وَحَمِيرًا وَجِمَالًا وَثِيَابًا وَرَجَعَ وَجَاءَ إِلى أَخِيشَ. فَقَالَ أَخِيشُ: إِذًا لَمْ تَغْزُوا الْيَوْمَ. فَقَالَ دَاوُدُ: بَلَى. عَلَى جَنُوبِيِّ يَهُوذَا، وَجَنُوبِيِّ الْيَرْحَمِيلِيِّينَ، وَجَنُوبِيِّ الْقِينِيِّينَ. فَلَمْ يَسْتَبْقِ دَاوُدُ رَجُلًا وَلاَ امْرَأَةً حَتَّى يَأْتِيَ إِلى جَتٍّ، إِذْ قَالَ: لِئَلاَّ يُخْبِرُوا عَنَّا قَائِلِينَ: هكَذَا فَعَلَ دَاوُدُ. وَهكَذَا عَادَتُهُ كُلَّ أَيَّامِ إِقَامَتِهِ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ"[1].

كما استند مؤلفا كتاب "شريعة الملك" في تأييد حكم القتل إلى تفسير الربي داڤد بن يوسف قمحي لما ورد في سفر أخبار الأيام أول (22: 8) فجاء "بالنسبة لدماء الأغيار الذي سفكه داود وهم لم يكونوا مشاركين في الحرب، ومن الممكن أن يكون بينهم أُناس صالحون وأتقياء، وبالرغم من ذلك لم يُعَاقب داود بسببهم لأن نيته كانت إبادة الأشرار حتى لا ينتشروا في إسرائيل، ولكي ينقذ نفسه لأنه عندما كان في أرض الفلسطينيين لم يترك رجلًا أو امرأة أحياء"[2].

ويعلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك": يجب قتل الشعوب التي هي امتداد جذور العماليق استنادًا إلى "لا تستبق نسمة من الشعوب السبعة والعماليق"... ووفقًا لهذا قتل داود كل رجل وامرأة لكي لا يقصوا لأخيش عن نية داود بقتل كل رجل وامرأة ليسوا من هذه الشعوب، ولكنهم يسكنون معهم، لأنه من المحتمل أن يقصوا لأخيش ما فعله داود ويشكلوا خطرًا على داود ورجاله"[3].

فبالرغم من أن الفلسطينيين كانوا موجودين على الأرض ومعاصرين للعماليق والشعوب السبعة ولم يفعل لهم داود شيئًا، فداود لم يحارب الفلسطينيين بل هرب وعاش بينهم، كما طلب أخيش من داود أن ينضم إلى جيوش الفلسطينيين ليحاربوا شاؤل كما جاء في سفر

(1) שפיראואלייצור :תורת המלך، עמ' רד.

(2) שם،עמ' רה.

(3) שם،עמ' רה، هامش עמ' מב

صموئيل الأول (28: 1–2)، وبعد ذلك طلب رؤساء جيوش الفلسطينيين من أخيش عدم مشاركة داود معهم في الحرب على شاؤل كما جاء في سفر صموئيل الأول (29: 9). فقد أخرج مؤلفا كتاب "شريعة الملك" الحكم من كونه حكمًا خاصًا بالعماليق والشعوب السبعة إلى حكم عام ليشمل الفلسطينيين.

وأفتى مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بأنه يحل في وقت الحرب إلحاق الضرر بكل من يخشى اليهود أن يعرض حياتهم للخطر (الآن أو بعد ذلك)، بسبب الخوف، ولأنه لا يحرم قتلهم لأنهم لم يلتزموا بفرائض نوح السبع[1].

ولذلك أصدر الحاخام عوفديا يوسف[2] فتوى تقول: "إن الفلسطينيين شر مطلق، وإنهم يضرون ولا ينفعون، كما أنهم كالحيات السامة؛ ولذلك يجب على اليهود وضع الفلسطينيين في زجاجة محكمة الغلق؛ لكي نمنع شرهم ونصد خطرهم، وبعد ذلك يموتون خنقًا داخل الزجاجة، وتجب إبادتهم جميعًا"[3].

وعملًا بهذه الفتوى تقوم القوات الإسرائيلية باستهداف الشباب الفلسطيني وقتلهم، وليس هذا فحسب، بل تتعمد إبادة مدن وقرى كاملة، كما حدث عام 1948 من إبادة واقتلاع وتهجير للفلسطينيين وتدمير لبيوتهم وأملاكهم ودور عبادتهم ليتواصل هذا النهج وهذه المخططات الإسرائيلية الرسمية بآلة البطش العسكرية إلى يومنا الحاضر، وذلك ما عاشته غزة تحت الحصار في حروب تدميرية ثلاث متتالية في العقد الأخير فيها؛ حرب العام 2008م قامت القوات الإسرائيلية بإبادة غزة وقتلت أكثر من 1315 شابًا فلسطينيًا وأصيب أكثر من 5500 فلسطيني خلال قصف غزة الذي استمر ثلاثة وعشرين يومًا[4].

نتائج الدراسة:

بعد هذه الدراسة استطعت أن أستخلص ما يأتي:

---

(1) שם،עמ' רה

(2) الحاخام الأكبر والأب الروحي لحزب شاس.

(3) http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=9581

(4) http://www.palestine-studies.org/ar/resources/special-focus/%D9%8A%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%BA%D8%B2%D8%A9

1. التراث الديني اليهودي هو المرجعية التي استمد منها مؤلفا كتاب "شريعة الملك" فتاواهم العنصرية.

2. تعد نصوص التراث الديني اليهودي أرضًا خصبة بالنسبة لحاخامات اليهود عامة ومؤلفا كتاب شريعة الملك خاصة، يجد فيها الحاخامات ومؤلفا كتاب شريعة الملك ما يخدم وجهة نظرهم السياسية والشخصية وهذا هو فكرهما الذي لا يختلف عن فكر داعش.

3. كتاب "شريعة الملك" يقدم للمواطن الإسرائيلي الحالات التي يحل له فيها أن يقتل غير اليهودي (الفلسطيني والعربي) استنادًا إلى المصادر الدينية اليهودية.

4. يعد كتاب "شريعة الملك" المرجعية الدينية للجماعات الإرهابية التي تقوم بترويع وإبادة الفلسطينيين مثل جماعة (تاج محير).

5. نجحت جماعة تاج محير في تحقيق هدفها بتغيير الخريطة الفعلية وذلك من خلال:

• تغييب اسم الفلسطينيين وأرض فلسطين في الخطاب الديني واستبداله باسم العرب، لقطع الصلة بينهم وبين الأرض وحتى لا يبدو أنهم هم الذين استمروا في الأرض ولم يتركوها منذ وجودهم منذ أقدم العصور.

• التخلص المادي من الشعب الفلسطيني عن طريق الترويع والقتل والإبادة والاغتصاب، فقام مؤلفا كتاب "شريعة الملك" بإسقاط حكم عماليق والشعوب السبعة على الفلسطينيين، على الرغم من أن الفلسطينيين كانوا معاصرين للعماليق والشعوب السبعة ولم يفعل لهم داود شيئًا، فداود لم
الوقت، بل عاش بينهم كما ورد في سفر صموئيل الأول (27:7).

• قاس مؤلفا كتاب "شريعة الملك" قتل أطفال الفلسطينيين على أطفال بابل والشعوب السبعة، لكي يحلا إبادتهم.

• خلق مؤلفا كتاب "شريعة الملك" مبررًا، وعذرًا شرعيًّا لسفك الدماء؛ للتخلص من السكان، سواء بالترويع، والإرهاب النفسي في الأرض أو قتلهم، وحرقهم، وإبادتهم. فقد أعلنت إسرائيل يهودية الدولة بعد نجاحها في تغييب اسم الفلسطينيين وفلسطين في الخطاب الديني والتخلص المادي من الشعب الفلسطيني.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع والمصادر باللغة العربية

1.المصادر

• الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، ط1، الإصدار السابع، القاهرة، دار الكتاب المقدس، 2008.

2. المراجع

• أبو المجد (ليلى إبراهيم): تجديد الخطاب الديني، الكتب وجهات نظر، العدد 125 حزيران/ يونيو 2009م.

•.....: نماذج من التفاعل الثقافي بين العرب واليهود في الأندلس، بحث منشور، ب.ن،ب.ت.

المراجع والمصادر باللغة العبرية.

1. المصادر:

•בן מימון،משה: מורה נבוכים،חלק ראשון،לבוב، 1866.

•מסכת סנהדרין מן תלמוד בבלי، ווילנא،1871.

•שפירא،יצחק:אליצור،יוסף: תורת המלך דיני נפשות בין ישראל לעמים،הוצאתהמכון התורני שעל-יד ישיבת עוד יוסף חי، יצהר، 2009.

•תורה נבאים כתובים ו הברית החדשה، התנ"ך על פי המסורה בכתב יד לנינגרד،ירושליים،1991.

•תלמוד בבלי צלום דפוס ווילנא עם כל המפרשים، הוספות הוצאת האחים ברנשטיין،ירושלים،תשכ"ח.

2. المراجع

• בן אשר، בחיי: מדרש רבנו בחיי: ויקרה، במדבר، דברים،כרך ג، נאפולי 1492.

• בן נחמן، משה:פירושי התורה לרבינו משה בן נחמן، כרך ב، מוסד רב קוק، 1988.

• לוי(מישאל):הרב אליקים לבנון בפסק הלכה: להוציא להורג את רוצחי מוחמד אבו חדיר، באתר עיתון כיכר השבת،פורסם 6/ 7/ 2014

• קורב، אורי: בית המשפט המחוזי، עבירה לפי סעיף 448، ירושלים، 2014.

• קייס (רועי) וסוכנויות הידיעותדיווח פלסטיני: "צה"ל תקף בחוף הים של עזה: 4 ילדים נהרגו" באתר

עיתון ידיעות אחרונות פורסם 16/ 7/ 2014.

• קמחי،דוד בן יוסף: פירוש רד"ק על ישעיה، אוניברסיטת קולומביה، ניויורק 1926.

• רוזאניס، יהודה:פרשת דרכים،קושטא 1728.

3. دوائر المعارف والمعاجم

• אבן שושן،אברהם: המילון החדש،ששה כרכים،הוצאת עם עובד בע"מ כנרת זמורה ביתן،דביר בע"מ،ידיעות אחרונות ספרים،2006.

• האנציקלופדיה העברית، חברה להוצאת אנציקלופדיות،הוצאת מוסד ביאליק،ירושלים، 1972.

•.שטיינזלץ،עדיין:מדריך לתלמוד מושגי יסודי ' הנגדרות בית הוצאת כתר،ירושליים،הדפוס התשיעי، 1988.

• مقالات وفتاوى على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت):

• הצעת חוק המאבק בטרור (תיקון - אי החזרת גופות מחבלים)، התשע"ח-2017

http://main.knesset.gov.il/Activity/Legislation/Laws/Pages/LawBill.aspx?t=lawsuggestionssearch&lawitemid=2021605

• חסון:כתב אישום נגד בגיר ושני קטינים ברצח אבו חדיר

http://www.haaretz.co.il/news/law/1.2379598

• כתב אישום נגד בגיר ושני קטינים ברצח אבו חדיר: "יצאו למסע ציד אדם".

https / /:www.haaretz.co.il/news/law/1.2379598

• מקבלי ההחלטות יחשבו פעם נוספת לפני האירוע הבא،בגליון השבוע، ערוץ7.

https / /:www.inn.co.il /Besheva /Article.aspx7528 /

• פיגוע תג מחיר: תינוק פלסטיני נספה בהצתת בית ליד שכם. https:/ / /www.maariv.co.il/ news/world/Article–491358

• סוכנויות הידיעות:משפחת המחבל מחברון: "משפט ראווה، ידענו שהחייל יקבל עונש קל"، באתר עיתון וואלה פורסם 21/ 11/ 2017.

https: / /news.walla.co.il /item /3042630

• https: / /knesset.gov.il /spokesman /arb /doc /PR190718.pdf

• https: / /www.btselem.org /arabic /video /20160324_soldier_executes_palestinian_attacker_in_hebron

• https://www.kikar.co.il/abroad/%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%9C%D7%91%D7%A0%D7%95%D7%9F-

%D7%9C%D7%94%D7%A8%D7%95%D7%92-%D7%90%D7%AA-%D7%A8%D7%95%D7%A6%D7%97%D7%99-%D7%90%D7%91%D7%95-%D7%97%D7%93%D7%99%D7%A8.html

.http: / /www.moriah.co.il / l •

- http: / /www.ynet.co.il /articles /0،7340،L−4544831،00.html
- http: / /info.wafa.ps /atemplate.aspx?id=9597
- http: / /www.wafa.ps /ar_page.aspx?id=d9D5tSa674432162613adD5tS
- http: / /info.wafa.ps /atemplate.aspx?id=9581
- http: / /info.wafa.ps /atemplate.aspx?id=9437

تقرير عن اجتماع هيئة مجالس جامعة القدس السادس والعشرين بعنوان

البحث العلمي في خدمة المجتمع

العقبة/ المملكة الأردنية الهاشمية

من إعداد مجموعة من الباحثين الشباب تحت إشراف: أ.د سعيد أبو علي
صلاح الشميري – شريفة شودار – معتصم الشوا

تحت رعاية عطوفة رئيس سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة المهندس نايف بخيت، عقد اجتماع هيئة مجالس جامعة القدس السادس والعشرين تحت عنوان "**البحث العلمي في خدمة المجتمع**" خلال الفترة 12–14 آذار/ مارس 2019 في فندق حياة ريجنسي بالعقبة (المملكة الأردنية الهاشمية). وقد حضر مؤتمر جامعة القدس نخبة من الأساتذة الجامعيين والإداريين من الجامعات الأردنية.

استهل الاجتماع بكلمة افتتاحية للأمين العام لهيئة المجالس الأستاذ الدكتور محمد الشلالدة، رحّب من خلالها بالمشاركين في المؤتمر السادس والعشرين في مدينة العقبة العريقة بمؤسساتها التعليمية، مشيرًا إلى محاور المؤتمر، آملًا أن يكون هذا الاجتماع دراسة تحليلية لواقع البحث العلمي في جامعة القدس.

بدوره، ركز عضو مجلس أمناء جامعة القدس معالي المهندس منيب رشيد المصري خلال كلمته الافتتاحية على التعريف بمؤسسة منيب رشيد المصدري للتنمية، التي عملت على مدار خمسة عقود على توفير الدعم المالي للمؤسسات والأفراد في المجال التعليمي، حيث ساهمت في إنشاء وتأهيل وتطوير المدارس والكليات في العديد من الجامعات الفلسطينية،

كما امتد علمها لتصل إلى لبنان ليكون معهد منيب وأنجيلا المصري للطاقة والموارد الطبيعية في الجامعة الأميركية في بيروت منصة متكاملة توفر المختبرات والبنية التحتية للبحث والتطوير وإنتاج المعرفة والتقنية في قطاعات الموارد الطبيعية والطاقة والبيئة، مشيرًا إلى إطلاق أكاديمية القدس للبحث العلمي من عمان وبتمويل من المؤسسة، لتقدم الدعم المالي وتبني العلاقات والشبكات لدعم الباحثين والمبتكرين والرياديين، حيث قدمت دعمًا ماليًّا لأربعة مشاريع، وصل في مجموعه إلى 200 ألف دينار أردني (أكثر من 285 ألف دولار) شملت باحثين من جامعة بوليتكنك فلسطين وجامعة القدس والجامعة الإسلامية في غزة وجامعة فلسطين، وتنوعت لتشمل أبحاثًا في مجالات الصحة وهندسة الجينات والمياه والطاقة والبيئة، كما أطلقت قبل شهر برنامجها الجديد لدعم البحث العلمي والابتكار، موضحًا أن المؤسسة بنت علاقات مع القطاع الخاص على مستويين -المحلي والعالمي- حيث أقامت علاقات مع جامعة تكساس في أوستن وجامعة قبرص، بالإضافة إلى مؤسسات وشبكات علمية أخرى كسيسكو والمنتدى العالمي الاقتصادي وغرفة التجارة العالمية لطريق الحرير.

من جانبه، تناول ضيف الاجتماع رئيس مجلس إدارة أكاديمية القدس للبحث العلمي الأستاذ الدكتور اخليّف الطراونة في كلمته تحديات البحث العلمي، مشيرًا إلى وجود خلل واسع في نتاج ومخرجات البحث العلمي في عالمنا العربي، مؤكدًا على ضرورة وجود إستراتيجية وطنية بحثية شاملة لتوحيد الجهود والطاقات وتربط بين المخرجات البحثية والخطط التنموية، وتُناط مهمتها الرئيسة بالجامعات وبالتعاون مع القطاع الخاص، بهدف الوصول إلى مستويات عالمية متميزة للإنتاج ومخرجات البحث العلمي في بلداننا العربية وتوظيفه في تقدم المجتمع والعملية التنموية الشاملة.

فيما أشار الأستاذ الدكتور عماد أبو كشك في كلمته إلى الخطة المعدة من طرف الهيئتين التدريسية والإدارية وعمادة البحث العلمي ومجلس البحث العلمي في جامعة القدس، للنهوض وتحقيق الاستقرار بجامعة القدس وإعادة هيكلة البرامج الأكاديمية في الجامعة وإعادة صياغة أهداف ومخرجات التعليم والعلم لتحقيق التميز التربوي والأكاديمي ووضع نظام للحوافز للمشاريع البحثية وتحقيق الشراكة بين الجامعة من جهة، ومؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني لخدمة المجتمع الفلسطيني وتوفير البيئة الملائمة والمحفزة والمشجعة للبحث العلمي والإبداع والابتكار للباحثين والأكاديميين لتمكين الجامعة من تحقيق رسالتها الأكاديمية والبحثية والمجتمعية بشكل مميز، بالإضافة إلى تعزيز الاعتماد على

التقنيات التكنولوجية والإسهام في تطوير استخداماتها، وما توفره أكاديمية القدس ومركز منيب المصري للبحث العلمي والإبداع وجودة التعليم.

وقد أوضح أن جامعة القدس قامت بخلق شراكات، عمادها البحث العلمي والريادي والتقنيات الحديثة واستخداماتها، واستجابة لإستراتيجية الجامعة وتوجهاتها التحديثية، من خلال بناء وتأسيس مركز التكنولوجيا وريادة الأعمال على أسس علمية وعملية ومهنية وتقنية، والذي يتشكل من العديد من البرامج، تمثل في مجموعها النسيج للنظام البيئي التقني للتعزيز الاقتصادي وتشمل تلك البرامج على سبيل المثال لا الحصر حاضنة التكنولوجيا، وبرنامج مسرعة الأعمال، وبرنامج صندوق المستثمرين، ومدرسة التدريب، والذي يستهدف جَسْر الهوة بين حاجات السوق ومهارات التعلم الملائمة حسب طبيعة التخصص ومهارات التكنولوجيا المختلفة والبرمجة المتنوعة.

وبغرض مواكبة جامعة القدس التطورات العالمية في المجالات التكنولوجية والتقنية الحديثة والمستقبلية، أشار كذلك إلى توقيع العديد من اتفاقيات التعاون والتبادل الطلابي والأكاديمي مع العديد من الجامعات العالمية المتطورة والمتميزة، وإقامة برامج أكاديمية مشتركة معها، ومنها على سبيل المثال برنامج الدراسات الثنائية بالتعاون مع الجامعات الألمانية الشريكة وكلية القدس ومع جامعة بارد في نيويورك.

بعد انتهاء الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، عقد على مدار ثلاثة أيام ثلاث جلسات، تناولت مجموعة من أوراق العمل التي غطت المحاور الثلاثة للمؤتمر والمتمثلة فيما يلي:

1. واقع وتحديات البحث العلمي
2. تجارب وشراكات البحث العلمي
3. آليات تطوير البحث العلمي، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الجلسة الأولى: واقع وتحديات البحث العلمي:

تناولت الجلسة الأولى من المؤتمر الأوراق التالية:

1 – ورقة حول مشكلات البحث العلمي في جامعة القدس من وجهة نظر الباحثين في العلوم التطبيقية والطبية: (من إعداد عمر حمارشة– دائرة العلوم الحياتية):

تناولت الورقة المعوقات الرئيسة للنهوض بالبحث العلمي في العلوم الحياتية الطبية،

والتـي تشمـل المعوقات الفردية والمتمثلـة في عدم الرغبة في الانخـراط في البحث العلمي، الرغبـة في العمل بشكل فردي، ضعف الإسـتراتيجية البحثية لـدى الباحثين، عدم مواكبة التطور العلمي والتقني، قلة المشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية، ضعف التواصل بين الباحثـين في الجامعـات الفلسـطينية، البحث العلمي لغايات الترقية فقـط أو وجود مكافأة ماليـة، فيـما تتمثل المعوقات الفنيـة والعلمية في غياب إسـتراتيجية واضحة في مجال البحث العلمي، وبناء إسـتراتيجيات وأولويات للبحـث العلمي تخصّ شريحة معينة من الباحثين، وعدم وجود قاعدة بيانات وطنية للبحث العلمي تضم معلومات عن الباحثين واهتماماتهم، بالإضافة إلى نسـخ من المنشورات العلمية، والمراكز البحثية ونشاطاتها، والأجهزة المتوفرة، وغيـاب التشبيـك مع القطاع الخاص محليًّا وعالميًّا، علاوة على قلة المؤتمرات العلمية المحلية التي تجمع الباحثين.

وركـزت الورقـة البحثية على ضعف التمويـل كأحد أهم معوقات البحث العلمي بسـبب عـدم وجـود موازنات للبحـث العلمي، وقلـة الميزانيـات المخصصة للبحـث العلمي من الحكومة، وكذا صعوبة جذب التمويل الخارجي، إضافة إلى صعوبة تسويق نتائج البحوث التطبيقية أو غياب مؤسسات تسويقية متخصصة، وتأمين مستلزمات البحث العلمي. وقد توصل الباحث إلى جملة من التوصيات والحلول المقترحة المتمثلة فيما يلي:

- ضرورة الإنفاق على البحث العلمي ولو القليل وترسيخ مفهوم الاستثمار في البحث العلمي.

- تشجيـع الباحثـين، وتفعيـل إجـازات التفرغ العلمي، تحسـين مناخ البحـث العلمي بتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية بشكل دوري.

- تخصيص منح بحثية للطلبة لتشجيعهم للانخراط في البحث العلمي، وتخفيف العبء التدريسي والإداري عن الباحثين.

- تعزيـز التعـاون والاتصال العلمي بين الجامعات المحلية، تعزيز التواصل بين الجامعة والقطاع الخاص، إنشاء حاضنات علمية وصناعية.

2 - ورقة حول زاوية جامعة القدس الرقمي: من إعداد عصام إسحاق:

تناولـت هـذه الورقة ماهية زاوية جامعـة القدس الرقمي ودورها باعتبارها وسـيلة لإدارة وتخزيـن وتوفير سـبل الوصول إلى محتوى الرقمـي من المعلومات بهدف خلـق رؤية عالمية

للبحوث العلمية في المؤسسة، وتخزين مصادر المعلومات والحفاظ عليها بما في ذلك المصادر غير المنشورة، إضافة إلى المحافظة على المصادر النادرة وسريعة التلف دون حجب الوصول إليها.

وتكمن وظائف هذه الزاوية في إيداع المواد والتحكم في الوصول إلى المعلومات ودعم البحث والاسترجاع والحفظ والتخزين، كما تتضمن أنواعًا مختلفة من الوثائق، منها منشورات الجامعة، مشاريع التخرج، رسائل ماجستير ودكتوراه، وأبحاث.

تم استخدامها لأول مرة في الجامعات الفلسطينية منذ عام 2003 واعتمدتها جامعة القدس عام 2018، وقد قدّر عدد الوثائق العلنية في مستودع جامعة القدس بحوالى 3423.

3- أثر التصنيفات العالمية للجامعات على البحث العلمي في الأردن: من إعداد الأستاذ الدكتور شاهر المومني (قسم الرياضيات- الجامعة الأردنية):

تناولت الورقة البحثية التصنيفات المعتمدة والمناسبة للجامعات الأردنية، كما تطرقت إلى مميزات كل من تصنيف شنغهاي العالمي، تصنيف التايمز، تصنيف كيو إس، تصنيف يواس نيوو، حيث أوصت بضرورة تطوير وتعديل أنظمة وتعليمات البحث العلمي من خلال:

- رفع حوافز النشر في مجلات الفئة الأولى والثانية.
- وضع حوافز للاستشهاد العلمي.
- تعديل تعليمات الرقمية.
- اعتماد الأبحاث المنشورة في مجلات الفئة الأولى والثانية فقط.
- تعديل تعليمات منح درجة الدكتوراه والماجستير، حيث يُطلب من كل طالب دكتوراه بحثان، ومن كل طالب ماجستير بحث واحد في مجلات الفئة الأولى أو الثانية.
- تعديل تعليمات التفرع العلمي واشتراط نشر بحث واحد على الأقل في مجلات الفئة الأولى أو الثانية.
- وضع أسس جديدة للزيارات العلمية وتشجيع الباحثين على التشبيك مع الخارج.
- تعديل تشريعات المشاريع البحثية وخاصة نظام اللوازم.

4- ورقة حول تشخيص واقع البحث العلمي في الفيزياء في فلسطين: دراسة مقارنة: من إعداد الأستاذ الدكتور عماد أحمد البرغوثي، د.حسين رشاد السمامرة (دائرة الفيزياء- جامعة القدس)

تناولت الورقة ما كشف عنه رئيس جمعية أصدقاء البحث العلمي في الجامعات الأردنية الدكتور أنور البطيخي عن أن الحكومة الأردنية تخصص في موازنة الدولة السنوية مبلغًا لايتجاوز ثلاثة ملايين دينار لدعم البحث العلمي، بالإضافة إلى ما نسبته واحد بالمئة، يفترض تحصيلها من أرباح الشركات السنوية لهذا الغرض، مشيرًا إلى أن نسبة الإنفاق على البحوث العلمية الأردنية خلال السنوات العشر الماضية لا تتجاوز 3 ,2 بالألف من الناتج الإجمالي المحلي، فيما تصل نسبة الإنفاق في الدول المتقدمة في مجال البحوث العلمية إلى خمسة بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي.

كما أوضحت الورقة أهم العقبات التي تعترض البحث العلمي في الأردن والمتمثلة في: عدم وعي المجتمع بأهمية البحث العلمي في التطور ونقل التكنولوجيا، عدم اعتماد صانع القرار على الأرقام والبيانات الناتجة عن البحوث العلمية، عدم توفر الكادر البحثي اللازم والمخصصات الكافية، عدم صرف المخصص للبحث العلمي من الموازنة العامة في الجامعات وانشغال الباحثين والأساتذة بأعباء تدريسية أخرى.

وقد خلص البحث إلى أن البحث العلمي يقوم على ركنين أساسيين، هما الدولة وباحث عالم، حيث يمكن للدولة الراعية من خلال ميزانياتها استقطاب العلماء وإرسال المبدعين من أبنائها للجامعات العريقة من خلال بعثات للحصول على ما يلزم من معارف وعلوم ومهارات لازمة للّحاق بركب الدول المناهضة علميًّا وتكنولوجيًّا.

5- ماذا وراء الأرقام؟: إنتاج البحث العلمي في جامعة القدس: إعداد الهام كتيب عميد البحث العلمي:

ناقشت الورقة مدى نجاح جامعة القدس في الاضطلاع بمهامها المتمثلة في ترقية النوعية العلمية للبحث، التي توفر حلولًا للمشاكل التي يواجهها المجتمع الفلسطيني وتساهم في تطوير الاقتصاد الفلسطيني وتضيف للمعرفة العلمية وتسعى لخدمة المجتمع.

كما أشارت الورقة إلى دراسة فنلندية مهمة، توصلت إلى مجالات تأثير البحث العلمي على المجتمع وانعكاساته، منها الصحة والمؤسسات العمومية والخدماتية والاقتصاد والبيئة والموارد البشرية والثقافة بالاعتماد على مؤشرات وقاعدة بيانات محددة.

أمـا بخصوص جامعة القـدس، فإن غياب قاعدة بيانات لقياس تأثـير البحث العلمي على المجتمـع، جعل الباحـث يعتمد على بيانات توفرها أنظمة أخرى، وأهم ما توصلت له هذه الدراسـة وأوصـت به هـو ضرورة نشر الأبحـاث العلمية وفتـح المجال للنـشر مع محاولة ربط الأبحاث العلمية بحاجات المجتمع بما يسـمح بترقيـة مكانة جامعة القدس وانخراط الباحثين، إضافة إلى تطوير مؤشرات القياس وتكوين قاعدة بيانات رقمية للوثائق البحثية.

ثانيًا- الجلسة الثانية: تجارب وشراكات البحث العلمي:

تناولت الأوراق التالية:

1- دراسة حالة -العيادة القانونية في جامعة القدس-: من إعداد منير نسيبة مدير العيادة القانونية ومركز العمل المجتمعي:

أشـارت الورقـة إلى أن التعليـم القانوني في كلية الحقـوق بجامعة القدس كـان معتمدًا على الإطار النظري فقط، وبعيدًا عمّا تواجهه على الأرض دون ربط طلبة الكلية بالواقع المحيط بهـم وبمسـتقبلهم المهنـي، وهو ما أدى إلى بـروز الحاجة إلى اسـتحداث العيـادة القانونية، حيـث تمثـل حلقة الوصل بـين الدراسـة القانونية النظريـة والحياة المهنيـة العملية من أجل حاجـة الدفاع، المزيد من التعليم عن الوضع الفلسـطيني، التدريـب على المهارات، الحاجة إلى خدمـات مجانيـة، ممـا أدى إلى إدخال تغـيرات أكاديمية، وذلك مقابل سـاعات معتمدة وعلامـات (حافز إضـافي) للتكيف مع البيئـة المحيطة في جامعة القـدس المتمثلة في الجدار الفاصـل والتصـدي للاعتداءات العسـكرية على حـرم جامعة القـدس، واعتقال الطلاب والأكاديميين، واسـتخدام القوانين لتهجير الفلسـطينيين، حيث يكمن دور طلاب العيادة القانونية من خلال اعتماد برامج فيما يلي:

- توثيق انتهاكات الاحتلال.
- كتابة تقارير مبنية على مصادر أولية للمعلومة.
- تقديم خدمات قانونية مجانية للجمهور الفلسطيني في القدس.
- المشاركة في نشاطات المناصرة الدولية مجلس حقوق الإنسان.

وقـد حصلـت جامعـة القـدس على جوائـز عدة لمبـادرات وبرامـج العيـادة، منهـا مبادرة "خدمـات جامعة القـدس القانونية في القدس"، كما نالت جائـزة المركز الثالث لعام 2009

حصلت عليها عيادة القدس لحقوق الإنسان.

2- التحديات التي تواجه الأبحاث العلمية عند طلبة البكالوريوس في كلية المهن الصحية: إعداد أ.إبراهيم غنام (محاضر في كلية المهن الصحية):

يقوم مئات الطلاب من كليات المجمع الصحي سنويًّا بمشاريع أبحاث علمية كمتطلبات للتخرج أو ضمن مساق البحث العلمي، تستند في معظمها إلى تصاميم بحثية كمية، والتي تتطلب جمع بيانات عن مشكلة صحية معينة في المجتمع الفلسطيني، ويتم ذلك وفق طريقتين رئيسيتين إما عن طريق الاستبيانات أو استعمال بيانات جاهزة من ملفات المرضى في سجلات وزارة الصحة الفلسطينية والقطاع الصحي الأهلي والخاص، أو كليهما، كما يفضل بعض الطلاب إجراء التجارب العلمية بأنفسهم على العينات التي قاموا بجمعها، غير أن هناك العديد من التحديات البحثية التي تواجه الطلاب في مراحل البحث المختلفة منها:

- جمع البيانات اللازمة بسهولة وبأقل قدر من المشاكل.
- توفر المراجع اللازمة التي يمكن الوصول إليها بسهولة.
- الالتزام بأسس الاقتباس العلمي السليم.
- تنفيذ التحليل الإحصائي بشكل سليم.
- الكتابة العلمية.
- عمل العرض التقديمي لمناقشة النتائج النهائية.

وبهذا، فقد حاولت هذه الورقة تقييم التحديات التي تواجه الأبحاث العلمية، بما فيها أبحاث التخرج لطلبة البكالوريوس في مجال العلوم الصحية، وكذا معرفة الإستراتيجيات الفعالة لإدارة هذه التحديات عن طريق تقييم ثمانين بحثًا لمجموعات بحثية من طلبة كلية المهن الصحية، معظمهم تخصص العلوم الطبية المخبرية خلال الفترة الزمنية من 2014-2018 والتي توصلت إلى ما يلي:

- عدد مشاريع التخرج قليل جدًّا مقارنة بعدد البحوث ضمن مساق البحث العلمي، حيث تقدر بنسبة سبعة بالمئة من الأبحاث مشاريع تخرج و93 بالمئة من مشروع بحث ضمن مساق البحث العلمي.

– يميل الطلاب إلى تكوين مجمعات بحثية كبيرة العدد، حيث قدرت النتائج بـ47 مجموعة مكونة من خمسة طلاب، و23 مجموعة مكونة من أربعة طلاب، و10 مجموعات مكونة من ثلاثة طلاب.

– يميل الطلاب إلى التخصص في أبحاث العلوم الطبية المخبرية (69 بالمئة، و31 بالمئة في أقسام أخرى).

– تتميز أبحاث متطلبات المساق البحث العلمي بالاعتماد على استبيان كطريقة لجمع البيانات (59 بالمئة)، فيما تعتمد مشاريع التخرج على التجارب المخبرية (67 بالمئة).

– تشكل طلاب الجامعة أهم شريحة مستهدفة في توزيع البيانات (60 بالمئة).

– جميع البحوث تقلد ورقة علمية منشورة خلال مدة لا تزيد على خمس سنوات.

– تعتمد الأبحاث على إجراء مجمعة من عدة بحوث منشورة (57 بالمئة)، فيما لا تتجاوز البحوث التي تعتمد على بيانات مفحوصة مسبقًا 16 بالمئة.

– الوقت اللازم للحصول على موافقة لأخذ البيانات من وزارة الصحة تتراوح من أسبوعين إلى أكثر من خمسة أسابيع ومعظمها من 3–5 أسابيع، وبعد الحصول على الموافقة، فإن الوقت اللازم لأخذ البيانات من يومين إلى سبعة أيام.

– التكلفة الإجمالية للبحث ما بين 100–300 شيكل.

– نتيجة فحص السرقة العلمية ببرنامج Turnitin أسفرت عن النتيجة التالية 15 , 77 بالمئة أداء ممتاز، غير أن 56 بالمئة لم يتم عمل الفحص لها.

وبناء على هذه النتائج، فقد أوصت الدراسة بضرورة القيام بجهود إضافية لتسهيل عملية البحث العلمي لطلبة المهن الصحية تشمل:

– رفع الوعي المجتمعي بأهمية البحوث الصحية والمشاركة فيها، إعطاء المعلومات بمصداقية.

– توفير الإمكانيات المادية والمختبرات البحثية وإتاحتها لطلاب البكالوريوس بدرجة أكبر من الموجود حاليًّا.

– أهمية زيادة التعاون وعمل اتفاقيات مع وزارة الصحة الفلسطينية والقطاع الطبي

الخاص لتزويد الباحثين من طلبة الكلية بالبيانات الصحية اللازمة لبحوثهم بسهولة.

- إعطاء البحث العلمي حيزًا أكبر ضمن الخطط الأكاديمية وعدم انتظار وصول الطلاب لمستوى السنة الرابعة ليمارسوا البحث العلمي بشكل فعلي.

3- ورقة حول "تعزيز وتوظيف القيم السلوكية بين الأساتذة والطلبة في دعم البحث العلمي": من إعداد الدكتور صالح صوالحة رئيس دائرة هندسة التغذية:

تعدّ خدمات الإرشاد الجامعي ضرورة مُلحّة لتحقيق أهداف التعليم الجامعي الرامية إلى حفز مواهب الطلاب المتباينة لتنمو نموًا مُتكاملًا أكاديميًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا وسلوكيًّا، مما يُنتج طالبًا قادرًا على مواكبة التحديات داخل الجامعة ومن ثم الأخذ بيده نحو الإبداع والابتكار أثناء دراسته وبعد تخرجه.

وتهدف هذه الورقة إلى تطوير فكرة الإرشاد الاجتماعي والتربوي والنفسي وممارستها في الجامعة، وقد توصلت إلى ضرورة تنمية مهارات المرشد الأكاديمي كمهارة الاستماع، مهارة التعاطف، مهارة النقاش والحوار والقدرة على الإقناع، مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات، مهارة القيادة، مهارة التخطيط، مهارة القدوة الحسنة، مهارة الإرشاد لمجموعة طلاب، مهارة التنظيم واستثمار الوقت، كما أوصت كذلك بضرورة تهيئة بيئة سلوكية وإرشادية وسياسية ملائمة لدعم الطلبة وتطويرهم علميًّا وعمليًّا من خلال:

- حث المرشد الأكاديمي للطالب في الجامعة على تغيير رؤيته، حيث يتضمن ربط إرشاده الأكاديمي بالإرشاد الاجتماعي والنفسي للطالب.

- تعزيز التعاون بين القطاعين الخاص والأكاديمي بما يضمن أن يكون الطالب جزءًا أساسيًّا في هذه العملية.

- تقديم البرامج الإبداعية المتميزة، والاستشارات النفسية والاجتماعية والأكاديمية المتخصصة لدعم طلاب جامعة القدس في جميع جوانب حياتهم.

- مساعدة الطلبة على رفع مستوى تحصيلهم الأكاديمي من خلال تقديم خدمات التوجيه والإرشاد النفسي والمهني.

- العمل على إكساب الطلبة مهارات حياتية أساسية مثل: الثقة بالنفس، الاتصال والتواصل، التعبير عن المشاعر.

4- ورقة حول "دور المجموعات البحثية من طلبة البكالوريوس في تعزيز البحث العلمي في جامعة القدس": من إعداد أحمد عمرو عميد كلية الصيدلة:

ركزت الورقة على أن الطالب يمثل المحور المركزي في العملية التعليمية في مختلف المؤسسات الأكاديمية ومحورًا أساسيًّا في البحث العلمي كذلك، وهو ما يجعل من المهم استنهاض ملكاتهم وتدريب الطلبة، وتزويدهم بالمهارات اللازمة لصياغة السؤال البحثي، وكذا إيجاد المنهجية والوسيلة المناسبة للإجابة عنه، وتزويدهم بمهارات كتابة البحث ونشره وتحفيز عملية التفكير من خلال طرح الأسئلة والملاحظات، والتقدم للمشاريع البحثية الطلابية والنشر، والتسويق الذاتي، والتسويق للمؤسسة.

كما أوضحت الدراسة أن إشراك طلبة البكالوريوس يفتح آفاقًا متعددة للباحث والطالب والمؤسسة على حد سواء من خلال استقطاب الدعم المالي من خلال المشاريع البحثية، فهناك العديد من المشاريع التي يشترط مشاركة الطلبة فيها حتى يتم قبولها، وتوفير فرص التبادل الطلابي البحثي، إذ إن فرص الطالب الباحث متعددة ويمكن دفعه للاستفادة منها، ناهيك عن الاستفادة من ساعات العمل التطوعي لطلبة البكالوريوس والذي يمكن من خلالها جمع بيانات لا حصر لها ومن مناطق جغرافية لا يمكن للباحث والأكاديمي أن يصلها بنفسه، إضافة إلى ما تشكله هذه التجربة من إضافة نوعية لسمعة البرامج والتخصصات في جامعة القدس وما تشكله من نقطة تنافسية تنعكس حتمًا على استقطاب الطلبة وإقبالهم على تخصصات الجامعة، ناهيك عن إسهام هذه التجربة في تحقيق رؤية الجامعة كجامعة بحثية تؤدي من خلال البحث العلمي رسالتها في بناء المواطن والمجتمع والدولة، كما أشارت الورقة إلى العديد من التجارب الناجحة في جامعة القدس والتي أفضت إلى نشر أبحاث علمية في مجلات مرموقة يقودها طلبة البكالوريوس.

ثالثًا- الجلسة الثالثة: آليات تطوير البحث العلمي:

تناولت ما يلي:

1- ورقة بعنوان مبادرة دمج ذوي الإعاقة في المدرسة العامة من قبل طالبات التربية العلمية ومشرفيهم في كلية العلوم التربوية: من إعداد أ. بشرى بدوي ود. سعيد عوض. د. أشرف أبو الخيران/ كلية العلوم التربوية.

تناولت الورقة موضوع دمج الأطفال ذوي الهمم في المدارس العادية وفي الصفوف العادية مع أقرانهم العاديين، مع ضرورة حصولهم على خدمات التربية الخاصة، وأشارت إلى تنوع

أنـواع الدمـج في التربيـة الخاصة، منها خلق الصفـوف الخاصة في المـدارس العادية، أو من خـلال الدمـج الأكاديمـي أو الدمـج الاجتماعي، وتأتي أهميـة هذه العملية مـن مطلق حق الطفـل مهـما كانت قدرتـه واحتياجاته في التعليـم العام وعدم عزل هـذه الفئة عن محيطها، حيـث تقوم السياسـة العامـة لوزارة التربيـة والتعليم العالمي على مبدأ دمـج الأطفال ذوي الهمم مع الأطفال العاديين في الصفوف العادية مع مساعدة خاصة فردية في غرفة مخصصة لهم تسـمى "غرفة المصادر" تكون في المدرسـة نفسـها، حيث توضع الخطة التربوية الخاصة بـكل تلميذ من قبـل فريق مختص فيما تتمثـل رؤية جامعة القـدس في ضرورة ربط النظري بالعملي وإنتاج طلاب باحثين قادرين على حل مشاكل المجتمع.

وقـد نشـأت فكرة دمج ذوي الإعاقـة في المدارس العامة من خلال برنامـج إعداد المعلمين الذي كانت الجامعة شريكة به لمدة ثلاث سنوات، أصبح المعلمون قادرين على استقبال ذوي الهمم بشكل مبدئي. وقد تمت هذه العملية من خلال المراحل التالية: حددت استراتيجيات العمل والسياسة التربوية للدمج، تهيئة الأهل والمدرسة والمعلمين والطلاب، تنفيذ الخطط، تقييـم الخطط المنفـذة بمشاركة فريق جامعة القدس (الطـلاب، مشرفين أكاديميين، أنشطة (طب الأسنان، الأغذية))، وقد تم عند التخطيط للدمج مراعاة الشروط التالية:

- تحضـير الأطفال العاديين وتهيئتهم نفسـيًّا لتقبل الأطفـال ذوي الاحتياجات الخاصة والتفاعل معهم بشكل طبيعي، تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة نفسيًّا وتربويًّا.
- تأهيـل معلمي الصفـوف الحكومية وتدريبهم جيدًا للعمل مـع كل الحالات الخاصة التي قد تستقبلها المدرسة.
- الاختبار الدقيق للذين سيدمجون في المدارس العادية.

رغـم ذلك، تواجه هذه العملية مجموعة من العقبات، منهـا غياب المناهج التعليمية المكيفة مـع قدرات هـؤلاء الأطفال، فهنـاك معوقات على مسـتوى الصف، حيـث لايوجد هناك مـدرّس الظـل، رغم أن الوزارة أقـرت بعد مبادرتنا معلم الظـل، إلا أنه يطلب من الأهالي تحمّل التكاليف، علمًا أن الدول الأخرى تتحمل الرسوم والدعم، ناهيك عن عقبة اكتظاظ الطلاب.

وفي النهاية، فقد أوصت الدراسة بما يلي:

- نشر لثقافة الدمج والتربية الدامجة على صعيدي القطاع العام والخاص.

- مأسسة التربية الدامجة على الصعيد الوطني.

- ضرورة تهيئة المدارس تهيئة أكاديمية واجتماعية وتهيئة مرافق حتى لا تكون المتسبب الأول بالإعاقة.

- ضرورة إعداد برامج من قبل الجامعات والمؤسسات لاحتضان ذوي الإعاقة لتكملة إعدادهم للانخراط بسوق العمل وظيفيًّا ومهنيًّا.

- البحث العلمي هو الوسيلة الأكثر نفعًا لإنتاج المعرفة، ولابد أن يكون الاهتمام على مستوى جميع المؤسسات وليس على مستوى الجامعات فحسب.

2- ورقة بعنوان "البحث العلمي في كليات العلوم الإنسانية في الجامعات الفلسطينية بين الواقع والمأمول (دراسة حالة جامعة القدس): إعداد الباحثين الدكتور إبراهيم الصليبي والدكتور عمر الصليبي:

باعتبار أن البحث العلمي أحد أركان النهضة الحياتية في جميع أرجاء العالم، وهو يمثل التطور والنمو والرقي وانعكاسًا للتطور العلمي في الجامعات عامة والفلسطينية خاصة في ضوء عدم وجود موارد وثروات طبيعية في فلسطين وفي العالم الثالث بشكل عام والدول العربية ومنها فلسطين أيضًا، فقد تناولت هذه الورقة واقع البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية ومعوقات البحث العلمي الإنساني والمأمول منها، وكيفية مساهمة البحوث العلمية الإنسانية في حل مشكلات المجتمع الفلسطيني.

ولتطوير البحث العلمي، توصلت الدراسة إلى نتائج، أهمها ضرورة إيجاد مصادر دعم مادي وشراكة للبحث العلمي، مثلًا الجامعات مع القطاع الخاص، وتخصيص جزء من ميزانية الحكومة للبحث العلمي ومأسسة موضوع البحث العلمي من خلال مؤسسة وطنية للتوجيه والتنسيق في القضايا التي تخص البحث العلمي وتحقيق شراكات مع جامعات دولية مرموقة للتبادل العلمي وتبادل الخبرات لبناء قدرة العاملين في الجامعات الفلسطينية على القيام بالأبحاث العلمية الإنسانية، كما أوصت بما يلي:

- إنشاء وحدة تابعة لعمادة البحث العلمي، مهامها التواصل مع المجتمع المحلي لتحديد احتياجاته البحثية الإنسانية وإقناعه بأهمية نتائج البحوث العلمية الإنسانية وضرورة الأخذ بها وتوجيه اللجان البحثية إلى تلك الاحتياجات.

- توفير دعم مالي حقيقي للباحثين ودعم مشاركاتهم في المؤتمرات والمساهمة في نشر أبحاثهم.

- رفع نسبة البحث العلمي في ميزانية الجامعة من أجل تشجيع الباحثين في الكليات الإنسانية.

3- ورقة بعنوان "دور التفرغ العلمي في تطوير مهارات البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس": من إعداد الدكتور محمد عمارنة- كلية الحقوق- جامعة القدس

تناولت الورقة أهمية التفرغ العلمي ودوره الكبير في إثراء البحث العلمي وفتح آفاق مع الباحثين المحليين والدوليين، بالإضافة إلى زيادة كمية الأبحاث العلمية والتي من شأنها رفع مستوى البحث العلمي في الجامعات، بالإضافة إلى اكتساب الخبرات من الجامعات والمؤسسات المحلية والدولية تؤدي إلى إنجاز أبحاث علمية استثمارية لها مردود مادي على الجامعة، وبالإضافة إلى ذلك فقد أكدت عيّنة الدراسة رفضها لقرار وقف التفرغ العلمي وأن هنالك حاجة دائمة ومستمرة من أجل العمل على تطوير البحث وأدواته من خلال الخبرات والبحوث التي تحصل، ويقوم بها الباحثون مع الجامعات والمؤسسات الخارجية، كما وأن التفرغ العلمي للدور الفاعل في خدمة المجتمع المحلي.

4- ورقة بعنوان "البحث الإجرائي كمدخل لتطوير البحث العلمي في الجامعة": من إعداد د.غسان سرحان/ كلية العلوم التربوية

تناولت الورقة أهمية البحث الإجرائي باعتباره نوعًا من أنواع البحوث التطبيقية التي يجريها مزاول مهنة ما، بهدف تطوير أدائه وممارساته أو لحل مشكلة تواجهه، بنفسه أو بالتعاون مع زملائه الذين يشاركونه المعاناة من تلك المشكلة، وبهدف التصدي للمشكلة وتحسين الممارسات التي يتبعها الفرد في مهنته، حيث يتميز عن غيره من البحوث العلمية الأخرى، على تركيزه على مشكلات فعلية تواجه العاملين من واقع الممارسة اليومية، ويتعامل مع ظاهرة معينة مع تركيز على حالات محددة بالزمان والمكان، ويمكن تنفيذه بشكل فردي أو جماعي، وهو بحث عملي تطبيقي، لا يعني تطبيق نظريات أو فحص إمكانية تطبيقها، بل يعني وضع إجراءات وتطبيقها واستخلاص النتائج وتوظيفها بشكل مباشر في اتخاذ القرار وحل المشكلة.

ويتكون البحث الإجرائي من مجموعة عناصر أساسية لتنفيذه بالصورة العلمية التي تؤدي

الغرض الأساس من مراجعة الممارسات الحالية، التعرف على جوانب الضعف والقوة بعد التأمل، فرض الحلول الممكنة وتطبيقها، تقييم النتائج، وأخيرًا التأمل وتعديل الممارسات في حال نجاح الحلول أو تجربة حلول أخرى، ومراجعة الممارسات الحالية بعد التغيير.

وتعد مرحلة جمع البيانات في البحث الإجرائي من المراحل المهمة للتأكد من واقع وحجم المشكلة، وتتعدد أدوات جمع البيانات باعتبارها نمطًا من أنماط البحث النوعي، وقد أشارت الدراسة إلى أن التفكير النقدي للممارسات يكون في مواقف متعددة تعمل على رفع مستوى الممارسة لذلك، وهو ما يظهر حاجة ملحة لوضع آلية عمل لدعم مشاريع الأبحاث الإجرائية كنشاط مستمر داخل المؤسسة، حيث اقترح في الدراسة أن يعتمد البحث الإجرائي الموجه نحو تحسين جودة التعليم وخدمة المجتمع وتطوير نظام الترقية من خلال:

- تشكيل لجنة لوضع نظام لاعتماد الأبحاث الإجرائية.

- إصدار مجلة معتمدة متخصصة بالأبحاث الإجرائية.

- عقد دورات تدريبية لنشر ثقافة الأبحاث الإجرائية وأن تكون من مخرجاتها القيام بإجراء عدد من الأبحاث الإجرائية التي تتم مناقشتها واعتمادها لأغراض استكمال متطلبات الدورة وأن تعتمد لأغراض التثبيت والترقية.

- تشجيع البحث التعاوني المتبادل بين المحاضرين والباحثين المتفرغين/ وطلبة الدراسات العليا.

- تبني الأبحاث الإجرائية من قبل الشؤون الأكاديمية ووحدة الموارد البشرية ووحدة الجودة وعمادة الدراسات العليا وعمادة البحث العلمي وعمادة شؤون الطلبة لتطوير ممارساتها، وأن تبنى قراراتها على دراسات ميدانية، كوسيلة لتطوير أداء الموظفين وتطوير الخطط والمناهج، والتحقق من مدى امتلاك الطلبة لمهارات التعلم الذاتي.

ولتبني البحث الإجرائي في الجامعة، يمكن التعامل مع البحوث الإجرائية في عدة أوجه:

- على مستوى أعضاء هيئة التدريس: لا بد من تطوير الممارسة والتأمل بمخرجاتها لتحسينها والتعرف على المشكلات التي تواجههم وربط النظرية بالتطبيق العملي. ويزيد من قدراتهم التحليلية ووعيهم بذواتهم وتفكيرهم الناقد، وتطوير قدراتهم وقدرات طلبتهم مثل كتابة التقارير والمواد التعليمية والتأمل الناقد في الممارسات.

– أما بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس الجدد فيستخدم كإستراتيجية لتطوير القدرات التأملية ومساعدتهم على صياغة مشاكلهم ووضع حلول لها.

– طلبة البكالوريوس: ربط النظرية بالتطبيق العملي من خلال القيام بأبحاث مشتركة كمتطلبات للمساقات وتطوير فكرة التقويم الواقعي، وتحويل مشاريع التخرج إلى مشاريع مرتبطة بالمؤسسات التي يتوقع أن يعمل فيها الطالب بعد تخرجه، والعمل على اكتساب الطالب لمجموعة من المهارات المنقولة مثل: مهارات البحث والاتصال والتواصل و...

ولتحقيق ذلك، أشارت الدراسة إلى إمكانية إدخال تعديلات على آليات تقويم أداء الطلبة على النحو الآتي:

– **على مستوى البكالوريوس**: امتحان نصفي (20 بالمئة) وبحث إجرائي (30 بالمئة) وملف إنجاز وتأمل في المحاضرات (10 بالمئة) وامتحان نهائي (40 بالمئة).

– **على مستوى الماجستير**: أن تشتمل مساقات البحث العلمي على تعريف الطلبة بالبحوث الإجرائية وفوائدها وآلياتها، وأن يكون البحث الإجرائي مكونًا رئيسًا من مكونات التقويم بما لا يقل عن (30 بالمئة). وأن يكون هناك من متطلبات التخرج إجراء بحث إجرائي فردي أو مشترك مع إحدى الدوائر في الجامعة و/ أو المجتمع المحلي حسب نوع التخصص.

5- ورقة حول دور البحوث العلمية في إبراز قضية الأسرى من وجهة نظر الأكاديميين في الجامعات الفلسطينية (جامعة القدس أبو ديس أنموذج): مقدمة من الباحث فهد أبو الحاج:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور البحوث العلمية في إبراز قضية الأسرى من وجهة نظر الأكاديميين في الجامعات الفلسطينية، حيث حاولت الإجابة على مجموعة من الأسئلة منها: دور البحوث العلمية في إبراز قضية الأسرى من وجهة نظر الأكاديميين في الجامعات الفلسطينية ومعوقات إجراء الدراسات بقضايا الأسرى، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لجمع البيانات وتحليلها، ومجتمع الدراسة هو أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس أبو ديس، وحول عيّنة الدراسة فإنه تم تطبيقها على أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس.

6- ورقة بعنوان دور المشاريع الريادية الشبابية وأثرها على دعم البحث العلمي: للباحث عبد الرحمان الزغلول:

تعرضت الورقة لمجموعة من المشاريع التي ابتكرها الشباب مثل إعادة تدوير المنتجات المستهلكة، ومشروع الخبز من أجل التعليم، وهو مشروع أطلق عام 2013 مخصص لإعادة تدوير مخلفات الخبز من الفنادق والمطاعم والمدارس لمساعدة المحرومين من أطفال وشباب المدارس.

7- ورقة بعنوان مؤتمرات وورش عمل بمُشاركة فعّالة للطلبة:

أبرزت هذه الورقة مبادرات شارك فيها الطلاب، منها عمل علاقات مميزة مع القطاع الخاص لتدريب الطلبة وتطوير قدراتهم البحثية عام 2009، وفعالية وأنشطة وأرشفة لمكتبة علمية خاصة بالدائرة ومُتاحة للطلبة لمساعدتهم بأبحاث التخرج 2010، بالإضافة إلى دورات علمية وبحثية داخلية، حيث مثّل الطلبة أساس هذه الدورات وأخرى خارجية موجهة لطلاب مدارس وموظفي بلديات والمجتمع النسوي والمحلي، كما يتم تنظيم نشاطات لا منهجية تعزز الثقة المتبادلة بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة، وزيارات ميدانية.

8- ورقة بعنوان "رؤية طالب حول البحث العلمي": من إعداد الباحث ليث عزام

تطرقت الورقة إلى المراحل الخمس من تكوين الحضارة، وهي الانتقال من الصيد، إلى الزراعة والصناعة والمعرفة ثم الوصول إلى الحكمة، والإشارة إلى أهمية طرح الأسئلة والتفكير بتعمق في طبيعة الأسئلة، مركزًا على أن البحث أساسه الإبداع والابتكار، مشيرًا إلى إنجازات بحثية مبتكرة.

في ختام الاجتماع، صدر البيان الختامي عن المؤتمر تضمّن مجموعة من التوصيات، تمثلت فيما يلي:

1. اعتماد كلمة ضيف الاجتماع الأستاذ الدكتور اخليّف الطراونة رئيس مجلس إدارة أكاديمية القدس للبحث العلمي في الجلسة الافتتاحية واعتبارها وثيقة أساسية من وثائق الاجتماع.

2. اعتماد خطة إستراتيجية خمسية للوصول بجامعة القدس إلى مرتبة مرموقة ضمن التصنيفات العالمية للجامعة.

3. الجمع بين التعليم والبحث والإنتاج لجامعة القدس والتعاون في إنشاء بنك معلومات واستخدام التقنيات الحديثة للوصول إليها.

4. جذب القطاع الخاص من خلال طرح مشاريع ريادية تحقق التنمية المستدامة في المجتمع.

5. تعديل تعليمات البحث العلمي وتعليمات الدكتوراه والماجستير، حيث يقوم الطالب بنشر بحث على الأقل في السنة الأولى.

6. تعزيز التعاون بين الباحثين من جامعة القدس والجامعات الأردنية.

7. رفع قيمة الموارد المخصصة للبحث العلمي سنويًا بما لا يقل عن 10 بالمئة تحفيزًا ودعمًا للبحث العلمي.

8. عمل مقترح لمجموعة من الحوافز الخاصة بالباحث لتشجيع الباحثين وتحفيزهم على زيادة الأبحاث العلمية في تخصصاتهم وفق نظام معتمد.

9. تأسيس مجلة محكمة في العلوم القانونية والسياسية بما يشمل تحمل الجامعات لكلفة التحكيم والنشر للبحوث.

10. تقديم مجموعة من الحوافز الخاصة بالباحثين لتشجيعهم وتحفيزهم على زيادة الأبحاث العلمية في تخصصاتهم وفق نظام تعتمده.

11. التأكيد على أهمية استكمال مشروع تدريس مناهج البحث العلمي بكليات الجامعة على مستوى مرحلتي البكالوريوس والماجستير من الناحيتين الموضوعية والإجرائية بما يعزز قدرات الطلبة في البحث العلمي.

12. ضرورة إضافة جميع أبحاث الجامعة إلى المستودع الرقمي، وتفعيل عمل المجموعات البحثية على المستودع الرقمي. وضرورة أن يكون النص البحث الكامل متاحًا للجميع، وذلك من أجل تسهيل اقتباس منشورات الجامعة.

13. تفعيل تطبيق تعليمات وأنظمة التثبيت الأكاديمي والتفرغ العلمي للأكاديميين في الجامعة.

14. الترحيب بأي مبادرات أو أفكار مقترحة لدعم وتحفيز البحث العلمي في الجامعة من خلال لجنة يتم تشكيلها في إطار عمادة البحث العلمي والدراسات العليا.

15. تشكيل لجنة من أساتذة الجامعة بالتخصصات المختلفة تعنى بشؤون أخلاقيات التعليم العالي والبحث العلمي وترسيخها، خاصة من حيث المفاهيم والمعايير ومتطلبات متابعة اعتمادها والالتزام بتنفيذها.

16. التأكيد على أهمية استكمال مشروع توجيه المساق المعتمد في دراسة مناهج البحث العلمي بكليات الجامعة في مستوى البكالوريوس والماجستير من الناحيتين الموضوعية والإجرائية بما يفرز من المفاهيم والقيم شكلًا ومضمونًا.

17. دعوة الباحثين لكتابة أبحاثهم ضمن التخصصات المختلفة في مجلة القانون والعلوم والسياسية التي ستصدر قريبًا في هذا الفصل وهي محكمة، علمًا أن الجامعة ستتحمل نفقات نشر الأبحاث.

18. تكليف عمادة البحث العلمي متابعة تنفيذ التوصيات المعتمدة أعلاه وتقديم تقرير لاجتماع المجالس في الورشة القادمة.

عبد الرحمن قوطة

الأحزاب السياسية

من التجمُّع إلى التفرّق

دار ابعاد للنشر

لبنان – بيروت - شارع الحمرا الرئيسي - بناية رسامني ط7

ص.ب: 7179 - 113 بيروت - لبنان

tel: 00961 -1- 751541

E-mail: abaaddar@gmail.com

الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية
من الكفاح الوطني العام إلى الكفاح التنموي المحلي وبناء السيادة من أسفل

د. وليد سالم[1]

ملخص البحث ومشكلته وأهدافه وأهميته

يهدف هذا البحث إلى تشخيص وتحليل حالة الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية في إطار مثلث استيطاني استعماري احتلالي أبرتهايدي، والتحولات التي طرأت على هذا الكفاح بين مرحلتين: الكفاح الوطني العام (1967– 2001) ثم الانتقال إلى الكفاح المحلي من عام 2001 وحتى اليوم. في جانبه النظري، يشمل البحث استعراضًا مكثفًا لمفهوم وتعريف الحركات الاجتماعية بأنواعها السياسية والتنموية والمجتمعية، ودورها في تطوير السيادة وبنائها، كما يتضمن تحليل البيئة الاستيطانية الاستعمارية التي تعمل في إطارها الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية والردود الفلسطينية الرسمية عليها. ويتطرق البحث بعد ذلك إلى مراحل العمل الوطني الفلسطيني في القدس وأدوار الحركات الاجتماعية في بناء السيادة على القدس من أسفل، أو بالتكامل مع أعلى منذ عام 1967. وفي الختام يعرض

(1) دكتوراه في العلاقات الدولية/ جامعة الشرق الأدنى- شمال قبرص. محاضر جامعي سابق لمدة ست سنوات/ جامعة القدس في قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة وحل النزاعات. مؤلف ومحرر لما يزيد على ثلاثين كتابًا وعشرات الأوراق في نفس القضايا. كاتب عمود صحفي دوري، وناشط في الحركات الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني والسياسي على مدى الأربعين سنة الماضية، ومدرب لثلاثين ألف فلسطيني ضمن مجالات تخصصه.

البحث دروسًا مستفادة وأسئلة وخلاصات حول مغزى تحول الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية من العمل الوطني الكفاحي العام إلى العمل التنموي المجتمعي المحلي. كما يشتمل القسم على اقتراحات عمل للمستقبل فلسطينيًّا وعربيًّا ودوليًّا بشأن إمكانية اعتماد الحركات الاجتماعية كرافعة لبناء السيادة الفلسطينية على القدس من أسفل ولاستعادة مركزيتها على كل المستويات.

تجدر الإشارة إلى أن القدس التي سيتطرق إليها البحث هي القدس الشرقية المحتلة عام 1967، وليس كل القدس بشرقيها وغربيها، حيث تحتاج الحقوق الفلسطينية في القدس الغربية بكل مكوناتها وتعقيداتها إلى بحث خاص.

الكلمات المفتاحية

بناء السيادة من أسفل ومن أعلى، الحركات الجماهيرية، التنمية المبنية على المجتمع المحلي، القدس الشرقية، التحرر والاستقلال.

المحور الأول: إطار نظري مفاهيمي- تاريخي

يحتوي هذا المحور على مقدمات لفهم الحركات الاجتماعية وأدوارها في إطار استيطاني استعماري ومكونات أخرى، ولهذا سيشمل القسم جزءًا نظريًّا لتعريف الحركات الاجتماعية وكذلك أدوارها في بناء السيادة، كما يتضمن جزءًا نظريًا- تاريخيًا حول كيفية فهم نظام السيطرة الصهيوني في القدس الشرقية وآفاقه، وأخيرًا يضم القسم عرضًا موجزًا للردود الفلسطينية الرسمية على نظام السيطرة الصهيوني المذكور.

تمثل هذه الأجزاء الثلاثة للقسم الأول مقدمات من أجل تبيان دور الحركات الاجتماعية في خلق السيادة من أسفل في القدس الشرقية، علمًا أن السيادة في إطار استيطاني استعماري يمكن أن تفهم وفق هذا البحث على ثلاث درجات: درجة الحد الأدنى المتمثلة بالحفاظ على الوجود الوطني في المدينة وتثبيته ودرجة الحد الأوسط المتمثلة بتحقيق الاستقلال الوطني، ودرجة الحد الأعلى بالاستقلال التام من التدخلات الخارجية، وذلك في إطار نظام ديمقراطي يقوم على أساس سيادة المواطن أولًا وجعل سيادة الدولة نتاجًا مركبًا لمجموع سيادة المواطنين والمواطنات.

يأتي الاجتهاد أعلاه حول مفهوم السيادة في إطار مرحلة ما قبل الدولة وخلال الكفاح من أجل قيامها كتطوير لمفهوم السيادة الكلاسيكي في إطار الدولة، والذي لخّصه كريسنر

وهـو يقضي باشـتمالها على أربعة مكونات هي: السـيادة الداخلية (الضبـط الداخلي من قبل الدولة) والاسـتقلال (بمعنى السـيطرة على الحركة عبر الحدود) والسيادة القانونية الدولية (الاعـتراف الـدولي) والسـيادة الوسـتفالية (بمعنى عدم وجود سـلطة أخرى فوق سـلطة الدولة مثل سلطة الكنيسة مثلًا)[1].

الفرع الأول: الإطار النظري

يعود البحث في الحركات الاجتماعية إلى النظريات المرتبطة بفلسـفة العمل، مقارنة بفلسـفة العلم[2]. الفلسـفة الثانية تهتم بدراسـة الواقـع الموضوعي من خارجه، أما الفلسـفة الأولى فتهتم بدراسـة سـلوك الفاعل في علاقته التفاعلية المتبادلة من التأثير والتأثر مع البنية، وهو ما أطلق عليه جيدنز اسم الـ«structuration".[3]

ضمـن هـذا المنظور يقـع مفهوم ودور الحركـات الاجتماعيـة بفروعها الثلاثـة: الاجتماعية الفاعلة على المستوى الاجتماعي الكلي، والمجتمعية العاملة لتنمية المجتمع المحلي والحركات السياسية الهادفة للتغيير السياسي، وكلها حركات مبنية بحكم التعريف على رابطة المواطنة، وليس على أسـس عشائريـة وفئوية وزبائنية. فالحركات الاجتماعيـة تفعل من أجل أهداف وغايـات عامة غير ذات علاقة بالانقسـامات ما قبل المواطنيـة. وفي هذا الإطار عرف تيللي الحركـات الاجتماعية على أنها: "أشـكال متميزة من السياسـة التنافسـية: التنافسـية بمعنى أن الحركـات الاجتماعيـة تتضمن تكوينًـا جماعيًّا لمطالب فيما لو حققت فإنها سـتتناقض مع مصالح طرف آخر. والسياسـية بمعنى أن الحكومات من شـكل معين أو آخر تنظر بدرجة معينة إلى عملية المطالبة، سواء من زاوية المطالبين فيها، أو هدف المطالب، أو الحلفاء في هذا الهدف، أو أنها تراقب عملية التنافس"[4].

يعنـي هـذا التعريـف أن الحركات الاجتماعيـة تتشكل وفق هـدف/ أو أهـداف يجمع عليها

(1) Krasner, Stephen. D. Problematic Sovereignty: Contested Rules and Political Possibilities. Columbia University Press , 2001.

(2) بيير بورديو، العقلانية العملية: حول الأسباب العملية ونظريتها، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، 2000، ص7 - 8.

(3) Giddens, Anthony. The Constitution of Society: Outline of the Theory of Structuration. Cambridge: Polity, 1984.

(4) Charles Tilly, Social Movements 1768-2004. London: Paradigm Publishers, 2014,p.4

أعضاؤهـا، كـما وتتحالف مـع حركات أخـرى تلتقي معها في الهـدف ذاته، مـن أجل الضغط عـلى الدولـة لتحقيقـه. يدور الحديث هنـا عن صيغة تنافـس ديمقراطي سـلمي، وليس صيغة صراع بين تشظيات وشراذم تصرف نزاعاتها بطرق عنيفة وإقصائية. ويسـتخدم تيللي مصطلح (WUNC) كمعـبر عـن مجموع سـمات للحركات الاجتماعيـة التي تتضمن: الـ worthiness (القيمة)، والـ unity (الوحدة)، والـ numbers (الإعداد)، والـ commitment (الالتزام)[1]. ويميـز تيللي أخيرًا بـين الحركات الاجتماعية وفق سـماتها أعلاه وبين الأفعـال الاجتماعية وبين الشبكات التي قد تشارك فيها الحركات الاجتماعية، ولكنها لا تمثل حركات اجتماعية بذاتها.[2] ويضيف هذا البحث سـمة أخرى للحركات الاجتماعية تتمثل في أنها تبنى على رابطة المواطنة، ولهـذا فإن الحركات القائمة على أسـس عشائرية أو جهويـة أو طائفية لا تدخل في إطار تعريف الحركات الاجتماعية الذي تتبناه هذه الدراسة.

من جهة أخرى، يحلل تورين دور الحركات الاجتماعية في المجتمعات ما بعد الصناعية والتي يسـميها بـ"المجتمعات المبرمجة"،[3] حيث يرى تورين أن الصراع في هذه المجتمعات لم يعد بين الرأسـمال والطبقـة العاملة فقط كما كان الحال في المجتمـع الصناعي، بل أصبح صراعًا بـين صنّـاع القرار السـياسي والاقتصادي وبين «أولئـك الذين اختزلـوا إلى مجرد مشاركين اعتماديين»[4]. ويشمل ذلك المشاركين الاعتماديين داخل الدول المبرمجة ذاتها، وكذلك دول العالم الثالث ذات المشاركة الاعتمادية مع الدول المبرمجة بما يحول دون تحقق استقلالها[5]. بناءً على ذلك يرى تورين أن المجال قد أصبح مفتوحًا لتشكل حركات اجتماعية واسعة تتجاوز الطبقـة العاملة ولتشمل كل المشاركين الاعتماديـين[6]. ويتفق روبرت كوكس مع تورين إذ أطلق اسـم «القوى الاجتماعية» على تلك المهيِّئة لتشكيـل حركات اجتماعية مناهضة لنظام الهيمنة القائم في المجتمعات ما بعد الصناعية[7].

(1) Ibid, p4

(2) Ibid, p6-7.

(3) AlaineTouraine,The Post- Industrial Society. New York: Random House, 1971, p 3

(4) Ibid, p 8.

(5) Ibid, p9.

(6) Ibid, p 9.

(7) R. W. Cox, "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory" Millennium Journal: Vol.10 No.2 (1981), p 133.

تعالـج الأدبيات السـابقة أدوار الحركات الاجتماعية في السـياق الغـربي، حيث توجد دولة وديمقراطيـة ومواطنـة ومؤسسـات، ولكنهـا لا تعالـج الدور الـذي تلعبه هـذه الحركات لمقاومة الاسـتبداد وفي غياب الدولة، وكذلك في الإطار الاسـتيطاني الاستعماري مثل ذلك القائم في فلسـطين. وقد تصدى بعض الباحثين الفلسـطينيين لمعالجة هذه الفجوة، وفي هذا الإطـار كتبـت تراكي عن نمو الحركات الجماهيرية في فلسـطين بعد عـام 1967 ودورها في الانتفاضـة الأولى، ولكنهـا لم تعرّف الحركـات الاجتماعية، ما أدى بها إلى عـدم التمييز بين المنظـمات المهنية غـير التمثيليـة والمنظـمات التمثيلية والشبكـات والمنظمات غـير الحكومية واحتسـابها كلهـا معًا على أنهـا حركات اجتماعيـة[1]. وذلك على عكس ما فعـل تيللي الذي حصر الحركات الاجتماعية بتلك المشتملة على عضوية ملتزمة بالعمل من أجل هدف محدد ذي قيمـة. وقد اعتـبر حليلة وهيلترمان الحركات الاجتماعية في فلسـطين على أنها المنظمات التمثيليـة أساسًـا[2]، وتوافـق معهما بطريقة غير مبـاشرة جقمان الذي انتقـد تحوّل الحركات الجماهيريـة ومنهـا النسـوية إلى منظمات مهنيـة تفتقر للقاعـدة الجماهيرية، وتكتفـي باعتماد الاختصـاص والبرامـج الممولـة[3]، وهو أيضًا ما انتقـده بشارة[4]. هذا فيما أشـار البرغوثي إلى ضرورة تحـول الحركـات السياسـية إلى حركات اجتماعية تدمج بـين البرنامجين الوطني، والديمقراطي الاجتماعي[5].

لم تعالـج الدراسـات الفلسـطينية حـول الحركـات الاجتماعيـة دورهـا في إطار اسـتيطاني اسـتعماري بشـكل كافٍ بعد، وهذا ما سـتحاول فعله هـذه الورقة مع تركيـز على القدس، بدءًا بتحليل واقع الاسـتيطان الاسـتعماري والشامل لمركبات أخرى فيها، ودور الحركات الاجتماعية في مواجهته من خلال الكفاح الوطني، وكذلك البناء التنموي من أسـفل، وهو ما تتصدى له الأقسام القادمة من هذه الورقة.

قبل القيام بهذا التحليل، تجدر الإشـارة إلى جزء آخر من فلسـفة العمل تبنّاه هذا البحث في

(1) ليزا تراكي، قبل الطوفان تطور الوعي السياسي في المناطق المحتلة تمهيدًا للانتفاضة 1987-1967، آفاق فلسطينية عدد 5(1990).

(2) سمير حليلة، "ديناميات التنمية البديلة نشوء المنظمات الجماهيرية في الأرض المحتلة وتطورها" مجلة آفاق فلسطينية، عدد 6 (1996) انظر أيضًا هيلترمان 1991.

(3) مصطفى البرغوثي، وجورج جقمان، الحركات الاجتماعية السياسية في فلسطين، 2000 (بدون دار نشر).

(4) عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية، ط 6، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012

(5) البرغوثي وجقمان، 2000.

تحليله لأسس بناء السيادة في القدس وفلسطين، وذلك على أنها نتاج لتفاعلات الفاعلين بمن فيهم الفاعلون غير الدولانيين (non-state actors)، وبينهم وبين البنية المتشكلة وهي الدولة في هذه الحالة. بهذا المعنى يصبح تشكل الدولة وسيادتها عبارة عن عملية وصيرورة قيد التكون والتحول والتغير المستمر لا مجرد حالة ستاتيكية تتكون دفعة واحدة لشعب يعيش في إقليم وله حكومة، وتبقى ثابتة تفعل وفق قوانين ثابتة جامدة لا تتغير تحكم العلاقة بين مكونات الدولة الثلاثة المذكورة.

وفق هذا المنظور يصبح بناء السيادة فعلًا تشاركيًّا بين أعلى وأسفل، حيث تقوم نخب الدولة السياسية والاقتصادية بما عليها من أعلى، وذلك بتفاعل مع بناء السياسة والاقتصاد والمجتمع والتنمية من أسفل وبالمشاركة الكاملة مع المواطنين والمواطنات.

هذه العلاقة التبادلية لبناء السيادة من أعلى وأسفل معًا، هي سمة لمجتمع ديمقراطي مبني على المواطنة، حيث تصبح سيادة الشعب نتاجًا لسيادة المواطن أولًا وليس كقدر مسلط عليه.

وفي غياب هذه العلاقة المتبادلة تبنى سيادة الأعلى على الأدنى ويسود التسلط والتعسف، أو تنشأ حالة معاكسة من الفوضى، حيث يغيب القاسم المشترك ويحكم كل وفق قيمه ومفاهيمه الخاصة. وفي هذا الإطار أشارت ماري أندرسون إلى ضرورة الابتعاد عن حالتين: الأولى هي مطّ التنوع إلى نهاياته، حيث يؤدي إلى الفردية المطلقة والفوضى، وبالتالي إلغاء التفاهم على قيم وقواسم مشتركة، والثانية هي الابتعاد عن مطّ القواسم المشتركة إلى نهاياتها، ما يودي بالتنوع وينتج الاستبداد. بين هذين التطرفين تنصح أندرسون بتعزيز التنوع ولكن دون إهمال بناء القيم وقواعد العمل المشتركة بين المتنوعين لتعزيز عافية المجتمع، والحيلولة دون تحول التنوع إلى حالة تشرذم تؤدي إلى تفسخ روابط وقيم المواطنة المشتركة[1]، وتستبدلها بشتى الانقسامات العشائرية والطائفية والفئوية والزبائنية.

وبناء على ما تقدم، يمكن العمل على بناء السيادة في إطار التخلص من الاستيطان الاستعماري وفق الدرجات الثلاث التي تم إيرادها في بداية هذا القسم.

(1) Anderson, Mary B. "Understanding Difference and Building Solidarity: A Challenge to Development InitiativesDevelopment and Social Diversity. Oxfam Publication / UK and Ireland (1996).

الفرع الثاني نظام السيطرة الصهيوني في القدس الشرقية: إطار نظري تحليلي موجز

لا يكتمل الإطار النظري العام لفعل الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية دون التطرق إلى نظام السيطرة الصهيوني القائم في المدينة وتأثيره على فعل الحركات الاجتماعية في المدينة. في هذا الإطار، هنالك عدة مقاربات حول تعريف نظام السيطرة المذكور، حيث تنحو بعض الدراسات إلى اعتبار ما هو قائم في فلسطين المحتلة بما فيها القدس بعد عام 1967 على أنه احتلال عسكري فقط[1]، متجاهلين الطابع الاستيطاني الاستعماري القائم فيها.

من وجهة نظر هذه الدراسة، تخضع القدس الشرقية سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا تحت مركب يشمل الاحتلال، والاستيطان الكولونيالي، والاستغلال الاقتصادي الكولونيالي، والأبارتهايد، والتطهير العرقي والفصل الجغرافي والتفكيك الداخلي والعزل، ويترافق ذلك مع ممارسات نيوكولونيالية غربية تجاه فلسطينييها[2].

تخضع القدس أولًا للاحتلال العسكري الذي بدأ منذ عام 1967، ولكن خلافًا للضفة الفلسطينية فقد تم إخضاع القدس الشرقية إلى إشراف الشرطة وقوات حرس الحدود والتي تلجأ للجيش في الحالات القصوى، فيما تمارس الصلاحيات «الأمنية» الصهيونية في الضفة بواسطة الجيش الصهيوني بشكل أساسي. على أن هذا الاختلاف ليس إلا اختلافًا شكليًّا، فالشرطة وحرس الحدود يمارسان في القدس الشرقية ما يمارسه الجيش الصهيوني في الضفة، وفي السنوات الأخيرة منذ عام 2014 (عام استشهاد الطفل محمد أبو خضير) شهدت القدس الشرقية أعمال قتل واسعة ضد الأطفال الفلسطينيين بادّعاء حملهم السكاكين، والذين يكون بمقدور قوى الأمن الصهيونية اعتقالهم ولكنها كانت ولا زالت تلجأ لقتلهم بدلًا من ذلك، كما تحولت القدس من عام 2014 فصاعدًا إلى ثكنة عسكرية، وذلك كما كان حالها خلال سنوات الانتفاضة الثانية (2000– 2005) والانتفاضة الأولى (1987– 1993)، وغيرها من الفترات.

وفي القدس، يقوم الاحتلال العسكري برعاية المشروع الاستيطاني الاستعماري في المدينة،

(1) Dajani, Mohammed S. Occupation, Not Apartheid- The b Washington Institute for Near East. Fikra Forum, 2017.

(2) Salem, Walid."Jerusalemites and the Issue of Citizenship in the Context of Israeli Settler Colonialism" Journal of Holy Land and Palestine Studies, Vol.17 No 1(May 2018a).

وذلك بكل مكوناته والتي تشمل، اقتلاع الفلسطينيين ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم، وفي المقابل إحلال المستوطنين المستعمرين مكانهم. ويساهم في الاقتلاع أيضًا كل من وزارة الداخلية، وبلدية القدس الصهيونيتين، وغيرهما من المؤسسات الرسمية الصهيونية العاملة في المدينة. فوزارة الداخلية تمارس التطهير العرقي والاقتلاع عبر سحب هويات المقدسيين الذين يسكنون لعدد من السنوات خارج حدود المدينة، كما تمتنع عن إعطاء الهويات للأطفال ولحالات جمع الشمل[1]. أما البلدية الصهيونية للمدينة فتسمح بالبناء الواسع للمستعمرات في المدينة، فيما تقيد وتعوق إجراءات التخطيط الهيكلي ومنح رخص البناء للفلسطينيين المقدسيين، كما أنها تتلقى الضرائب من الفلسطينيين المقدسيين فيما تحرمهم من الخدمات التي تقدم لليهود في كل من أحياء القدس الغربية، ومستعمراتهم في القدس الشرقية[2].

وتتم هذه الممارسات في إطار سياسة عامة رعتها وترعاها الحكومات «الإسرائيلية» المتعاقبة، تقضي بتوسيع القدس المستمر على حساب القضم التدريجي لأراضي الضفة الفلسطينية، مما سيجعل القدس تصل إلى مشارف أريحا والبحر الميت في السنوات القادمة، مترافقًا مع السعي لضم هذه «القدس الكبرى» إلى «إسرائيل»، كما تنص على ذلك المشاريع والقوانين المطروحة على الكنيست الصهيوني منذ منتصف عام 2017.

وبمفاهيم أخرى، يمكن تلخيص السياسات الاستيطانية الاستعمارية المذكورة على أنها تشمل الترحيل والتهويد والأسرلة والعزل والإغلاق والفصل معرفة وفق ما يلي:

أ- ترحيل واقتلاع الفلسطيني المقدسي سواءً بطرده من المدينة، أو بالعيش مرحّلًا داخلها مسكونًا بهاجس الخوف من الطرد والاقتلاع نظرًا لوجود أمر هدم لبيته بانتظار التنفيذ، أو وضع مؤقت لهويته المعرضة للسحب في أي وقت.

ب- التهويد: تهويد الأرض والمكان والإقليم والمشهد، بما يشمل تغيير الملامح الحضارية وإزالة وتغيير الأسماء التاريخية، وتغيير طابع البلدة القديمة، وانتشار المستعمرات وتوسيعها.

(1) أحمد الرويضي، السياسات والإجراءات في مكتب وزارة الداخلية في القدس الشرقية، القدس الملتقى الفكري العربي، 2000

(2) مائير مارغليت، إسرائيل والقدس الشرقية استئلاء وتهويد، ترجمة مازن الحسيني منشورات مركز القدس للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2011

جـ- الأسرلة: أي تحويل تبعية الفلسطيني المقدسي لتصبح لمؤسسات إسرائيلية، فالمحامي سيحتاج إلى رخصة عمل من نقابة المحامين الإسرائيلية، وكذلك المهندس وغيرهما من التخصصات. كما تتم أسرلة المناهج التعليمية، وفرض الانتساب للهستدروت من أجل تحصيل حقوق العمال وهكذا. فيما يتم في المقابل إغلاق وطرد المؤسسات الفلسطينية من المدينة.

د- العزل: وذلك بفصل الأحياء الفلسطينية عن بعضها بعضًا، حيث تكون هنالك مستعمرة صهيونية بين كل واحدة وأخرى، وكذلك المستعمرات داخل كل حيّ من أجل تمزيقه داخليًا.

هـ- الإغلاق والفصل، وهو ما بدأ في آذار عام 1993 عبر فصل القدس عن الضفة والقطاع وإغلاقها بالحواجز العسكرية من كل مداخلها، ثم جاء الجدار العازل بعد عام 2000 فصاعدًا، ليعزز هذا الإغلاق والفصل، وكذلك ليخرج مناطق مقدسية منها مثل مخيم شعفاط، وكفرعقب وقلندية والشيخ سعد[1].

وتستكمل هذه السياسات بممارسات الأبارتهايد ضد الفلسطينيين الباقين في المدينة، وذلك عبر التمييز في الخدمات على كل المستويات وإيجاد نظامين، الأول لليهود والثاني للفلسطينيين في كل المؤسسات الرسمية لدولة «إسرائيل».

وإلى جانب الأبارتهايد هنالك أيضًا الاستغلال الاقتصادي الكولونيالي للباقين في المدينة، حيث يمنعون من جهة من استيراد وبيع المنتوجات الفلسطينية في القدس، كما يتم كبح التنمية الاقتصادية وبناء المشاريع الإنتاجية في المدينة، مما يجعلها سوقًا مفتوحة للمنتوجات الصهيونية فقط. ويترتب عن ذلك عمالة فلسطينية مقدسية خارج القدس، حيث يتوجه موظفو المدينة في الصباح للعمل في مؤسسات السلطة الفلسطينية في رام الله، فيما يتوجه عمالها للعمل في السوق «الإسرائيلية» كأيدٍ عاملة رخيصة، يترافق مع ذلك هجرة التجار لفتح محلات تجارية في رام الله وبيت لحم هربًا من الضرائب الباهظة «الإسرائيلية».

هذا في الجانب السياسي والاقتصادي، أما في الجانب الاجتماعي فإن فلسطينيي القدس

(1) Walid Salem, "Jerusalemites and the Issue of Citizenship in the Context of Israeli Settler Colonialism" Journal of Holy Land and Palestine Studies, Vol.17 No 1(2018a). See also Walid Salem, Jerusalem: Monitoring Report and a Human security Community Based Agenda for Change. Jerusalem: The Center for Democracy and Community Development, 2010.

الشرقيـة مفصولين عن امتدادهم الطبيعي عن أخوتهـم وأخواتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، هذا إضافة للانفصال عن لاجئي القدس في مخيمات الشتات.

أمـا داخل القـدس، فالمجتمع المقدسي مجتمع مفكك، يعاني شـبابه مـن البطالة ومشكلات تتعلـق بتشوه الهويـة، كما يعاني من ازديـاد انتشار مظاهر السرقة والمخـدرات والصراعات العائليـة والعشائريـة والمنازعـات حـول الأراضي، واسـتخدام السـلاح والعنـف في حل النزاعـات مما يهدد السـلم الأهلي في المدينـة. كل ذلك في ظل غياب سـلطة القانون وتعمّد سـلطة الاحتـلال غضّ النظر عن هذه المشكـلات، هذا ناهيك عن امتنـاع قوات أمنها من الدخول إلى المناطق المقدسـية المهمشة مثل كفرعقب والمكبر بذريعة الخوف على أمنها، وفي المقابل منع قوات الشرطة الفلسـطينية من الوصول إلى تلك المناطق من أجل حفظ الأمن، ما جعلها تتحول إلى مرتع للجريمة بكل أشكالها وأنواعها[1].

ومـن القضايـا المثيرة للقلـق اجتماعيًا، هنالك أيضًـا قضية التفاعلات بـين القدس الشرقية والقـدس الغربية، وفي هـذا الإطار يمكن الالتفـات إلى ظاهرة التوجه من قبل فلسـطينيي القـدس الشرقيـة إلى التسـوق والتنـزه في القـدس الغربية، وذلـك نظرًا لارتفاع الأسـعار وغيـاب أماكن الترفيه عن النفس في القدس الشرقية، ويرتبط بهذه الظاهرة تشوهات تطرأ عـلى الهوية الوطنية، تجد تعبيرًا لها أيضًا في التوجه للحصول على الجنسـية الإسرائيلية، وإن كـان العدد لازال محدودًا قياسًـا بعدد سـكان القـدس الشرقية، حيث لا يتجـاوز 13 ألف شخص[2].

ويعزز الاحتلال الاسـتيطاني الاستعماري وجوده في القدس الشرقية من خلال إنشاء لجان تطويـر ومراكـز جماهيرية تعمل بالتنسـيق مـع بلدية القـدس الإسرائيلية في عـدة مواقع في القـدس الشرقية ومنها: جبل المكبر والسـواحرة (لجنة تطوير حي بشـير)، واللجنة المحلية لبيـت صفافا وشرفات، وجمعيـة تطوير بيت حنينا، ولجنة ضاحية السـلام- عناتا الجديدة،

(1) خليل الشقاقي، دراسة لاحتياجات الأمن وحكم القانون في المناطق الفلسطينية المحتلة من الضفة الغربية الواقعة خارج حدود المناطق المسماة أ (رام الله: المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2017). الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية: الأونكتاد، الاقتصاد الفلسطيني في القدس الشرقية: الصمود في وجه الضم والعزل والتفكك (2013). إليز أغازريان، «المقدسيون وانشطار الهوية: من وحي فرانز فانون» مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 21 عدد 82، (2010). وليد سالم، المواطنة والسلم الأهلي في القدس الشرقية، (القدس: مركز أكت للدراسات والوسائل البديلة لحل النزاعات، (2018).

(2) عناد السرخي، ورقة سياسات ومبادئ الخطة الإستراتيجية التنموية لمدينة القدس، وزارة شؤون القدس (2013).

ولجنة القرية في العيسوية، ولجنة حي كفر عقب، وجمعية تطوير الطور. هذا فيما حافظ مجلس قروي شعفاط السابق على استقلالية عن البلدية والمؤسسات الصهيونية[1].

بناء على ما تقدم، لا مناص من العمل من خلال الحركات الاجتماعية لتنمية المجتمع المقدسي وتمكينه سياسيًّا في ظل تغييب السلطة الفلسطينية قسريًّا عن القدس.

أما كيف تواجه منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية السياسات الصهيونية في القدس، فهو الجزء الأخير المكون لهذا القسم الأول بما يساعد على فهم أفضل لبيئة عمل الحركات الاجتماعية في القدس وفهم أفضل لفعلها الهادف لبناء السيادة الفلسطينية في المدينة من أسفل على شكلين: مرةً على شكل تثبيت الوجود الوطني الفلسطيني في المدينة والحيلولة دون اختراقه باتجاه تعزيز السيادة الصهيونية على المدينة، وتارة عبر بناء لبناتٍ تدفع نحو الاستقلال الوطني المستقبلي، كما سيتبين من العرض في المحور الثاني من هذا البحث.

الفرع الثالث- السياسة الفلسطينية الرسمية تجاه القدس والتخطيط والقيادة لبناء السيادة من أعلى

اشتمل العمل الفلسطيني الرسمي لبناء السيادة على القدس الشرقية على التخطيط لها من فوق، لاسيما منذ تأسيس بيت الشرق في تسعينيات القرن الماضي، وعلى إقامة تشكيلات ومرجعيات في المدينة، كما يتضح أدناه، وذلك انتظار لمعالجة موضوع القدس عبر المفاوضات مع «إسرائيل»، وقد تجاوزت الحركات الاجتماعية المقدسية المقاربات الرسمية هذه من خلال الفعل على الأرض (انظر/ ي القسم الثاني).

فيما يتعلق بالتخطيط الفلسطيني القيادي للقدس، فهو يعود إلى سنيّ الاحتلال الأولى، يمكن القول إن هذا التخطيط قد اقتصر على تخطيط العمل الوطني الكفاحي حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي. ومنذ مطلع التسعينيات نشأ التوجه الرسمي للتخطيط لقطاعات المدينة، وذلك انطلاقًا من الجهد الذي قام به «بيت الشرق» بقيادة فيصل الحسيني بهذا الخصوص[2]، وذلك بعد توقيع اتفاق أوسلو الذي أجّل موضوع القدس إلى

(1) إسحق القطب، مجالس الأحياء في القدس العربية (القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية/ باسيا، 1997).

(2) أسامة حلبي، بلدية القدس العربية، ط 2 (القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية / باسيا،2007).

المفاوضات النهائية، فيما تعهد شمعون بيريز وزير خارجية «إسرائيل» آنذاك في رسالة منه إلى يوهان هولست وزير خارجية النرويج في تشرين الأول 1993 بالحفاظ على المؤسسات الفلسطينية في القدس وعلى رأسها بيت الشرق[1].

في عام 1993، قام بيت الشرق بتأسيس «هيئة القدس الوطنية» والتي قادتها لجنة تنفيذية مكونة من 21 عضوًا، يقودون تسع دوائر مختلفة للتخطيط والاقتصاد، والقانون والحقوق، والخدمات الأساسية، والمؤسسات السياسية والدينية والمالية والدفاع المدني. وكان لكل دائرة من هذه الدوائر التسع أقسام فرعية[2].

في عام 2003 صدرت عن بيت الشرق أول خطة قطاعية للقدس أطلق عليها اسم «الخطة متعددة القطاعات للقدس الشرقية». وتضمنت الخطة خططًا لثلاثة قطاعات كبرى هي: الاقتصاد والتراث (شاملًا للأرض، الإسكان، البنية التحتية، القطاع الخاص، والسياحة)، والقطاع الاجتماعي (شاملًا التعليم والصحة والرفاء والشباب والضمان الاجتماعي)، وقطاع الثقافة (شاملًا الحفاظ على التراث الثقافي والمواقع التاريخية. وتطوير السياحة الثقافية، وتطوير الفنون). وتضمنت الخطة موازنة بقيمة 143 مليون يورو لمدة أربع إلى خمس سنوات[3].

وبانتقال من المتابعة السياسية إلى المتابعة المهنية للمدينة، فقد تضمنت الخطة تشكيل «هيئة تمثيلية» تحيط بها «وحدة إدارة وتنسيق الاستراتيجيات»، وتحاط الأخيرة بـ«لجنة القطاعات والمجتمع المدني»، واعتبرت الخطة هذه الهيئة بمثابة انتقال نوعي من أطر العمل السابقة في المدينة وهي «اللجنة السياسية العليا للقدس» والتي كانت مُشَكّلة من ممثلي الفصائل وتقتصر على المتابعة السياسية، وكذلك «مجلس البلدية غير الفعال» كما تمت تسميته، وهنا المقصود هو «أمانة القدس» التي تم انتخابها آخر مرة عام 1963 [4].

(1) مجلة الدراسات الفلسطينية، «رسالة شمعون بيريز ليوهان هولست»، 52، عدد 48 (2001)، ص 213.

(2) حلبي 2007.

(3) جمعية الدراسات العربية مشروع الدراسات القطاعية المتعددة للقدس الشرقية، إستراتيجية القطاعات المتعددة للقدس الشرقية،2003.

(4) Walid Salem, "The East Jerusalem Municipality, Palestinian Policy Options and Proposed in Alternatives". In Jerusalem Quarterly, No. 74 (2018b).

وبعد خطة عام 2003، تم إعداد ثلاث خطط رسمية فلسطينية على الأقل للقدس الشرقية[1]، هـذا إضافـة إلى خطـة رابعة لوزارة شـؤون القـدس[2]، وخطة خامسـة أصدرتها مؤسسـة التعاون[3]، ولعل القاسم المشترك بين كل هذه الخطط هي أنها كانت خططًا قطاعية، ما عدا خطة وزارة شـؤون القدس التي ركزت على الاحتياجات الطارئة. الخطط الثلاث الرسمية هـي خطـة 2010–2014، وخطـة 2018– 2020 الصادرتان من وحـدة القدس في مكتب الرئاسة، وخطة بكدار[4]، والتي تفرع عنها خطة أرسلت لمؤتمر القمة الإسلامية عام 2010.

اسـتعاضت هـذه الخطط عـن غياب القـدرة على إجراء انتخابات لجسـم تمثيـلي في القدس الشرقيـة، بتعيين لجـان تمثيلية ومهنية، كما جـاء في الخطط القطاعية لعـام 2010، 2018، أو بتعيين هيئة سياسـية كما جاء في خطة بكدار[5]. أما خطة وزارة شـؤون القدس لعام 2013، فهي خطة داخلية غير منشورة للوزارة، هدفت لمعالجة القضايا الطارئة، لاسـيما قضايا هدم البيوت وتراخيص البناء وتلبية احتياجات الإسـكان في المدينة، ويلاحظ هنا اختلاف هذه الخطة عن الأخريات بتركيزها على احتياجات المجتمعات المحلية وليس القطاعات.

وأخـيرًا فإن خطة مؤسسـة التعاون الصادرة عـام 2007– 2008 والتي جـاءت بعنوان «يا قدس نعبر أسـوارك»، فقد جاءت لتعالج احتياجات القدس في قطاعات التعليم، والثقافة والفنون، والتنميـة الاقتصادية والمجتمعية، والقانون والمناصرة، والطوارئ والمسـاعادات الإنسانية، وبلغت موازنة الخطة 50 مليون دولار لمدة أربع سنوات.

تميزت كل هذه الخطط بالتحضير لها من أعلى وتعاملت مع المقدسيين كفئات مستهدفة أكثر مما هم شركاء، فيما ركزت على القطاعات فقط دون مشاركة المجتمعات المحلية المقدسية.

إلى جانـب هـذه الخطط، فقد جـرت محاولة من دائـرة القـدس في «م.ت.ف» لإعداد خطة

(1) ديوان الرئاسة الفلسطينية وحدة القدس، الخطة الإستراتيجية للتنمية القطاعية في القدس الشرقية، 2010. ديوان الرئاسة الفلسطينية وحدة القدس وجامعة القدس، الخطة الإستراتيجية للتنمية القطاعية في القدس الشرقية، 2018.

(2) السرخي، 2013.

(3) مؤسسة التعاون، يا قدس نعبر أسوارك، 2007 - 2008.

(4) منظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار(بكدار) 2012. إنها القدس: الخطة الإستراتيجية لتنمية مدينة القدس العربية، 2012.

(5) منظمة التحرير الفلسطينية، 2012.

إستراتيجية للقدس تمزج ما بين التخطيط للقطاعات وبين التخطيط للمجتمع والفئات المحلية المقدسية، على أن هذه الإستراتيجية لم ترَ النور، ومعها خطة أخرى جرى العمل عليها من أجل تثبيت الوجود الفلسطيني في فلسطين والقدس[1].

ومع منتصف عام 2017 نشأت فكرة لدى جامعة القدس بالتعاون مع وحدة القدس في مكتب الرئاسة من أجل إنشاء «منصة إلكترونية» تحتوي على معلومات شاملة عن مواقع محافظة القدس كافة (49 موقعًا شاملة للقرى وأماكن السكن الواقعة أيضًا خارج حدود بلدية القدس «الإسرائيلية» للمدينة، واحتياجات قطاعات وفئات هذه المواقع، ولا زال العمل على إنشاء هذه المنصة قائمًا على أن ترى النور في وقت لاحق.

تعاني المدينة من تعدد المرجعيات الفلسطينية المعينة من أعلى، وتبعثر عملها، علمًا أنها يجب أن تعمل كلها تحت إشراف اللجنة السياسية العليا للقدس التي يرأسها الرئيس محمود عباس، وهي لجنة تشمل ممثلين عن كل هذه المرجعيات، وتشمل المرجعيات الخاصة بالقدس كلًّا من:- دائرة القدس في «م.ت.ف». وحدة القدس في مكتب الرئيس ومهمتها فنية وتقوم بإعداد الخطة الإستراتيجية للمدينة، وزارة شؤون القدس وتقوم بمتابعة القضايا اليومية والمشكلات الطارئة، المؤتمر الوطني الشعبي للقدس وهو جسم تمثيلي شعبي يتبع منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة القدس في المجلس التشريعي ومهمتها تشريعية، محافظة القدس لمعالجة قضايا الأمن والنظام العام في المدينة، اللجنة الإسلامية- المسيحية لمدينة القدس، لتعزيز الإخاء الإسلامي- المسيحي في المدينة، وبيت الشرق. وقد صدر مرسوم رئاسي في 18 آذار 2019 أخضع المؤتمر الوطني الشعبي وبيت الشرق لدائرة القدس في «م.ت.ف».

إضافة لهذه المرجعيات هنالك أيضًا جسم إداري لا يمثل مرجعية وهو «أمانة القدس» المنتخبة عام 1963 والتي أعاد الرئيس ياسر عرفات تعيينها عام 1998، وكرر ذلك الرئيس محمود عباس عام 2012، وقرر المجلسان الوطني والمركزي إعادة إحيائها وفق صيغة تمثيلية وديمقراطية، وذلك في دورتيهما لعام 2018. وتمثل الأمانة القدس في اتحادات العواصم والمدن العربية والعالمية، فيما لا تستطيع القيام بدورها على الأرض نظرًا لحلها عام 1967 بطريقة غير شرعية من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وما تبع ذلك من سيطرة البلدية «الإسرائيلية» على القدس الشرقية رغم المقاطعة الدائمة لانتخاباتها الدورية من قبل فلسطينيي القدس، وتخضع الأمانة للمتابعة من قبل المؤتمر الوطني الشعبي للقدس.

(1) منظمة التحرير الفلسطينية مركز التخطيط الفلسطيني، محاضر ورشات عن أمانة القدس، 2016أ. ومنظمة التحرير الفلسطينية، دائرة القدس الخطة الإستراتيجية للقدس (وثيقة غير منشورة) 2016ب.

كـما سـيتبين أدناه فـإن بناء السـيادة في القدس الشرقية وفلسـطين يمكـن أن يتم من خلال تكامـل الأدوار بـين بنائها من أعلى من قبل السـلطة والهيئات الرسـمية الفلسـطينية، وبين بنائها من أسفل وبالمشاركة المتكاملة بين هاتين المقاربتين، وهو الأمر الذي لم يتيسر في قسم من الحالات، مما أثر سـلبًا على وصول الكفاح الفلسـطيني إلى حالة الاسـتقلال السـيادية، وبالتالي اقتصار ممارسـة السـيادة على مجرد تثبيـت الوجود الوطنـي والحيلولة دون اختراقه كليّةً من قبل نظام السـيطرة الصهيوني القائم. وسيسـلط المحور التالي الأضواء على مراحل عمل الحركات الاجتماعية في القدس الشرقية، حيث لم تشهد هذه المراحل تكاملًا في عملها مع الجهات الرسمية الفلسطينية سوى في فترات محدودة.

المحور الثاني
مراحـل عمل الحـركات الاجتماعيـة ومسـيرة تنمية وبناء السـيادة في المجتمع المحلي المقدسي

إذا عدنـا كتمهيـد إلى فـترة الحكم الأردني للضفـة الغربية والقدس الشرقيـة، نجد أن تنمية المجتمـع المحـلي قد قامت خلال تلـك الفترة (1948– 1967) على كاهـل المجالس المحلية أكثـر ممـا هو على عاتـق حركـات اجتماعية منظمـة، كما اعتمـدت على التعـاون الاجتماعي التطوعي الذي كان يطلق عليه اسم «العونة». وعمل مجلس محلي منتخب في ذلك الوقت في مدينة القدس التي كانت لا تتجاوز مسـاحتها ستة كيلومترات مربعةً، وسمي هذا المجلس بـ»أمانة القدس»، علمًا أن أول بلدية للقدس قد تم تشكيلها إبان الحكم العثماني عام 1863. وقد بقيت أمانة القدس قائمة حتى عام 1967، حيث قامت سـلطات الاحتلال الإسرائيلي بحلّها، ولكن السلطة الوطنية الفلسطينية أعادت إحياءها كما سبق ذكره.

أمـا في القـرى المحيطة بالقدس، فقد نشأت أيضًا مجالس محليـة منتخبة في بعض القرى مثل الطور والعيسـوية وبيت صفافا، وصور باهر، وشعفاط، وعناتا، وبيت حنينا. وقامت هذه المجالـس بتنفيذ مسـؤوليات خدماتيـة، إضافة لتطويـر البنية التحتية في قراهـا، وفي القرى الأخرى المحيطة بالقدس عينت الحكومة الأردنية مخاتير، اقتصر عملهم على تأمين الارتباط بين الحكومة الأردنية والمواطنين فيما يتعلق بتقديم الخدمات الحكومية لهم[1].

وترافق هذا التشكيل المحلي، مع ممارسـة المقدسـيين للعونة، وذلك كجزء من إرث الشعب الفلسـطيني التاريخي القائم على التعاون في بناء البيوت وإقامة المسـاجد، الكنائس، وشـق

(1) القطب، 1997.

الطـرق، وقطـف الزيتـون.. وهكذا، وكانـت «العونـة»[1] تترافق مع تقديـم التبرعات من الأهالي لدى السـعي لتوفير مرافق عامة كشق شـارع، أو توفير باص للقرية، أو بناء مسجد أو كنيسة وهكذا.

ولم تشهـد فـترة الحكم الأردني انبثاقًا واسـعًا لمنظـمات المجتمع المـدني، أو منظمات المجتمع المحـلي، أي إن البنـاء المؤسـسي كـان ضعيفًـا، ولذا فقد اقتـصرت التشكيـلات الاجتماعية النوعية حينذاك على أشكال غير مؤسسية مثل لجان الإصلاح التي كانت تتشكل من وجوه العشائر، وتقوم بحل النزاعات في المجتمع.

بالانتقـال إلى مرحلة الاحتلال «الإسرائيلي» منذ عام 1967 وحتى اليوم، نجد أن الحركات الاجتماعية لبناء السـيادة وتنمية المجتمع المحلي المقدسي من أجل بناء السـيادة الفلسـطينية قـد مـرت بمرحلتـين كبريين، ركزت خلالهـما على الكفـاح الوطني العام حتـى عام 2001 ثـم الكفاح التنموي المحلي بعـد ذلك وحتى اليوم، وقد تمت تجزئـة المرحلة الأولى إلى أربع فـترات فرعيـة أدنـاه هي مراحـل: تثبيت الوجـود، فتعزيز الصمـود، فالفعـل الانتفاضي، وأخـيرًا تشكيـل مؤسسـة رسـمية في القدس[2]، أمـا المرحلـة الثانية أعلاه فهـي مضمنة في المرحلة الخامسة من العرض التالي:

الفرع الأول: الحركات الاجتماعية والكفاح الوطني العام (1967- 2001)

الفترة الأولى: (1967– 1974) مرحلة تثبيت الوجود

في بداية هذه المرحلة قام الاحتلال بحلّ أمانة القدس المنتخبة عام 1963، وتوسـيع حدود القـدس الشرقية مـن (6)كم^2 إلى (72)كم^2 عبر ضـم مناطق من الضفـة الغربية إليها، وكما أعلـن الاحتلال القدس كعاصمة موحدة لدولة إسرائيل وذلك يوم 28/ 6/ 1967، وذلك عبر إقرار سريان القوانين الإسرائيلية عليها.

(1) برنامج متطوعي هيئة الأمم التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، العونة دليل مؤسسات العمل التطوعي في الأراضي الفلسطينية، 2003.

(2) آن لاتندرس، المقاومة الفلسطينية والتغيير المدني في القدس الشرقية -1967 1994، (القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية / باسيا، 1995).

Walid Salem, Jerusalem: Monitoring Report and a Human security Community Based Agenda for Change. Jerusalem: The Center for Democracy and Community Development, 2010.

كانـت هـذه المرحلة مرحلة كفاح وطني أولى هدفت لتحقيق السـيادة الدنيا من أسـفل عبر الكفـاح من أجـل تثبيت الوجود الفلسـطيني في القـدس، فخاضت الحركـات الاجتماعية إضرابـات أدت للحفـاظ عـلى المنهـاج الأردني في مـدارس القـدس، كما اسـتطاعت حماية الأوقـاف الإسـلامية والمسـيحية ومؤسسـات القـدس الاقتصاديـة والمدنيـة مـن سـيطرة الاحتلال عليها.

ترافقـت هـذه الكفاحات مع طفـرة في العمل التطوعي منـذ مطلع السـبعينيات من القرن الماضي، حيث تشكلت لجان العمل التطوعي على أسـاس رابطة المواطنة ووفق معايير تيللي للحركـات الاجتماعيـة (انظر/ ي القسـم الأول) في مختلـف مناطق القـدس، وقامت هذه اللجـان بتأدية مهـمات خدماتية، وكذلك بإنجـازات في مجال البنية التحتيـة، كما أنها قامت بـأدوار لرفـع مسـتوى الوعي الوطنـي في المدينة، وشـهد نـادي «الغد» في جمعيـة الشابات المسـيحية ونـادي الموظفين وغيرهما نـدوات ثقافية كانـت تشهد نقاشـات حامية الوطيس حول السبل الأفضل للتخلص من الاحتلال. وقد اعتمد التمويل للنشاطات التنموية على الإمكانيات المحلية وحسب، وذلك من خلال التمويل الذاتي للمشاريع عبر التبرعات.

شـهدت هذه المرحلـة الأولى كفاحًا سياسـيًا أيضًا من خلال تشكيل الجبهـة الوطنية ولجنة التوجيه الوطني في القدس لتقود للكفاح على مستوى كل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، أي إن القدس كانت تلعب دورًا مركزيًّا في إدارة الكفاح الوطني الفلسطيني في تلك الفترة[1].

الفترة الثانية 1974– 1987: من تثبيت الوجود إلى تعزيز الصمود

استمر الكفاح الوطني خلال هذه المرحلة عبر نشاطات العمل التطوعي، وأشكال العونة، كـما اسـتمرت بعـض المجالس المحلية سـابقة الذكـر في العمـل. وفي المقابل بـرزت بعض التطـورات الجديـدة خلال هذه المرحلـة على التوجهـات الكفاحية الوطنيـة وبرزت بذور التوجـه لتنميـة المجتمع المحـلي المقدسي، حيث ظهـر كل من الدعم العـربي والأجنبي، كما بدأت تظهر تشكيلات مؤسسية مجتمعية جديدة في المدينة.

تركـز الدعـم العربي من خـلال اللجنـة الأردنيـة والفلسـطينية المشتركة التي تأسسـت في منتصـف السـبعينيات من القرن المـاضي وأشرفت على تلقي الدعم للقدس وفلسـطين من الجهات العربية والإسـلامية، وقامـت بصرف الأموال لمشاريع تهـدف إلى تعزيز الصمود،

(1) تراكي 1990 وحليلة 1991.

وذلك على شاكلة مشاريع الإسكان والبنية التحتية، ولم تحظَ الزراعة بالدعم الكافي من اللجنة، أما الدعم الأجنبي، فقد بدأ من خلال مبالغ محدودة بدأت ترصدها الوكالة الأميركية للتنمية (مليون دولار فقط) عام 1975 مثلًا، هذا إضافة لمشاريع منظمات الأمم المتحدة على شتى أنواعها[1]. مثل هذا الدعم، إما محاولة لبناء السيادة في القدس من أعلى (مثل دعم اللجنة المشتركة) وإما محاولة لتحسين أحوال معيشة الفلسطينيين تحت الاحتلال (مثل دعم وكالة التنمية الأميركية).

تأسست خلال هذه الفترة الأطر الجماهيرية الشبابية والنسائية والعمالية، وذلك كحركات جذور، فنشأت حركة الشبيبة، وجبهة العمل، وكتلة الوحدة، وكتلة الاتحاد التقدمي وغيرها ككتل تنافسية ذات طابع مواطني وعضوية وهدف حسب معايير تيللي (انظر/ ي المحور الأول) مرتبطة بالفصائل السياسية الفلسطينية تعمل في ميدان الكفاح السياسي ضد الاحتلال من جهة، وفي ميدان خدمة المجتمع من خلال العمل التطوعي وتقديم الخدمات من جهة أخرى، وقد فتحت هذه الأطر الباب أمام ظهور التوجه نحو المهنية في العمل، وما ترافق مع ذلك من توجه نحو التدريب وبناء القدرات للعاملين النشيطين في المجتمع المحلي وقطاعاته، وطرأ ارتفاعٌ واسعٌ أيضًا على عدد الأندية الشبابية خلال هذه المرحلة، كما نشأت وتطورت حركات كشفية جديدة[2]. وأسس هذا النهوض للأطر الجماهيرية لاندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987 ولمشاركة المقدسيين الواسعة فيها.

الفترة الثالثة: 1987– 1993 الانتفاضة من الصمود إلى الفعل الوطني الكفاحي

كانت هذه مرحلة ثالثة للكفاح الوطني، حيث يعود الفضل للانتفاضة الفلسطينية الأولى بأنها حفزت تشكيل لجان قاعدية مجتمعية ذات مهمات ومسؤوليات مختلفة، عمّقت انتشار الحركات الاجتماعية في مختلف أحياء القدس، واستمرت بعض هذه اللجان بالعمل حتى اليوم.

خلال الانتفاضة اتخذت هذه اللجان أشكالًا ملائمة لها، كالفرق الضاربة، ولجان الحماية، ولجان الإسعاف، ولجان التموين، وغيرها، كما تشكلت لجان للتعليم الشعبي في ظل إغلاق المدارس والجامعات من قبل سلطات الاحتلال واللجان الشعبية التي قامت بحل المشاكل الاجتماعية، وقامت مبادرات لاستصلاح الاراضي، ونشأت حركة مقاطعة المنتوجات

(1) الملتقى الفكري العربي. مؤتمر التنمية من أجل الصمود، القدس (1984).

(2) حليلة، 1991

الإسرائيلية وتوفير بدائل وطنية لها وهكذا[1]. وكل هذه نشأت بناء على المعايير العامة التي قدمها تيللي آنفًا.

تعزز التوجه إلى تنمية المجتمع المحلي، في إطار الكفاح الوطني خلال هذه المرحلة. وطرأ توسع إضافي خلال هذه المرحلة على النوادي الشبابية، أما الأطر السياسية السابقة فقد أخلت مكانها للجان الشعبية للانتفاضة وشاركت الحركة الإسلامية في إنشاء هذه اللجان، فيما اقتصر إنشاؤها في الفترة السابقة على فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

خلال هذه المرحلة تأسست «جمعية الدراسات العربية» برئاسة القائد الراحل فيصل الحسيني عام 1985، وسرعان ما تشكل بيت الشرق حول هذه الجمعية ليكون مقرًا للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة في كل الوطن، ومقرًا للقيادة المقدسية المحلية من جهة أخرى. وطرح بيت الشرق صيغة الشركة المساهمة لكل مواطني القدس، حيث يشكل مجلس إدارتها المنتخب بلدية غير رسمية للمدينة، كما بدأ بيت الشرق بإعداد الخطط القطاعية للقدس منذ عام 2003.

أي إن الحركات الاجتماعية في القدس قد مزجت خلال هذه المرحلة بين الكفاح الوطني وتعزيز الصمود والبدء بالتنمية من أجل البناء في المجتمعات المحلية المقدسية، وترافق ذلك مع استمرار القدس في لعب دورها في قيادة الكفاح الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال.

الفترة الرابعة: 1993– 2001 محاولات بناء وجود رسمي فلسطيني مستقل في مدينة القدس

أدى فعل الانتفاضة خلال المرحلة السابقة إلى مفاوضات مدريد 1991 واتفاق أوسلو 1993 اللذين ترتب عنهما تكرس بيت الشرق، كمؤسسة فلسطينية رسمية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية في القدس، وذلك رغم تأجيل اتفاقية أوسلو لعام 1993 لموضوع القدس إلى المفاوضات النهائية. إلا أن الحكومة الإسرائيلية قد أغلقت بيت الشرق عام 2001 منتهكة تعهد بيريز لهولست المذكور آنفًا.

حاولت مؤسسة بيت الشرق، خلق وجود فلسطيني مؤسسي رسمي في مدينة القدس يبني السيادة من أعلى، حيث عمل بيت الشرق بما يشبه وزارة خارجية فلسطينية تلتقي الرؤساء والوزراء الأجانب في مقرها وفي فنادق القدس لدى قيامهم بزيارة فلسطين. وإلى جانب

(1) مجموعة باحثين، الانتفاضة مبادرة شعبية دراسة لأدوار القوى الاجتماعية، رام الله: بدون دار نشر، 1990

هذا الدور الرسمي قامت المؤسسة بإنشاء هيئة وطنية للقدس[1]، كما سبق ذكره. إلا أن هذه الهيئة لم تخلق مشاركة فعالة للمقدسيين في أنشطة الانتفاضة الثانية عام 2000، حيث ترتب ذلك عن إحباط المقدسيين من تأجيل اتفاق أوسلو لموضوع القدس إلى مرحلة المفاوضات النهائية.

وفيما جاء جهد بيت الشرق لتنظيم القطاعات المقدسية ليتخذ شكلًا وطنيًا مؤسسيًا، إلا أن جهود بيت الشرق لحماية المجتمعات المحلية من هدم البيوت ومصادرة الأراضي والتوسع الاستيطاني الاستعماري قد اتخذ طابعًا وطنيًا مجتمعيًا مع التعاون مع الحركات الاجتماعية الفاعلة على الأرض. واقتصرت الجهود في هذا المجال على ما كان يفعله فيصل الحسيني وبعض لجان الدفاع عن الأراضي، يضاف إلى ذلك الدعم المالي من قبل مؤسسة الرئاسة (الرئيس ياسر عرفات).

خلال هذه المرحلة، أعاد الرئيس ياسر عرفات أيضًا تشكيل أمانة القدس عام 1998 لتكون شكلًا رسميًا آخر لبناء السيادة على القدس من أعلى ولتلعب دورًا في تمثيل القدس خارجيًا وقد انتهت هذه المرحلة مع اندلاع الانتفاضة الثانية، ثم وفاة فيصل الحسيني، وتمخض عنها انتقال مركز الثقل في قيادة العمل الوطني الفلسطيني بشأن القدس إلى رام الله.

مثلت هذه المرحلة الرابعة نهاية لنوع العمل الوطني السابق في مدينة القدس، حيث تم التركيز في المراحل السابقة على تثبيت الوجود، فالصمود، فالفعل الانتفاضي، ثم نشوء مؤسسات رسمية في القدس تم إغلاقها لاحقًا من قبل الاحتلال.

الفرع الثاني: 2001– 2017: المجتمعات المحلية المقدسية ومحاولات الاعتماد على الذات

مع إغلاق بيت الشرق وما ترتب عنه من تراجع العمل الوطني الميداني لاستعادة السيادة على القدس من داخلها وانتقال مركز القيادة الفلسطينية بشأن القدس إلى رام الله، فقدت القدس مركزيتها فلسطينيًا من جهة، كما فقدت قيادتها المقدسية العامة من جهة أخرى. أما الواقع البديل الذي نشأ عن ذلك فقد تمثل في انتقال القيادة في الواقع المقدسي إلى المواقع المحلية، وذلك للتعويض عن غياب القيادة المقدسية العامة. كان لهذا التطور انعكاسات سلبية وأخرى إيجابية.

ففي الجانب السلبي، حلّت النزعة المحلية ونشأت الخصوصيات المناطقية والانقسامات

(1) حلبي، 2007.

الجهوية والعشائرية والزبائنية محل الانتماء الوطني العام، وترتب على ذلك نزاعات وسيطرة للأجندات المحلية وتنافس فيما بينها على حساب تطوير أجندة عامة للقدس، وإلى جانب ذلك فقد فقدت القدس حضورها الدولي الذي كانت تملؤه الشخصية الملهمة لفيصل الحسيني.

لم تعتمد الحركات الاجتماعية المحلية من قبل التمويل الدولي، حيث اعتاد المانحون الغربيون على واقع «إسرائيلية» القدس، المؤجل موضوع التفاوض بشأنها إلى مرحلة «المفاوضات النهائية». ورغم أن هذه المفاوضات لم تنتهِ كما كان مقررًا أيضًا عام 1999، فقد استمر المانحون بعد عام 1999 في تجاهل تقديم الدعم لتنمية المجتمعات المحلية بذريعة أن هذا الدعم مؤجل إلى أن تتم المفاوضات وتستكمل بعودة القدس الشرقية إلى فلسطين. وإلى حين ذلك يقول لسان حال المانحين الغربيين: لماذا ندخل في صدام مع «إسرائيل» من خلال بوابة دعم الفلسطينيين المقدسيين. وقد عبّر المانحون بذلك عن سياسة نيوكولونيالية أعطت الأولوية للموازين القوى القائمة على الأرض لصالح «إسرائيل» ممولة مشاريع إنسانية فحسب لا تشكل تهديدًا لنظام السيطرة «الإسرائيلي» في المدينة.

عبّر توجه المانحين الغربيين عن نفسه بطرق مختلفة، وبالنسبة لوكالة الدعم الأميركية فهي ترفض تقديم أي دعم مباشر لمشاريع في القدس الشرقية، إلا إذا كانت جزءًا من مشاريع موجهة لفلسطين بشكل عام. أما أوروبا فقد رصدت 10 ملايين دولار سنويًا منذ عام 2010 لدعم مشاريع في القدس تهدف رسميًا إلى دعم صمود الفلسطينيين في المدينة، ولكن قلة مبالغ الدعم وتوجيهه بشكل خاص للمؤسسات الأوروبية العاملة في المدينة يجعل تأثيره على إحداث تغيير في واقع المدينة محدودًا، وإلى جانب ذلك، هنالك دعم محدود من مؤسسات الأمم المتحدة في المدينة ومن بعض الدول الأوروبية.

ومقابل الدعم الغربي المتآكل، بقي هنالك دعم عربي وإسلامي متنامٍ عبر البنك الإسلامي والصناديق العربية والإسلامية ووكالة بيت مال القدس، وتركيا وقطر والإمارات العربية، قسم من هذا الدعم يذهب للإسكان وبناء المدارس وترميم العقارات، إلا أن قسمًا آخر منه يذهب إلى نشاطات اجتماعية وخيرية، ويفتقر هذا الدعم إلى وجود موازنات ثابتة وواضحة وتتحكم فيه الأجندات السياسية، لذا فهو لا يبني تنمية متكاملة للمجتمع المحلي في القدس، إذ إن تركيزه هو على دعم القطاعات دون أن يقوم بجهود جدية لبناء مشاريع جدية تتصدى للاستيطان الاستعماري وتهويد وأسرلة الأرض.

مثّل غياب الدعم وتبعثره عاملًا لدفع المجتمعات المحلية المقدسية للاعتماد على ذاتها في تطوير حصانتها ضد الاختراقات «الإسرائيلية» ورفضها والتصدي لها، كما حدث بعد استشهاد الطفل محمد أبو خضير عام 2014 وانتفاضة بوابات الأقصى عام 2017 وكذلك ساعدها غياب الدعم على شق طريق جديدة للحفاظ على بقاء الشعب الفلسطيني في مدينة القدس من خلال التنمية المحلية المعتمدة على توفير التمويل الذاتي رغم نقص المدخرات والإمكانيات لمشاريع محلية.

يمكن لهذا الاعتماد على الذات أن يؤسس للتشبيك بين اللجان والهيئات الفاعلة في المجتمعات المحلية المختلفة، وذلك على طريق إنشاء قيادة تشاركية جماعية تتعلم من التجربة السابقة وينخرط فيها كل الناشطين والفاعلين في المجتمعات المحلية على قدم المساواة. على أن هذا لا يزال يمثل مشروعًا للمستقبل، وإن كانت أنويته وبراعمه قيد التشكيل، وذلك من خلال محاولات مختلفة، منها محاولة إعادة إحياء دور «أمانة القدس» على الأرض عام 2016 وذلك في فترة الانتخابات للهيئات المحلية الفلسطينية، وكجزء من فكرة شمولية القدس الشرقية في تلك الانتخابات، كانت الفكرة حينها كما ظهرت في ندوات ومقابلات نظمها كاتب هذا البحث باختصار هي أن يُصار لعقد مؤتمر تمثيل مقدسي موسع يقوم بانتخاب أمانة القدس تتولى المسؤوليات التنموية في المدينة، أو أن يُصار إلى انتخاب أو اختيار، حيث يتعذر انتخاب شخوص من مجتمعات القدس المحلية المختلفة كل في موقعه ثم تجميعها معًا في مجلس جديد لأمانة القدس، على أن يضاف لهذا المجلس الباقون على قيد الحياة من مجلس أمانة القدس الذين انتخبوا في انتخابات الأمانة التي عقدت لآخر مرة عام 1963 (انظر/ ي الخاتمة).

استنتاجات وآفاق

كما تبين من البحث، فقد نشأت الحركات الاجتماعية في القدس منذ سنوات الاحتلال الأولى من القرن الماضي على شكل اتحادات معلمين ولجان عمل تطوعي، وفي أواخر الستينيات والسبعينيات اقتصر العمل على المحور الوطني الكفاحي بشكل أساس، تم ذلك من خلال أفعال اجتماعية كفاحية قادتها مؤسسات مثل كفاح الأوقاف الإسلامية والمسيحية للحفاظ على استقلاليتهما من تدخلات الاحتلال، وكفاح المعلمين كمؤسسة تمثيلية المبكر في نهاية الستينيات من القرن الماضي لمنع فرض المنهاج „الإسرائيلي" على مدارس القدس، وتشكل الجبهة الوطنية ولجنة التوجيه الوطني في القدس، إضافة إلى لجان العمل التطوعي التي يمكن اعتبارها كنويّات للحركات الاجتماعية التي نشأت بعد ذلك. في هذه الفترة تم

بناء السيادة بدرجتها الأدنى في القدس الشرقية، أي كتثبيت للوجود الوطني الفلسطيني ومؤسساته في القدس.

في الثمانينيات من القرن الماضي، نشأت الحركات الاجتماعية، وذلك على شكل اتحادات جماهيرية تابعة للفصائل الفلسطينية، حيث شكل كل فصيل حركاته النسوية والعمالية والطلابية والشبابية. ونشطت هذه الحركات بشكل تنافسي وكان لكل منها عضوية وهدف والتزام حسب معايير تيللي (انظر/ ي المحور الثاني). وساهمت هذه الحركات في الانتفاضة الأولى، والتي خلالها شهدت القدس بعض التعاون بين أسفل (الحركات الجماهيرية) وبين أعلى (ممثلًا ببيت الشرق بقيادة فيصل الحسيني) لبناء السيادة معًا في القدس من خلال أعمال كفاحية شارك فيها الجميع ضد الاحتلال على طريق الاستقلال الوطني كدرجة ثانية لبناء السيادة على القدس الشرقية (انظر/ ي المحور الثاني). قبل ذلك كانت الفعاليات من أجل حفظ السيادة قطاعية نخبوية فقط (كالأوقاف والمعلمين مثلًا)، كما طلبة المدارس في كفاحات عفوية.

وكانت فترة الانتفاضة الأولى هي الفترة الوحيدة للتعاون بين أعلى وأسفل، حيث اجتمعت قيادة القدس في الميدان مع فئات القدس (كالشباب مثلًا) وقطاعات القدس (كالصحة والسياحة والتعليم والأوقاف وغيرها)، ولجان مختلف المجتمعات المحلية المقدسية معًا. كل هؤلاء اجتمعوا في الميدان للكفاح ضد الاحتلال من جهة، ولتحقيق التنمية من أسفل من أجل تعزيز البقاء والصمود للإنسان المقدسي على أرضه. أي تم الجمع بين الكفاح الوطني وبين تنمية المجتمع المحلي كأساسين لبناء السيادة على الأرض.

على أن هذا الجانب لبناء السيادة الفلسطينية في القدس بالتعاون بين أسفل وأعلى، قد اصطدم في حينه بعدة عوامل أدت إلى انهيار هذا التعاون:

تعود أولى هذه العوامل إلى انسحاب مركز القيادة الوطني بشأن القدس تدريجيًّا من القدس إلى رام الله. أما ثاني هذه العوامل فيتعلق بالتخطيط للقدس على أنها تتمثل بالقطاعات فقط، وليس القطاعات والمجتمعات المحلية التي تعاني من الاستهداف المباشر على أشكال مصادرة للأراضي، وهدم للبيوت وتهجير للسكان. وقد أدى ذلك إلى خلق فجوة بدأت تتسع بين القيادة وبين المجتمعات المحلية المقدسية، وبين هذه الأخيرة وبين القطاعات التي صارت تحصل على فرص التمويل العربي والدولي وحدها دون المجتمعات المحلية.

ثالث العوامل تمثل في تحول الحركات الاجتماعية إلى المهنية والمأسسة، ما أدى إلى تطورها

إلى مؤسسات معتمدة على المنح الخارجية، وتعمل وفق أجندة المانحين، وبالتالي انفصالها عن قواعدها الاجتماعية السابقة وتحولها إلى الخدمات. ومن المفارقة أن هذه المؤسسات الناشئة قد سمّت ما فعلته بأنه تعزيز للمجتمع المدني الفلسطيني، ولكن ما فعلته في الواقع لم يكن سوى تجويف للمجتمع المدني، حيث جرّدته من قاعدته الجماهيرية، كما أفقدته بعده السياسي الكفاحي وطنيًّا ومجتمعيًّا في ظل انتقال التركيز إلى البرامج المهنية البحتة. ورابع هذه العوامل هو تقلص التمويل للقدس في ضوء تأجيل موضوع القدس للمفاوضات النهائية، وتوجه التمويل الضئيل إلى القطاعات المهنية فقط درءًا للصدام من قبل المانحين مع الاحتلال فيما لو تم تمويل برامج لدعم السيادة الفلسطينية من أسفل.

شهدت مرحلة ما بعد توقيع اتفاق أوسلو أيضًا إعداد خطط رسمية للقدس، وكان حظ هذه الخطط محدودًا تطبيقيًّا، وذلك بسبب تردد المانحين في إغضاب „إسرائيل"، وكذلك بسبب عدم إشراك المجتمعات المحلية في التخطيط والتنفيذ لهذه الخطط. فوق ذلك شهدت مرحلة ما بعد أوسلو إنشاء مرجعيات رسمية لمتابعة الوضع المقدسي وذلك وفق أسلوب التعيين.

رغم كل ما تقدم، فقد شهدت المرحلة منذ الانتفاضة الثانية عام 2000، ورحيل فيصل الحسيني عام 2001، وما تلاه من إغلاق لبيت الشرق ولـ(13) مؤسسة فلسطينية أخرى تابعة لمنظمة التحرير في القدس الشرقية... شهدت هذه المرحلة انتقال الحركات الاجتماعية إلى المحلية، وذلك كتعويض عن تفكك واندثار الحركات الاجتماعية على المستويين الوطني العام والمقدسي العام أيضًا.

وإذ يمثل هذا الانكفاء نحو المحلية نكسةً على حساب البعد الوطني العام في جانبه السلبي، إلا أنه يمكن استثماره لتعزيز المشاركة في صنع القرارات وفي بناء السيادة الفلسطينية في القدس من أسفل وبالتعاون مع أعلى. لتحقيق ذلك تقترح هذه الورقة التمسك بنتائج بحث ميداني أجراه الباحث عام 2016 ونشره العام الماضي حول أمانة القدس[1]، حيث خلص البحث إلى أن أفضل صيغة لبناء السيادة الفلسطينية في القدس في ظل موانع الاحتلال، يمكنها أن تتم من خلال انتخاب/ أو فرز (وذلك حسب خصوصيات كل موقع) لجان مجتمعية فاعلة تنبثق عن الحركات الاجتماعية وممثلي القطاعات والفئات والمجتمعات، وذلك في كل مجتمع محلي مقدسي على حدة، ثم تجتمع هذه اللجان التمثيلية

(1) سالم، 2018ب.

في شبكة واحدة تحدد احتياجاتها التنموية كما وتشكل منها أمانة جديدة للقدس تعمل تحت إشراف «م.ت.ف»، تتولى تلقي الاحتياجات المقدسية لكل المجتمعات المحلية بجوانبها: التنموية لبناء الصمود وتثبيت الوجود، والكفاحية في سبيل استمرار النضال من أجل استقلال القدس كعاصمة لفلسطين، وتقوم بالاعتماد على الجهود والمساهمات المحلية وتنسيق دعم «م.ت.ف» والسلطة الوطنية الفلسطينية ووزاراتها للقدس، كما تقوم بالتوأمة الفعالة لمجتمعات القدس المحلية مع نظيراتها في مدن العالم. فبهذه الطريقة ينشأ أعلى (أي أمانة القدس) بالمشاركة من قبل المجتمعات المحلية من أدنى، ويعمل معها بشكل متضافر لتحديد احتياجاتها ولتلبيتها من المصادر المحلية والعربية والدولية، كما يشحذ استعداداتها لمواجهة إجراءات الاحتلال ومستوطنيه الاستعماريين على كل المستويات القانونية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والتنموية والكفاحية الميدانية.

تتيح هذه الفكرة إعادة بناء وتفعيل الحركات الاجتماعية ودورها لإعادة بناء القدس، واستعادة مركزيتها لفلسطين والتي فقدتها منذ مطلع الألفية الثانية، وبهذا يمكن إعادة دمج الخصوصية المقدسية في إطار فلسطيني شامل قائم على التنوع، وذلك بديلًا عن الخصوصيات المتشرذمة. ومن الواجب أن يتبنى المجتمع العربي والإسلامي والدولي توجهات أخرى ترمي إلى دعم وبناء الوجود الفلسطيني في مدينة القدس، ومكافحة توسع الاستيطان الاستعماري „الإسرائيلي" فيها، ودعم المقاومة اللاعنفية الفلسطينية للاحتلال، وذلك كخطوات على طريق تحقيق استقلال المدينة كعاصمة لدولة فلسطين، لاسيما بعد أن اعترفت الولايات المتحدة بالقدس كعاصمة لـ"إسرائيل" في نهاية عام 2017.

المراجع

كتب

– البرغوثي، مصطفى، وجقمان، جورج. **الحركات الاجتماعية السياسية في فلسطين**، 2000 (بدون دار نشر).

– الرويضي، أحمد. **السياسات والإجراءات في مكتب وزارة الداخلية في القدس الشرقية**. القدس الملتقى الفكري العربي، 2000.

– الشقاقي، خليل. **دراسة لاحتياجات الأمن وحكم القانون في المناطق الفلسطينية المحتلة من الضفة الغربية الواقعة خارج حدود المناطق المسماة أ**. رام الله: المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2017.

– القطب، اسحق. **مجالس الأحياء في القدس العربية**. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية/ باسيا، 1997.

– برنامج متطوعي هيئة الأمم التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي. **العونة دليل مؤسسات العمل التطوعي في الأراضي الفلسطينية**، 2003.

– بشارة، عزمي. **المجتمع المدني: دراسة نقدية**. ط 6.الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

– بورديو، بيير. **العقلانية العملية: حول الأسباب العملية ونظريتها**. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، 2000–2010.

– جمعية الدراسات العربية مشروع الدراسات القطاعية المتعددة للقدس الشرقية. إستراتيجية القطاعات المتعددة للقدس الشرقية، 2003.

– حلبي، أسامة. **بلدية القدس العربية**. ط 2. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية/ باسيا، 2007.

– سالم، وليد. **المواطنة والسلم الأهلي في القدس الشرقية**. القدس: مركز آكت للدراسات والوسائل البديلة لحل النزاعات، 2018.

– عرفة، نور. **تشخيص الموارد الاقتصادية المحلية– القدس**. رام الله: معهد أبحاث السياسيات الفلسطيني/ ماس، 2017.

– لاتندرس، آن. **المقاومة الفلسطينية والتغير المدني في القدس الشرقية 1967–1994**. – القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية/ باسيا، 9951.

– مجموعة باحثين. **الانتفاضة مبادرة شعبية دراسة لأدوار القوى الاجتماعية**. رام الله: بدون دار نشر، 1990.

– منظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار (بكدار) 2012.

إنها القدس: الخطة الإستراتيجية لتنمية مدينة القدس العربية، 2012.

– مارغليت، مائير. إسرائيل والقدس الشرقية استئلاء وتهويد، ترجمة مازن الحسيني منشورات مركز القدس للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2011.

دوريات

– أغازريان، إليز. «المقدسيون وانشطار الهوية: من وحي فرانز فانون» **مجلة الدراسات الفلسطينية**. مجلد 21، عدد 82 (2010).

– تراكي، ليزا. **قبل الطوفان تطور الوعي السياسي في المناطق المحتلة تمهيدًا للانتفاضة 1967–1987**. آفاق فلسطينية عدد 5 (1990).

– حليلة، سمير."ديناميات التنمية البديلة نشوء المنظمات الجماهيرية في الأرض المحتلة وتطورها». **مجلة آفاق فلسطينية**، عدد 6 (1996).

– مجلة الدراسات الفلسطينية. «رسالة شمعون بيريز ليوهان هولست»، مجلد 52، عدد 48 (2001).

– الملتقى الفكري العربي. **مؤتمر التنمية من أجل الصمود**. القدس (1984).

تقارير وخطط

– الأمم المتحدة. **مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية: الأونكتاد. الاقتصاد الفلسطيني في القدس الشرقية: الصمود في وجه الضم والعزل والتفكك**.(2013).

– السرخي، عناد. ورقة سياسات ومبادئ الخطة الإستراتيجية التنموية لمدينة القدس. وزارة شؤون القدس، 2013.

– ديوان الرئاسة الفلسطينية وحدة القدس. الخطة الإستراتيجية للتنمية القطاعية في القدس الشرقية. 2010

– ديوان الرئاسة الفلسطينية وحدة القدس وجامعة القدس. الخطة الإستراتيجية للتنمية القطاعية في القدس الشرقية، 2018.

– مؤسسة التعاون، **يا قدس نعبر أسوارك**، 2007–2008.

– منظمة التحرير الفلسطينية. دائرة القدس الخطة الإستراتيجية للقدس (وثيقة غير منشورة)، (b2016).

– منظمة التحرير الفلسطينية مركز التخطيط الفلسطيني. محاضر ورشات عن أمانة القدس، a2016

English References

Giddens, Anthony. **The Constitution of Society**: **Outline of the Theory of Structuration**. Cambridge: Polity, 1984.

Hiltermann, Joost. **Before the Uprising**: **The organizations and Mobilization of Palestinian Workers and Women in the Israeli Occupied West Bank and Gaza Strip**. Princeton University Press, 1991.

Krasner, Stephen. D. **Problematic Sovereignty**: **Contested Rules and Political Possibilities**. Columbia University Press,2001.

Tilly, Charles. **Social Movements 1768–2004**. London: Paradigm Publishers, 2014.

Touraine, Alaine. **The Post– Industrial Society**. New York: Random House, 1971.

Periodicals

Arafeh, Nur. "Which Jerusalem: Israel`s Little Known Master Plans".Al–Shabaka. org (28.7.2016).

Anderson, Mary B."Understanding Difference and Building Solidarity: A Challenge to Development Initiatives". **Development and Social Diversity**.Oxfam Publication /UK and Ireland (1996).

Cox, R. W. "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory" **Millennium Journal**: Vol.10 No.2 (1981).

Dajani, Mohammed S. Occupation, Not Apartheid– The b Washington Institute for Near East. Fikra Forum, 2017.

Salem, Walid."Jerusalemites and the Issue of Citizenship in the Context of Israeli Settler Colonialism" Journal of Holy Land and Palestine Studies, Vol.17 No 1(May 2018a).

– Jerusalem:**Monitoring Report and a Human security Community Based Agenda for Change**. Jerusalem: The Center for Democracy and Community Development, 2010.

– "The East Jerusalem Municipality, Palestinian Policy Options and Proposed in Alternatives".In **Jerusalem Quarterly**, No. 74 (2018b).

القدس في الخطاب السياسي عند بنيامين نتنياهو
وانعكاساتها على نتائج الانتخابات الإسرائيلية

د. رانيا فوزي

باحثة مصرية متخصصة في علم النص وتحليل الخطاب الإسرائيلي

مقدمة

يعد التاريخ اليهودي القديم تاريخًا متواضعًا سياسيًا، حيث لم يستطع اليهود عبر تاريخهم القديم أن يكونوا قوة سياسية ذات أثر يذكر في تاريخ الشرق الأدنى القديم[1]

فهذا التصور اليهودي للقدس ومكانتها وتاريخها في التراث والأساطير الصهيونية التي تأسست عليها دولة الاحتلال، ترسخت على أساس أن تظل القدس عاصمة العقيدة اليهودية، حيث لا ترى الأساطير الصهيونية أي وجود حقيقي لـ(إسرائيل) دون القدس، ولذلك يعمل الاحتلال على تهويدها باستمرار من حيث المكان والزمان إلى جانب المحاولة لاغتيال فكرة القداسة لمدينة القدس من قلوب أبناء المسلمين.

ولذلك تحتل القدس أهمية بالغة في الخطاب السياسي الإسرائيلي، فالأكاذيب المترسخة في وجدان العقل اليهودي إزاء عبرية المدينة غالبًا ما تستند إلى المرجعية الدينية لشرعنة احتلالها، حيث تزعم بعض المصادر اليهودية أن أول لقاء جرى بين العبرانيين وأورشليم كان منذ نحو أربعة آلاف سنة أو ما يناهز 2600 سنة قبل ميلاد الإسلام، وذلك في سياق قصة

(1) محمد خليفة حسن: التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم،د.ن، 2000، ص 27.

تقييد إسحاق نجل سيدنا إبراهيم عليهما السلام، حيث ورد في سفر التكوين الإصحاح (22:1–2): 1 وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» 2 فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»، ووفق تفسير الآيات تشير أرض جبل المريا في اليهودية إلى الأرض التي أقيم عليها الهيكل الأول على أيدي الملك شلومو أحد ملوك مملكة إسرائيل(1).

احتلت إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية عقب حرب الأيام الستة في 1967. كما ضمت إسرائيل القدس في 1980 وأعلنتها عاصمتها الأبدية والموحدة، في خطوة لم يعترف بها المجتمع الدولي وأيضًا الولايات المتحدة، فيما أضاف قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب في السادس من كانون الأول/ ديسمبر 2017، بشأن نقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس، مزيدًا من المكاسب لصالح دولة الاحتلال لطمس الملامح العربية لمدينة القدس وتهويدها واتخاذها عاصمة أبدية لهم(2).

ومن هذا المنطلق، تكمن أهمية تحليل مكانة القدس في الخطاب السياسي الإسرائيلي عند رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المنتهية ولايته، وذلك للوقوف على مضامين الخطاب الإسرائيلي الظاهر والمسكوت عنه، وكذلك المقاصد السياسية من وراء الخطاب، إلى جانب رصد البعد الزماني والمكاني لتوجيه الخطاب ودلالات المصطلحات وإستراتيجيات التأثير والإقناع التي يستخدمها الساسة الإسرائيليون للتأثير في الجمهور المستهدف من سكان القدس لتحقيق مزيد من المكاسب السياسية، خاصة في فترة انتخابات الكنيست.

وقد وقع اختيار الباحثة على عينة من الخطب السياسية الرسمية التي ألقاها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في ذكرى الاحتفال بـ"يوم القدس" الذي يقام رسميًا في تل الذخيرة، وكذلك خلال الاحتفال الذي تقيمه يشيفت ميركاز هراف (المدرسة التلمودية) في ذكرى "يوم القدس"، إلى جانب تحليل مضامين الخطاب الذي ألقاه نتنياهو بمناسبة افتتاح مقر السفارة الأميركية في القدس عام 2018، وقد انحصرت عينة الدراسة خلال الفترة الزمنية من عام 2015 إلى عام 2019، حيث بلغت عدد عينة التطبيق التحيلي (10) خطب سياسية رسمية. فقد وظف نتنياهو خطابه السياسي؛ لترسيخ دعائم حكمه وكسب

(1) آمنون إيشد: وضع القدس سياسيًا، ترجمات مجلة مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الأهرام العدد (163) يوليو 2008، ص87.

(2) ما أهمية القدس التي جعلتها مسرحًا لأطول النزاعات في العالم؟، موقع قناة فرانس 24، نشر بتاريخ 14/ 05/ 2018

مزيـد من الأصوات الانتخابية خاصة بين أوسـاط القطاع الحريدي والمسـتوطنين في محيط مدينة القدس.

وفي ضوء ذلك، اسـتخدمت الباحثة منهج تحليل الخطاب، كونه يستهدف توظيف الرموز اللغويـة، ودلالاتهـا، وتفسـيرها، كما يعد البنـاء المعـرفي والعقائدي في تحليـل الخطاب هو الأساس في عملية التحليل والاستدلال. ويعد تحليل إستراتيجيات الإقناع أحد الأساليب التـي اعتمـدت عليهـا الدراسـة في تحديـد الحجاجية التـي اعتمد عليهـا نتنياهـو؛ لإثبات المقولات والأفكار الواردة في نص خطابه[1].

وتأسيسًا على ماسبق، قسمت خطة البحث إلى المحاور التالية:

أولًا- أيديولوجية الخطاب السياسي الإسرائيلي وسماته.

ثانيًا- الموروث في الخطاب السياسي الإسرائيلي.

ثالثًا- مكانة القدس في الخطاب السياسي عند بنيامين نتنياهو.

رابعًا- انعكاسات خطاب نتنياهو إزاء القدس على نتائج الانتخابات الإسرائيلية.

الخاتمة.

أولًا- أيديولوجية الخطاب السياسي الإسرائيلي وسماته:

يستمد الخطاب السياسي الإسرائيلي محتوى رسالته من رحم الأيديولوجية الصهيونية الذي بـدوره يعـد وليدًا لأكبر جريمـة احتلالية تبلـورت خيوطها في المؤتمـر الصهيوني الأول في "بازل" بسـويسرا، واكتملت ملامحها بعملية الغزو الاحتلالي لأرض فلسـطين حتى إعلان قيام الدولة عام 1948[2].

فقـد غـيّرت الصهيونيـة مـن المعنى العـام لفكرة الخـلاص، وحـورت أيضًا معنى المسـيح المخلص الذي سـيأتي في نهاية الأيام لتنفيذ الخلاص؛ بهدف تنصيب نفسـها باعتبارها فكرة أو رمزًا لخلاص اليهود[3].

(1) محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط5 عالم الكتب، القاهرة 2015، ص ص 449 - 452.

(2) مجدي حماد، الإطار العام للإعلام الصهيوني، الإعلام الصهيوني. أطروحات ومواقف، تأليف نخبة من الباحثين العرب و الأجانب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1986، ص8.

(3) محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد رقم (3)، مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة، ص 22.

فقـد كان هناك اتجـاه فكري قائم قبل قيام الدولة يقدم العلاقات بـين الصهيونية واليهودية على أسـاس الانقسـام في الفكـر والمعتقد الذي تسـلكه كلٌ من الصهيونيـة واليهودية بقدر كبـير، حيـث يرون أنهما قطبـان يقف كلٌ منهـما في مواجهة الآخر، إلا أنه بعـد إقامة الدولة بدأت الفجوة تتقلص بينهما[1].

وفي ضوء ذلك، استند الخطاب السياسي الإسرائيلي إلى منطلقات أساسية، ظهرت بالتوازي عبر حراك سـياسي طويل، تميـز بالاعتماد الدائم على الموروث الدينـي والاجتماعي لليهود، بكل ما يمثله من زخم، وما يتطلبه من استدعاء دائم للتاريخ[2].

سمات الخطاب السياسي الإسرائيلي:

لا يزال الساسـة الإسرائيليون حتى الآن يوظفون الأيديولوجية الصهيونية نفسـها القائمة على المعتقدات الدينية في خطابهم؛ بهدف تحقيق أهداف سياسـية. فمنذ التحول السياسي في 17 أيـار/ مايـو 1977 بعد فوز الليكود في الانتخابات بدأت الأحـزاب الدينية في إسرائيل تميـل إلى الدخـول في ائتلاف مع المعسـكر اليمينـي بزعامة حزب "الليكـود"، حيث فضل المتشددون، "اليمين" لاعتبارات أيديولوجية- سياسية[3].

فقـد ارتبطـت الدعايـة الصهيونية بفكر عقائـدي يقوم على مبـدأ التميـز الإسرائيلي، حتى اختلفت الدعاية تبعًا لمتغيرات الواقع الزمانية والمكانية، ولذلك يقوم الخطاب الإسرائيلي في أغلب الأحيان باتباع سياسة التضليل وقلب الحقائق وتزوير الوقائع السياسية والاجتماعية والتاريخية لمصلحة إسرائيل[4].

وفي ضوء ذلك، نستعرض عددًا من السمات العامة للخطاب السياسي الإسرائيلي، ومنها:

- محاولة إثبات وحدة التاريخ اليهودي.

---

(1) ספוזניק ,אריה: קדושה ציונית מחולנת ביצירת עולמו של היהודי החדש, כתב עת (ישראל) חוברת 16 ,אוניברסיטת תל אביב, 2009 ,עמ' 166.

(2) سامح محمد إسماعيل، الصهيونية واستدعاء الموروث الديني/ التاريخي، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة بتاريخ 21/10/2014 ص2.

(3) דון יחיא ,אליעזר: בין לאומיות לדת: התמורה בעמדת ז'בוטינסקי כלפי המסורת הדתית , איש בסער, מסות ומחקרים על זאב ז'בוטינסקי. עורכים: אבי בראלי, פנחס גינוסר. שדה בוקר: מכון בן-גוריון לחקר ישראל, תל אביב , 2004עמ' 159.

(4) باسل يوسف النيرب، الإعلام الإسرائيلي ذراع الجلاد، ط1،(د.ن)، الرياض 2010، ص 16.

- نسب الإنجاز والريادة الحضارية لليهود.
- تسويق المصطلحات الصهيونية لضرب المصداقية.
- الترويج إلى الديمقراطية الإسرائيلية.
- إعلاء مصلحة الأمن القومي الإسرائيلي.

(1) محاولة إثبات وحدة التاريخ اليهودي:

يسعى الخطاب السياسي الإسرائيلي للتركيز دومًا على توظيف الجانب الإنساني من خلال إبراز الضحايا، وخاصة من الأطفال والشيوخ اليهود، وذلك في محاولة لكسب تعاطف المجتمع الدولي من ناحية، وإضفاء الطابع الوحشي على المقاومة الفلسطينية من ناحية أخرى، بوصفها "إرهابًا" تواجهه إسرائيل كل يوم[1].

وفي ضوء ذلك، نستشهد بمقتطفات من خطاب "بنيامين نتنياهو" أثناء مراسم التوقيع على اتفاق القاهرة مع السلطة الفلسطينية بتاريخ 4 أيار/ مايو 1994، حيث قال: ידידים יקרים, בשנת אלף-תשע-מאות-ותשעים-וארבע, נרצח סגן-משנה שחר סימני, בן עשרים ואחת, מאשקלון. גופתו נמצאה ירויה בצד הדרך. חוט של דם קושר את עם ישראל מאז נרצח הנפח אברהם ילובסקי לפני מאה וחמש שנים, אל סגן-משנה שחר סימני **الأصدقاء الأعزاء، في سنة ألف وتسعمائة وأربعة وتسعين، قُتل ملازم ثاني شاحر سيماني، البالغ من العمر أحدًا وعشرين عامًا من اشكلون. عثر على جثته مُلقاه في جانب الطريق. خيط الدم يوصل شعب إسرائيل، منذ مقتل الحداد أفراهام يلوفسكي قبل مائة وخمس سنين، إلى الملازم ثاني شاحر سيماني"**[2].

نجد أن "نتنياهو"، قد حرص في خطابه السياسي على ربط الماضي بالحاضر، ومن ثمّ فقد ربط حادثة مقتل الملازم ثاني "شاحر سيماني"، بحادثة مقتل المستوطن "أفراهام يلوفسكي "[3]، التي وقعت منذ أكثر من مائة وخمس سنين. وتكمن أهمية هذا الأمر في

(1) عدنان أبو عامر، الإعلام الإسرائيلي السلاح الأمضى في المعركة، سلسلة رؤى معاصرة العدد (9)، المركز العربي للدراسات الإنسانية القاهرة، شباط/ فبراير 2009، ص10.

(2) נתניהו ,בנימין: "אלפי קברים, שלנו – ושלכם" ,טקס החתימה של "הסכם קהיר" עם אש"ף, קהיר, 4 במאי 1994.

(3) أفراهام يلوفسكي (1850 - 1888): هو واحد من أوائل المستوطنين اليهود في مستوطنة "نيس تسيونا" الذين سقطوا قبل حرب 1948. كان يعمل حدادًا في قرية الشاب المزارع "ميكفا يسرائيل" و"ريشون ليتسيون"، قُتل عام 1888 في كوخه على الطريق إلى "ريشون لتسيون" على يد مجموعة من العرب، ولا يزال مكتوب اسمه على

أنـه يربط حاضر إسرائيل بماضيها الاسـتيطاني، موحيًا بوحـدة التاريخ اليهودي، وكأنه سلسلة من الحلقات المتصلة.

كما كان من أبرز الأحداث التاريخية أيضًا التي استغلها الخطاب السياسي الإسرائيلي لفرض ذاته على العالم، هي "أحداث النازي". وفي ضوء ذلك استغل "نتنياهو" مراسم الذكرى الـ 72 للنازية، حيث قال عام 2017:

מה שחולל את האסון הייחודי והבלתי נתפס של עמנו הוא שילוב של שלושה גורמים: השנאה התהומית ליהודים, האדישות של העולם מול הזוועות והחולשה של עמנו והחולשה הנוראה בגלות" **مـا الـذي يحدث الكارثة الفريدة وغير المفهومة لشـعبنا هو مزيـج من ثلاثة عوامل: الكراهيـة اللامتناهيـة لليهود،عدم اكـتراث العالم أمام الأهوال، الضعف لشـعبنا، الضعف المخيف في المنفى**[1].

نجـد أن "نتنياهـو"، يـردد في خطابـه المعـاصر الادعاءات نفسـها التي رددها قـادة الحركة الصهيونيـة في النصف الأول مـن القرن العشرين. ونلاحظ فيما قاله نتنياهو إنه يحرص على تذكير المتلقي بأن "مأساة" إسرائيل تكمن في عداء الآخر لها، متعمدًا تكرار كلمة "החולשה הضعـف"، حيـث يذكرنا هذا الأمر بتأكيد الحركة الصهيونية بـأن العداء لليهود هو مرض عُضال تعاني منه البشرية.

(2) نسب الإنجاز والريادة الحضارية لليهود:

يعـد مبدأ التفـوق الحضاري وتمايـز الجماعات اليهودية في "فلسـطين" على العـرب مرجعًا ثابتًا، في الخطاب الصهيوني. فقد خلقت الصهيونية مصطلحات بعينها لتكريس الإحساس بتفوقهـا وريادتهـا، وكان مـن أهمها، مصطلـح "החלוץ الطلائعي" في العبريـة، حيث تشير دلالتـه المعجميـة إلى تمهيد الطريـق لقدوم آخريـن، فمصطلح "الطلائعيين" هـو كناية عن المسـتوطنين الشبـان الأوائل الذين هاجروا إلى "فلسـطين" لتأسـيس إسرائيـل بموجب ما دعت إليه الحركة الصهيونية[2].

مفترق رئيس لمدينة "نيس تسيونا".
(راجع :http://www.israelhayom.co.il/site/newsletter_article.php?id=2285)

(1) موقع واي نت الإخباري العبري بتاريخ 23.04.17 , 20:44
http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4952680,00.html

(2) אזר משה , שמיר אילנה: מלון אבן-שושן המרוכז מחודש ומעודכן לשנות האלפיים,עמ' 308.

وفي هذا السياق، روّج الخطاب الصهيوني لصورة بدائية للمجتمع الفلسطيني، من خلال الادعاء بأن الأرض التي أهملها أهلها، عمّرها المستوطنون وهو ما جعل لهم أحقية بها، نافين أي حقوق للسكان الفلسطينيين الأصليين. وعلى سبيل المثال، عبّر عن ذلك شاعر الإحياء الصهيوني "حاييم نحمان بياليك" في محاضرته بعنوان "أرض فلسطين" التي ألقاها في حي "كوفنو" اليهودي بدولة ليتوانيا عام 1930، حيث قال فيها: מתגוללים ערבים בבצות והם נגועי קדחת ואכולי מלריה ומתים בהמוניהם – ובאים צעירים יהודים ומייבשים את הבצות ומבריאים את המקום ומצילים את הערבים ממחלה וממות **يتجول عرب في مستنقعات، وهم مصابون بالحمى و بكتريا الملاريا وموتى بكثرتهم، وآت شبان يهود، يجففون المستنقعات، وينزلون الشفاء على المكان، وينقذون العرب من المرض والموت**[1].

حاول "بياليك" من خلال هذا الاستشهاد ترسيخ أسطورة ريادة اليهود، وتفوقهم على العرب حتى ينسب أي إنجاز في فلسطين إلى المستوطنين الصهاينة الأوائل، فهكذا حاول الخطاب الصهيوني رسم صورة ذهنية إيجابية عن المستوطنين الأوائل الذين حملوا على عاتقهم حلم إقامة الدولة وتفريغ فلسطين من سكانها الأصليين من خلال الترويج لتلك الادعاءات، حتى يكون للأجيال اليهودية الجديدة قدوة يحتذون بها.

وعلى جانب آخر، نستشهد بالمزاعم الصهيونية التي روّجها قادة إسرائيل لتحقيق إنجاز حضاري لليهود، فالأسطورة الشعبية بأن اليهود هم بناة الأهرامات قد تطورت عقب التصريحات التي روجها رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "مناحم بيغن" أثناء زيارته لمصر سنة 1977، حيث قال: 'ראו! הנהמהשידיים עבריותבנועבורכם **شاهدوا! هنا ما بنت الأيادي العبرية لأجلكم"**[2].

وقد دحضنا تلك الادعاءات التي حاول "بيغن" تسويقها في خطابه؛ بهدف نسب الريادة الحضارية لليهود بالحجج الإقناعية، وذلك من خلال الاستشهاد بما ورد في التوراة، وتحديدًا في سفر الخروج (الإصحاح 11:1): "וַיָּשִׂימוּעָלָיושָׂרֵימִסִּים, לְמַעַנעַנֹּתוֹבְסִבְלֹתָם; וַיִּבֶן עָרֵימִסְכְּנוֹתלְפַרְעֹה, אֶתפִּתֹּםוְאֶת-רַעַמְסֵס **فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا**

(1).http://benyehuda.org/bialik/dvarim_shebeal_peh33.html

(2) דגן, שוקי: מחקר חדש: בנ"י המציאו ובנו את הפירמידות נשלח ב-19/ 4 /2005 17:37
http://www.bhol.co.il/forums/topic.asp?topic_id=1348901&forum_id=771

لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعَمْسِيسَ"[1]. وتؤكد هذه الآية من "سفر الخروج"، مدى كذب "بيغن" وافترائه، حيث تذكر صراحة أن اليهود اشتغلوا في مصر في بناء المدن، ولم يرد ذكر تسخير اليهود في بناء الأهرامات حسبما زعم "بيغن".

(3) تسويق المصطلحات الصهيونية لضرب المصداقية:

أصبحت حرب المفاهيم والمصطلحات التي تدير الجمهور وتشحنه بأشكال مختلفة من التشويش والتضليل، إحدى أهم الأدوات التي يوظفها الخطاب السياسي الإسرائيلي في صراعه مع الفلسطينيين، حيث يركز الخطاب الدعائي على تسويق الأكاذيب، حتى تصبح مع مرور الوقت من المسلمات[2].

ولذلك يعمل القادة الإسرائيليون في خطبهم السياسية على توظيف الرموز اللغوية ودلالاتها في وصف الوقائع والأحداث، من خلال استخدام الحيل البلاغية، في محاولة لنزع الظاهرة من سياقها التاريخي[3].

ومن أبرز المصطلحات الصهيونية التي يوظفها الخطاب السياسي الإسرائيلي:

المناطق المحررة/ المتحفظ عليها:

هو المصطلح الذي أطلقته إسرائيل عام 1967 على المناطق التي احتلتها، والذي يطلق على الضفة الغربية وغزة، اللتين كانتا من المناطق الخاضعة للانتداب البريطاني حتى إقامة الدولة. وقد تمكنت مصر من إدارة قطاع غزة في حرب 1948، والأردن من الوحدة مع الضفة الغربية، ثم بعد ذلك احتلتها إسرائيل أثناء حرب 67، واحتفظت لنفسها عنوة بحقوق أفضل نسبيًا عن مصر والأردن اللتين ضمتا قطاع غزة والضفة الغربية، وبعدها انتقلت السيطرة الفعلية لإسرائيل التي باتت تخضع لصلاحيتها السيادية.

وقد تداول هذا المصطلح في وسائل الإعلام الإسرائيلية دون أي صفة تعريفية لها، باعتبار أنهما من المناطق المتنازع عليها، ولم يحدد مصيرهما بعد[4].

---

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ص 44.

(2) حسنين شفيق، الحروب الإعلامية بين شهوة السبق الإعلامي وتلغيم الأخبار، دار فكر وفن، القاهرة 2016، ص 121.

(3) محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام من التحليل الكمي إلى التحليل في الدراسات الكيفية وتحليل محتوى المواقع الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة 2010، ص 212.

(4) קנאור, איריס: ישראל והשטחים:עלמשפט בינלאומי פרטי,משפט בינלאומי פומבי ומה שביניהם , כתב עת משפט וממשל כרך (ח)חוברת (2) הפקולטה ל משפטים , אוניברסיטת חיפה, 2005,עמ' 558- 559.

وفي ضوء ذلك، نستشهد بخطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "مناحم بيغن" عام 1967، حيث قال: אנחנו לא רק נשארים בשטחים המשוחררים , אנו מתנחלים ומתבצרים בכל האזורים והעמדות שאליהם הגיע צבאנו **نحن لن نبقى فقط في المناطق المحررة، فنحن نستوطن ونتحصن في المناطق والمواقع كافة التي وصل إليها جيشنا**"[1].

يتضح لنا أن فكرة التنازل عن الأراضي التي احتلتها إسرائيل ليست من مسلمات السياسة الإسرائيلية القائمة على التوسع والاستيطان، فقد حدث ذلك استثناءً فقط مع مصر والأردن، ففكرة عدم التنازل عن المناطق تعد إرثًا يتوارثه الأجيال من الساسة الإسرائيليين، ولا يمكن تغيير هذا النهج، حيث لا يزال معتقد "أرض إسرائيل" مترسخًا في أذهان الإسرائيليين.

يهودا والسامرة:

هو مصطلح يطلق على الضفة الغربية، فهي منطقة خاضعة للاحتلال الإسرائيلي ولها خصوصية لدى إسرائيل، حيث يحمل المصطلح دلالة توراتية؛ لأنها تعني المملكتين اللتين قامتا في جنوب فلسطين (يهودا)، وفي شمالها (السامرة). ولم تدم المملكتان سوى ثمانين عامًا، وهي مدة زمنية عابرة في تاريخ الشعوب، لا تمنح حقًا تاريخيًا، إلا أنها تعد لإسرائيل بمنزلة القلب من الجسد[2].

وعن الأهمية الدينية التي توليها إسرائيل لمصطلح "يهودا والسامرة"، نستشهد بتصريحات الحاخام "مناحم بارود" المتحدث باسم الحركة الحسيدية في إسرائيل، حيث قال عام 2013: במקום תמרונים צריך לומר את האמת: אין כאן מקום לשתי מדינות. יהודה ושומרון אינם שטחים כבושים. הם לב-ליבה של ארץ-ישראל **بدلاً من الحيل ينبغي قول الحقيقة: لا يوجد هنا مكان للدولتين. يهودا والسامرة، ليست مناطق محتلة. فهي جوهر قلب أرض إسرائيل** [3].

وللتأكيد على أهمية الضفة الغربية في الخطاب السياسي الإسرائيلي، نستشهد بخطاب وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق "أفيغدور ليبرمان" أثناء زيارته للمجلس الإقليمي "ماجيلوت"،

(1) בגין: אנו נשארים... בשטחים המשוחררים, "מעריב" 1967 – הספרייה הלאומית
http://web.nli.org.il/sites/nli/hebrew/digitallibrary/pages/viewer.aspx?presentorid=NLI_EDU&DocID=NNL03_EDU700276297

(2) عمر عتيق، تأثير المصطلح الإعلامي "الصهيوني" على الهوية الثقافية الفلسطينية، القدس أون لاين
http://www.alqudsonline.com/contentdetails.asp?contentId=1441

(3)http://www.bhol.co.il. 25/07/2013 14:49

حيث قال في عام 2017: מבחינתי ברור שההתיישבות ביהודה ושומרון, וגם פה באזור יריחו, ים המלח - זו חומת המגן האמיתית של מדינת ישראל וככה צריך להתייחס לזה, כחומת המגן של מדינת ישראל **מן ناحيتي، من الواضح أن الاستيطان في يهودا والسامرة، وكذلك هنا في منطقتي أريحا، والبحر الميت، فهي السور الواقي الحقيقي لدولة إسرائيل، وهكذا ينبغي التعامل معه، باعتباره سور واقٍ لدولة إسرائيل** [1].

نجد أن الساسة الإسرائيليين يسعون في خطابهم لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من إسرائيل، حيث تعتبر القيادة الإسرائيلية الحالية، مستوطنات الضفة بأنها "السور الواقي" لدولة الاحتلال الذي يحميها من السكان الفلسطينيين.

(4) الترويج إلى الديمقراطية الإسرائيلية:

تحولت بمرور السنين قضية العلاقة بين كون إسرائيل دولة يهودية أم دولة ديمقراطية إلى الموضوع الرئيس المطروح للنقاش أكاديميًا وجماهيريًا في إسرائيل[2].

وفي ضوء ترويج الدعاية بأن إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، نستشهد بما ورد نصًا على لسان وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق "أفيغدور ليبرمان" في كلمته في افتتاح القاعة التذكارية بـ"جبل هرتسل" في عام 2017، حيث زعم يقول أن : שראל היא הדמוקרטיה היחידה במזרח התיכון וחלק ממשפחת העמים, אך לצערי אינה זוכה ברגע של אמת לגיבוי מהקהילה הבינלאומית. כך היה בעבר, וכך קורה גם בהווה **إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وجزء من أسرة الشعوب، لكم يؤسفني أنها لم تحظ بلحظة حقيقية للدعم من قبل المجتمع الدولي. هكذا كان الحال في الماضي، وهكذا يحدث أيضًا في الوقت الحاضر** [3].

(5) إعلاء مصلحة الأمن القومي الإسرائيلي:

تسعى الدعاية الإسرائيلية لقادة جيش الاحتلال دومًا إلى أن يظل العقل الإسرائيلي أسيرًا لفكرة الصراع المستمر مع الآخر، فقد تحولت الفكرة نفسها في العقود الأخيرة إلى مادة ثابتة

(1) בן פורת,עדו: ליברמן מגן על המנהל האזרחי, כ"ו באלול תשע"ז 17/ 09/ 17 20:12
https://www.inn.co.il/News/News.aspx/355506

(2) אלבז,שגיא: דעת מיעוט בעיתונות העברית, ייצוג האוכלוסייה הערבית במרחב ציבורי משתנה, הוצאת דיונון, בשנת2013עמ'17.

(3) , דברי שר הביטחון אביגדור ליברמן בטקס חניכת היכל הזיכרון בהר הרצל, 30.04.2017
https://beytenu.org.il ,עדכון 18 בנובמבר 2018 ב12:00

في الأدبيات السياسية والعسكرية والفكرية، حيث تضع القيادات العسكرية نُصب أعينها بلورة نظرية أمن جديدة لإسرائيل وتطويرها للمرحلة المقبلة[1].

وفي هذا الصدد، لا يمكن للعمق الإستراتيجي الإسرائيلي أن يتأسس فقط على إقليم، فالعمق بمفهومه الاستراتيجي من وجهة نظرهم يتضمن وضعًا دوليًا ودعمًا خارجيًا لشرعية مقبولة داخليًا وخارجيًا تتبعها خطوات عسكرية ملموسة على أرض الواقع[2].

وهنا يكيف الساسة خطابهم السياسي وفق اعتبارات الأمن القومي الإسرائيلي المتمثل في حق الدفاع عن النفس الذي يكفله القانون الدولي لكل دولة للحفاظ على أمنها وسلامة أراضيها، وهو ما وظفته إسرائيل في حروبها مع العرب في إطار ما يسمى بـ"الحروب الوقائية"[3].

ولذا تحاول القيادات العسكرية الإسرائيلية بين الحين والآخر استغلال المناسبات للتأكيد على مبدأ "**حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها**"، حيث عبر وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق "موشيه يعالون" سنة 2013 أثناء خطابه في الاحتفال الذي أقامته دار سلاح الجو الإسرائيلي بمناسبة ذكرى "نكبة فلسطين" بالقول: על העולם להוביל את המערכה מול איראן, אך על ישראל להתכונן לאפשרות שתצטרך להגן על עצמה בכוחות עצמה **على العالم أن يقود المعركة في مواجهة إيران، لكن على إسرائيل الاستعداد لاحتمالية أن تضطر إلى الدفاع عن نفسها** [4].

ثانيًا- الموروث في الخطاب السياسي الإسرائيلي

تشتق كلمة "המורשת الموروث" في العبرية من "ירושה الإرث" الذي ينتقل من الآباء إلى أبنائهم ويورث لأجيال وأجيال بما في ذلك الموروث الديني والتاريخي والأسطوري[5].

(1) محمد أبو غدير، العقل الإسرائيلي بين الخصوصية والعالمية، مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة، رسالة المشرق المجلد السابع، العدد من الأول إلى الرابع (1998)، ص64 .

(2) תמרי, דב: תפיסת הביטחון של ישראל הגדרות ומאפיינים,סדרת ניירות מדיניות ואסטרטגיה,המכון למדיניות ואסטרטגיה,יוני 2014,עמ' 9.

(3) عاطف عودة الرفوع، الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع، الصحافة نموذجًا، ط1، دار الفارس للنشر، عمان 2004، ص64.

(4) זיתון,יואב:יעלון על איראן: להיערך להגן על עצמנו בעצמנו,עדכון 16.04.13 , 21 :49
http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4368499,00.html

(5) אבן- שושן, אברהם :המלון העברי המרוכזהוצאת קרית –ספר בע"ם ,ירושלים 1986, עמ' 354.

وفي ضوء ذلك، يعمل الخطاب السياسي على استدعاء الموروث، للعودة إلى الأصول والركائز التي قامت عليها الدولة، لتكون أعرافًا ومسلماتٍ تسير على دربها الأجيال الإسرائيلية الجديدة.

لذلك يعتمد الخطاب السياسي الإسرائيلي على توظيف التداخلات النصية مع العهد القديم والتلمود، لخدمة الأهداف الإسرائيلية، حيث يضع المرسل التعريف، ويحدد المسمى من خلال الاختزال والإخفاء؛ حتى يبرر حجاجية خطابه وتكون مقبولة لدى المتلقي[1].

ومن هنا يعمل الساسة الإسرائيليون على استدعاء الموروث الديني في خطابهم؛ بهدف توظيف النصوص الدينية توظيفًا سياسيًا، بما يخدم المصالح الإسرائيلية[2].

وهنا نستشهد بما ورد في خطاب الصحفي الإسرائيلي **"نداف سراجاي"**، حيث قام باستدعاء الموروث الديني في مقالٍ بعنوان "חושךואורבירושלים الظلمة والنور في القدس"، فالعنوان يتداخل نصيًا مع ما ورد في سفر التكوين (الإصحاح 4:1-5): "وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ"[3].

فقد تعمد "سراجاي" استدعاء أول يوم في الخليقة كونه إطارًا مرجعيًا دينيًا لخطابه حتى يقنع القارئ بالمحتوى الضمني لخطابه، حيث أُسقطت "בחושך الظلمة" في العنوان على الشعوب الأخرى وخاصة الفلسطينيين، حيث يقصد الكاتب هنا بـ"אור النور" الإسرائيليين وأنهم أفضل الشعوب على حد زعمه.

كما تعمد "سراجاي" كذلك استدعاء الموروث الديني مع العهد القديم في عبارة: המוסלמים מערערים על זכותנו ובכורתנו בירושלים; משכתבים את ההיסטוריה של העיר; משנים את קורותיה, מקדימים מאוחר למוקדם ומבצעים בה דה-יהודיזציה **المسلمون يطعنون في حقنا وبكورتنا في القدس، يعيدون كتابة تاريخ المدينة، ويغيرون تأريخها، ويقدمون المتأخر عن سابقه، وينفذون بها نزع اليهودية**[4].

(1) أحمدرفيقعوض، لغة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي، حركة "فتح" مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، فلسطين 2006، ص 85.

(2) محمد خليفة حسن، الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة، رسالة المشرق المجلد السابع، العدد من الأول إلى الرابع (1998)، ص 24.

(3) الكتاب المقدس، العهد القديم، ص 1.

(4) https://www.haaretz.co.il/opinions/1.1261633 02.09.2011 15:32

نجد أن الكاتب استدعى الموروث الديني مع العهد القديم في جملة "بكورتنا في القدس"، وهو ما يتداخل نصيًا مع ماورد في سفر التكوين (الإصحاح 25 :31-33): 31 فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ». 32 فَقَالَ عِيسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ 33 فَقَالَ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ». فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ[1].

كما تعمد الكاتب الإسرائيلي "سرجاي" استغلال السياق لإعادة التاريخ القديم الذي يزعم منح البكورة لإسحاق؛ لأن أمه "سارا" اليهودية، وإنكار بكورة "إسماعيل" لكون أمه أجنبية، وكأن التاريخ يعيد نفسه بأن اليهود لهم الأسبقية والأحقية في القدس وليس للكنعانيين.

كما يوظف الخطاب السياسي الإسرائيلي كذلك الموروث الأسطوري لتدعيم الحجاجية، حيث تعرف الأسطورة في المصادر العبرية بأنها النوادر والحكايات والمواعظ الواردة في الأجزاء غير التشريعية التي يضمها التلمود، وكتب التفاسير المدراشيم، حيث تتعلق تلك النوادر بشتى نواحي الحياة[2].

وفي ضوء ذلك، يتعمد كبار الساسة الإسرائيليون اتخاذ الموروث الأسطوري لأقوال الحكماء اليهود كإطار مرجعي في خطابهم السياسي؛ لتدعيم الحجج الإقناعية في رسالتهم للجمهور المستهدف من الإسرائيليين. ولذلك نرد بعض الاستشهادات على النحو التالي:

-وظّف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "إيهود باراك" أقوال فقهاء اليهود الواردة في التلمود في كلمته التي ألقاها في جلسة خاصة بالكنيست في ذكرى تأبين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق **"يتسحاق رابين"** عام 1997، قائلاً: חז"ל אמרו שבגלל שנאת חינם חרב הבית השני, ועלינו לומר, כי ללא מאבק עיקש ואמיתי תיווצר סכנה לקיומו של הבית השלישי. יצחק, אתה הפטריוט הישראלי הגדול, מלח הארץ, היית מוקד לגל של שנאת חינם נוראה שבשיאה נרצחת **فقهاء اليهود قالوا إنه بسبب الكراهية بلا سبب خرب الهيكل الثاني، وعلينا القول إنه من دون نضال عنيد، وحقيقي سيتشكل خطرًا على وجود الهيكل الثالث. يتسحاق، أنت الوطني الإسرائيلي العظيم، ملح الأرض، كنت أساس لموجة كراهية مخيفة بلا سبب، أُغتلت في ذروتها**[3].

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم، ص 19.

(2) سامي الإمام، الفكر العقدي اليهودي" موسوعة الجيب، (د.ن)، القاهرة 2010. ص105.

(3) (39) **נאום יו"ר האופוזיציה, אהוד ברק ,בישיבה המיוחדת לזכרו של יצחק רבין** - 12. 11. 1997
https://www.knesset.gov.il/rabin/heb/speech/barak97.htm

كما وظف كذلك الزعيم الأسبق للمعارضة الإسرائيلية ورئيس الوكالة اليهودية الحالي **"يتسحاق هرتسوج"**، الموروث الأسطوري من خلال الاستشهاد بأقوال فقهاء اليهود؛ لتدعيم الحجاجية في انتقاداته التي يوجهها على شبكة التواصل الاجتماعي إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية "بنيامين نتنياهو"، حيث كتب لمتابعيه عام 2015: **ورد في مقال فقهاء: أنه** :"על שנאת חינם חרב בית המקדש. נתניהו מפלג את העם. הוא משסה ציבור בציבור, מכפיש קבוצות אוכלוסייה שלמות, מבלי להתבלבל משווה בין עובדים למחבלים, ואנשי ביטחון שחושבים אחרת – לבוגדים **عن الكراهية بلا سبب خرب الهيكل المقدس. نتنياهو يقسم الشعب. فهو يوقع بين الشعب وبعضه البعض، ويوقع بين مجموعات سكانية كاملة، من دون أن يتحير يساوي بين موظفين ومخربين وبين رجال الأمن الذين يفكرون بشكل مختلف وبين الخونة**[1].

بالنظر إلى الاستشهادين السابقين، نجد أن "إيهود باراك" و"يتسحاق هرتسوج" وظّفا في خطابهما السياسي أقوال فقهاء اليهود في عبارتي" الكراهية دون سبب خربت الهيكل الثاني، "الكراهية بلا سبب خربت الهيكل"، حيث تتداخل نصيًا مع (التلمود البابلي، باب يوما، 9 فقرة 72): ביתראשוןחרבבעקבותעבודהזרה, שפיכותדמימוגילוייעריות. ביתשנינחרבבגללשינאתחינם **خرب الهيكل الأول في أعقاب عبادة الأصنام، سفك الدماء وزِنى المحارم. خُرب الهيكل الثاني بسبب الكراهية بلا سبب**[2].

وفي ضوء تفسير الاستشهادين السابقين لتصريحات المسؤولين الإسرائيليين، واستنادهما إلى أقوال سابقة لفقهاء اليهود، نجد أنها وردت في سياق الحديث عن الأسباب المختلفة لخراب "الهيكل الأول" وفي مقدمتها الأسباب الدينية، حيث تمثلت في عبادة الأصنام وزِنى المحارم وسفك الدماء، فيما تمثل السبب الديني لخراب "الهيكل الثاني" في الكراهية بلا سبب، التي أراد فقهاء اليهود الخروج منها، بأنه يجب التعلم أن الكراهية بلا سبب تساوى في حكمها قدر المخالفات المتمثلة في عبادة الأصنام وزِنى المحارم وسفك الدماء.

ثالثًا - مكانة القدس في الخطاب السياسي عند بنيامين نتنياهو

يستغل الخطاب السياسي الإسرائيلي تزييف التاريخ لفرض سطوته على الأماكن المقدسة بما فيها القدس الشريف، حيث فرضت إسرائيل مصطلح أورشليم/ يروشاليم، بديلًا عن

(1) עזרא, יעקב: הרצוג נגד נתניהו: בעוון שנאת חינם חרב בית המקדש , 18במארס 2015 ב- 14:09 http://www.ladaat.info/article.aspx?artid=18617,.

(2) ביאור:חורבנבתשניכתוצאהמשינאתחינם https://he.wikisource.org/wiki

"القـدس". "ويعود تاريخيًا اسـم مدينة "أورشـليم" إلى الفترة ما بـين 1900– 2000 ق.م، ويظهر الاسـم في إحدى الرسـائل التي اكتُشفت ضمن مجموعة مـن الألواح عام 1887 في "تل العمارنة" في مصر، وتعود هذه الألواح إلى عام 1350 ق.م. فاسـم أورشـليم اسم عربي كنعاني، وليس اسمًا عبريًّا"[1].

وفي ضـوء تحليـل الخطب السياسـية التي ألقاها نتنياهو في مناسـبات تتعلـق بمدينة القدس خلال الفترة من 2015 إلى 2019، قمنا بالوقوف على المحاور التالية:

(1) مضامين الخطب السياسية لـ"نتنياهو" حول مدينة القدس.

2) البعد الزماني والمكاني في الخطاب السياسي عند نتنياهو.

(3) مرجعيات الخطب السياسية لنتنياهو حول القدس.

(4)استراتيجيات التأثير والإقناع في خطاب نتنياهو حول القدس.

(5)المسكوت عنه في الخطاب السياسي لنتياهو عن القدس.

(1) مضامين الخطب السياسية لـ"نتنياهو" حول مدينة القدس:

تمحورت مضامين الخطب السياسية الرسمية لبنيامين نتنياهو حول القدس فيما يلي:

- إن القدس كانت وستظل العاصمة الأبدية لدولة الاحتلال الإسرائيلي.
- إن اليهود هم فقط من لهم الحق في القدس دون أي اعتبارات لحقوق أصحاب الأرض الأصليين أو الأديان الأخرى.
- لا تفاوض بشأن تقسيم القدس في أي اتفاق سلام مع الفلسطينيين.
- الادعاء بأن القدس لاتعوق السلام مع الفلسطينيين وإنما رفض الفلسطينيين الاعتراف بيهودية الدولة.
- الاعتراف الأميركي بالسيادة الإسرائيلية على القدس سيدفع لتقوية أواصر التعاون بين إسرائيل وجيرانها.

(1) محمد خليفة حسن، عروبة القدس في التاريخ القديم مع تحليل نقدي لصورة القدس في العهد القديم، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد(4)، الأعداد من الثاني إلى الرابع، القاهرة 1995، ص 11.

وفيما يلي عيّنة من الاستشهادات لمضامين الخطب السياسية لنتنياهو حول القدس:

من خلال خطابه السياسي، حاول نتنياهو التقليل من شأن مكانة القدس بالنسبة للفلسطينيين، وذلك للتغاضي عن إقحامها ضمن أي اتفاق سلام مستقبلي قد يوقّع بين إسرائيل والفلسطينيين، وهو ما أكد عليه صراحة في سياق خطابه الذي ألقاه في المراسم الرسمية بمناسبة مرور خمسين عامًا على ما سمّوه بـ"يوم توحيد القدس"، قائلا: "אנחנו רוצים שלום ומושיטים יד של שלום אל שכנינו, אבל לא ירושלים היא שמעכבת את השלום. מה שמעכב את השלום הוא הסירוב העקבי להכיר במדינת היהודים בגבולות כלשהם. **نحن نريد السلام ونمد يد السلام إلى جيراننا، لكن ليست القدس هي التي تعيق السلام. ما يعيق السلام هو الرفض الدائم للاعتراف بدولة اليهود ضمن أي حدود.**

يستغل نتنياهو دومًا خطبه السياسية؛ لتحميل الطرف الفلسطيني مسؤولية تعطيل المفاوضات دون أن يلقي على نفسه عاتق المماطلة واختلاق الذرائع والحجج للتنصل من حق العودة إلى حدود 67 والموافقة على مبدأ حل الدولتين وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية.

- ومن ناحية أخرى، تجلى كذلك المعتقد الصهيوني أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولة الاحتلال في خطاب نتنياهو بمرور خمسين عامًا على يوم القدس، نافيًا وجود أي حقوق للمسلمين والمسيحيين في المدينة المقدسة، حيث زعم بالقول: "איזו הצדקה יש לחזור לעיר שסועה? האם ירושלים הייתה פעם אי פעם בירתו של עם אחר מלבד העם היהודי?", שאל נתניהו וענה: "לא היה דבר כזה. האם מישהו אחר מלבדינו דאג לחופש הפולחן של מאמיני כל הדתות? בדיוק להפך. חופש זה מובטח לגל הדתות רק בריבונות ישראל **أي تبرير يستوجب العودة إلى مدينة مقسمة؟ هل كانت القدس ذات مرة عاصمة شعب آخر باستثناء الشعب اليهودي؟ "تساءل نتنياهو وأجاب،" لم يكن هناك شيء من هذا القبيل. هل كان شخص آخر باستثناءنا قد حرص على حرية شعائر مؤمنو جميع الأديان؟ العكس تماما. هذه الحرية مضمونة لموجة الأديان فقط بسيادة إسرائيل.**

- وردًا على تصريحات نتنياهو، أعلن مكتب الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن القدس الشرقية، بأماكنها المقدسة للإسلام والمسيحية، هي عاصمة الدولة الفلسطينية وستظل كذلك إلى الأبد[1].

(1) نتنياهו: "ירושלים הייתה ותהיה בירת העם היהודי"
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4966940,00.html

فقـد وظـف نتنياهو تكنيك الاسـتفهام في خطابـه لمحاولة إنكـار أي حقوق لأصحاب الديانـات الأخـرى في القدس، والادعاء بـأن دولة الاحتلال تكفـل للمؤمنين بالديانة المسـيحية والإسـلام حقوق حرية أداء الشعائر الدينية، فما يدحـض كذب نتنياهو، هي اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى في عيد الأضحى المبارك عام 2019 بعد إعطاء نتنياهو الضوء الأخضر لهم لانتهاك شـعائر المسـلمين، حيث كانت محاولة منه لتسـويق نفسه في الانتخابات القادمة.

- وحـول مسـألة تقسـيم القدس ومحاولـة ضمهـا إلى إسرائيل حتى قبل إعـلان دونالد ترامـب في كانـون الأول/ ديسـمبر 2017 القـدس لم تقسـم، نحن نبنـي في جميع أجزاء المدينة، أكد نتنياهو في خطابه السياسي الذي ألقاه في الكنيست في ذكرى الاحتفال بيوم القـدس الثامن والأربعين، قائلاً : אנחנו בונים בכל חלקי העיר, וגם בשכונות הערביות. איננו בונים בירושלים כדי להתעמת עם הקהילה הבינלאומית, אנחנו עושים זאת באחריות ובשיקול דעת כי זו זכותנו הטבעית", **نحن نبني في كل أجزاء المدينة، وكذلك في الأحياء العربيـة. نحـن لا نبني في القدس مـن أجل المواجهة مع المجتمع الـدولي، بل نفعل ذلك بمسؤولية وجدية لأن هذا حقنا الطبيعي** [1].

حـاول نتنياهو في ضوء الاسـتشهاد السـابق التأكيد أن حكومته هـي امتداد لحكومات إسرائيـل السـابقة التي بنت في القدس على مدى عشرات السـنين، محـاولًا التغطية على الاقتحامـات السـافرة لباحات المسـجد الأقصى من قبل المسـتوطنين بأوامـر منه، فأي مسؤولية يتحدث عنها بالحفاظ على المدينة مفتوحة لكل الأديان ليتعايش فيها أصحاب الديانات الثلاث جنبًا إلى جنب.

كما تمحور كذلك الخطاب السياسي لـ"نتنياهو" حول التأكيد على مدى عمق العلاقات الأميركيـة- الإسرائيليـة في عهد ترامـب والتي فاقـت في قرارتها الداعمـة لإسرائيل العهود السـابقة لرؤسـاء أميركا الذين لم يجرؤوا على اتخاذ مثـل هذه القرارات لصالح إسرائيـل بالاعـتراف بالقدس عاصمة لإسرائيـل ونقل السـفارة الأميركية لها، حيث قال نتنياهـو: "אניגאהעלכךשהנשיאטראמפשהעביראתהשגרירותהואגםהכירבריבונותנו ועלרמתהגולן – וזוהתחלההחשובה **أنـا فخـور بأن الرئيس ترامب الذي نقل السفارة هو**

(1) https://news.walla.co.il/item/2855663

الذي اعترف أيضًا بسيادتنا على هضبة الجولان- وهذه البداية مهمة"[1].

حـاول نتنياهـو التأكيـد على مدى عمـق الصداقـة والعلاقات المتينـة التي تربطـه بالرئيس الأميركـي دونالد ترامب على عكس سـلفه باراك أوباما، محاولًا إقناع الجمهور المسـتهدف بـأن هنـاك عطايـا ومفاجآت أخرى سـيمنحها له صديقـه ترامب خلال ولايتـه والتي من المتوقـع لها أن تضمـن صفقة القرن الإعلان الأميركي عن ضم مسـتوطنات الضفة الغربية إلى إسرائيل.

(2) البعد الزماني والمكاني في الخطاب السياسي عند نتنياهو:

عمـل "بنيامين نتنياهو" على توظيف البعد الزماني والمكاني في خطابه السـياسي عن القدس مـن خلال ربـط ماضي التاريـخ اليهودي بحـاضره؛ حتى يدعـم مكانته السياسـية ويؤكد المعتقد السـائد لدى الأوساط السياسية في إسرائيل عنه بأنه ملك إسرائيل الذي مسّته بركة الرب، حيث تم في ولايته الرابعة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

وفي ضوء ذلك، استغل نتنياهو الحفل الرئيسي الذي أقامته يشيفات ميركازهراف (مدرسة تلمودية في القدس الغربية) بمناسـبة مرور الذكرى الثامنة والأربعين على ما يسـمى لديهم بيـوم "توحيـد القـدس"، حيـث قـال: לפני ימים אחדים ציינו 70 שנה לניצחון על גרמניה הנאצית, שם הסתופפו ילדים יהודים עם הפנים שלכם ואיש לא ידע אז אם עם ישראל חי, אבל כנסו כאן ביום הזה במדינת ישראל, בארץ ישראל, בבירת ישראל ותראו ש'מציון תצא תורה ודבר ה' בירושלים' ועם ישראל חי, ועוד איך הוא חי. **قبـل أيـام معـدودة، مـر 70 عامًا عـلى الانتصـار على ألمانيا النازية، هناك التجأ أطفال يهود لاسـتقبالكم، ولا أحد يعلم وقتها إذا مـا كان شـعب إسرائيل على قيد الحياة، لكنهم دخلـوا هنا في هذا اليوم في دولة إسرائيل، في أرض إسرائيل، في عاصمة إسرائيل، شاهدوا أنه من الممتاز ان تجد توراة وكلمة الرب في القدس وشعب إسرائيل على قيد الحياة، كذلك كيف أنه على قيد الحياة**[2].

حاول نتنياهو من خلال الاسـتشهاد السـابق من خطابه السـياسي ربط ما حدث لليهود في أحداث النازية وكيف أنهم حولوا الهزيمة إلى انتصار بالبقاء والتمدد وإقامة دولة الاحتلال عـلى أرض فلسـطين، وكأن الـرب يظلّهـم في القدس ويحميهـم ويبارك مسـيرتهم العدائية

(1) https://www.srugim.co.il/345709-יום-ירושלים-במרכז-הרב-הרב-רפי-זה-הלב-של

(2) https://www.inn.co.il/Generic/Generic/SendPrint?print=1&type=0&item=298606 18/05/2015

واغتصابهم للأرض، وهو ما جعلهم لا يزالون على قيد الحياة حتى يومنا هذا رغم قولهم بمقتل ستة ملايين يهودي في أحداث النازي.

كما وظف نتنياهو البعد الزماني في خطابه للتأكيد أن احتلال القدس الشرقية عام 1967، كان بالنسبة له بمثابة حرب دفاعية لاسترداد الحق الصهيوني في المدينة المقدسة، وهو ما عبّر عنه في خطابه أثناء الاحتفال بمرور الذكرى الـ48 على ما سمّوه بيوم توحيد القدس، حيث قال: לפני 48 שניםלחמנומלחמתמגן‌ומופלאה, שבמהלכהאיחדנואתירושלים. ירושלים‌לאתחולקעוד, היאלאתשובלהיותקוחזית **قبل 48 سنة خضنا حربًا دفاعية رائعة، خلالها وحدنا القدس. لن يتم تقسيم القدس مرة أخرى، ولن تعود لتكون خط جبهة**[1].

وكذلك وظّف نتنياهو البعد الزماني في خطابه السياسي أثناء الاحتفال بذكرى "يوم توحيد القدس"؛ للتأكيد على خلق الذرائع والحجج للتأكيد على التواجد اليهودي في القدس، وهو ما عبّر عنه في الاحتفال بالذكرى الـ 49 ليوم توحيد القدس المزعوم لديهم، قائلاً:ירושלים היתה קו חזית במשך 19 שנה, ונערים ירושלמים זוכרים את זה. זוכרים שהיו יורים ממזרח למערב. לא יזמנו ממערב למזרח, כי האויב תמיד ירה."אנחנו לא נחזיר את המציאות אחורה. איננו צריכים לתרץ את קיומנו בירושלים. **كانت القدس خط جبهة على مدار 19 عامًا، ويتذكر صبية القدس ذلك. يتذكرون أنهم كانوا يطلقون النار من الشرق إلى الغرب. لم يبدأوا من الغرب إلى الشرق، لأن العدو دائمًا يطلق النار. نحن لن نعيد الواقع للوراء. لسنا بحاجة إلى أن نخلق ذريعة وجودنا في القدس**[2].

وعلى جانب آخر، وظّف نتنياهو البعد الزماني في كلمته التي ألقاها في الجلسة الخاصة التي عقدت في الكنيست بمناسبة مرور الذكرى الـ49 على "يوم توحيد القدس" عام 2016، حيث قال: הרצל ביקר בירושלים לפני 118 שנים, ומצא עיר מוזנחת, אך הדגיש כי גם בחורבנה כיום, עדיין היא עיר יפה, ויכולה, אם נבוא לכאן, להיות אחת מהערים היפות בעולם. אני חושב שהרצל היה מעריך שגם בתחזית הזאת הוא צדק. **هرتزل زار القدس قبل 118 عامًا، ووجدها مدينة مهملة، لكنه شدد على أنه حتى في خرابها الحالي، لا تزال**

(1) https://www.inn.co.il/Generic/Generic/SendPrint?print=1&type=0&item=298606 18/05/2015

(2) https://www.maariv.co.il/news/israel/Article-543998
01/06/2016 12:50

مدينـة جميلة، وبالإمكان إذا جئنـا إلى هنا، يمكن أن تكون واحدة من المدن الجميلة في العالم. باعتقادي أن هرتزل كان يقدر أنه كان محقًا أيضًا في هذا التوقع [1].

بالنظر إلى الاسـتشهاد السابق، نجد أن البعد الزماني الذي ركز عليه نتنياهو في خطابه يعود إلى 118 عامًـا الذي يفصل تصريحه عـن تصريحات هرتزل عام 1898 أثناء زيارته إلى أرض فلسـطين قبـل احتلالها، حيث كانـت انطباعته الأولى عن القدس غـير إيجابية، فقد كتب في يومياته يقول:

"عندمـا أتذكـرك يـا قـدس، ليس بـسرور أذكـرك، بقايـا قديمة من ألفي سـنة من الفشـل الشـخصي، تعصـب، ظلمة، قـذارة تسود في أزقتك المشـتعلة.. إذا ما سـيأتي يـوم والقدس ستكون لنا...، أولًا- سأقوم فيها بتنظيف أساسي[2]**"**.

كما وظف نتنياهو البعد الزماني في خطابه أثناء افتتاح السفارة الأميركية بالقدس عام 2018، حيث زعم قائلا: **قبل ما يزيد على مائة عام، اعترف إعلان بلفور بحق الشـعب اليهودي في إقامـة موطنـه على هذه الأرض. وقبل سـبعين عامًـا تمامًا أصبح الرئيـس الأميركي ترومان أول زعيم في العالم يعترف بالدولة اليهودية الجديدة. وفي شهر كانون الأول/ ديسمبر 2017 أصبـح الرئيـس ترامب أول زعيـم في العالم يعترف بأورشـليم كعاصمة لنـا. وفي هذا اليوم بالذات، تفتتح الولايات المتحدة أبواب سفارتها في هذا المكان بالذات في أورشليم**[3].

بالنظـر إلى هذا الاسـتشهاد، نجـد أن نتنياهو قد وظّف البعد الزماني بربـط وعد بلفور عام 1917 الذي أصدرته الحكومة البريطانيّة خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطـن قومـي لليهـود" على أرض فلسـطين بمواصلة الـدور الأميركي بمسـاندة إسرائيل مذكـرًا بالرئيس الأميركي الأسـبق هـاري ترومان الـذي اعترف بدولة إسرائيـل في أيار/

(1) https://www.maariv.co.il/news/israel/Article-543998
01/06/2016 12:50

(2) https://tiipid1.wordpress.com/2018/07/03/%D7%91%D7%A0%D7%99%D7%9E%D7%99%D7%9F-%D7%96%D7%90%D7%91-%D7%94%D7%A8%D7%A6%D7%9C-%D7%91%D7%A0%D7%99%D7%9E%D7%99%D7%9F-%D7%96%D7%90%D7%91-%D7%94%D7%A8%D7%A6%D7%9C-%D7%91%D7%A6%D7%A2%D7%99%D7%A8%D7%95

(3) كلمة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في مراسم افتتاح السفارة الأمريكية بأورشليم، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية بتاريخ 14. 05. 2018
https://mfa.gov.il/MFAAR/TheGovernment/Pages/US-Embassy-Jerusalem.aspx

مايو 1948 وكأنه أراد القول لجمهور المتلقين وغيرهم بأن اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيـل قد كان بمثابة ميلاد جديد لإقامة الدولة بدعم من الدول العظمى وفي مقدمتهم الولايات المتحدة وبريطانيا.

(3) مرجعيات الخطاب السياسي لنتنياهو إزاء القدس:

اتخـذ نتنياهـو من المرجعيات التاريخية والدينية إطارًا فكريًا لخطابه السـياسي حول القدس، لمحاولـة ربط تاريخ القدس القديم بالحاضر والواقع الذي فرضه الرئيس الأميركي دونالد ترامـب بالاعـتراف بالقدس عاصمة لدولة الاحتـلال، معتبرًا أن ترامب هـو خليفة الملك كـورش الفـارسي، حيـث قـال :ואחרי שעשה זאת הנשיא טראמפ ומגיע לו כל התשורה וההוקרה – להכיר בירושלים כבירת ישראל כמו כורש. כך עשו זאת פומפאו ונשיא ברזיל. והם מבינים את העומק של הקשר בינינו **وبعـد أن فعـل الرئيـس ترامـب ذلك، يستحق كل الهبـة والمكانة للاعتراف بالقدس باعتبارها عاصمة لإسرائيل مثل قورش، هكذا فعل ذلك بومبيو والرئيس البرازيلي. وهم يدركون العمق في العلاقة بيننا** [1].

بالنظـر إلى هذا الاسـتشهاد، نجـد أن الرئيس الأميركي دونالد ترامـب أصبح يتمتع بنفس مكانة الملك كورش الحاكم الفارسي، الذي وعد اليهود بتوطينهم في فلسطين سنة 538 قبل الميـلاد، وهـو ما جعله يحظى بمكانة خاصة لدى اليهود، أصبـح ترامب يتمتع الآن بمكانة مماثلة لها بعد اعترافه بالسـيادة الإسرائيلية على القدس المحتلة وقام بنقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس.

كـما وظـف نتنياهو المرجعية التاريخيـة والدينية معًا باتخـاذ أنبياء بني إسرائيل أشـعيا وداود نموذجـين؛ لإثبات حق اليهـود في إسرائيل بالقدس بدعوى أنهـا عاصمة أبدية لهم، حيث أوضـح نتنياهـو أثنـاء كلمته عـام 2015 في احتفـال يشيفـات ميركاز هـراف بالذكرى 48 على ما سـمّوه بيـوم توحيد القدس، قائـلاً : "היהודים במהלך הדורות התפללו לשנה הבאה בירושלים, עכשיו בגבעת התחמושת ציטטתי מדברי ישעיהו שניבא כאן בירושלים, אמרתי שיש כאלה בין אויבנו שאומרים שאנחנו נטע זר, אנחנו נטע זר? שמעתם? הנביא ישעיהו והמלך דוד היו פה לפני 3,000 שנים. הם ניבאו כאן, נאחזו בעיר הזו' **اليهود على مر الأجيال**

(1)https://www.srugim.co.il/345709-%D7%99%D7%95%D7%9D-%D7%99%D7%A8%D7%95%D7%A9%D7%9C%D7%99%D7%9D-%D7%91%D7%9E%D7%A8%D7%9B%D7%96-%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%A8%D7%A4%D7%99-%D7%96%D7%94-%D7%94%D7%9C%D7%91-%D7%A9%D7%9C

صلـوا لأجـل السنة المقبلـة في القـدس، الآن في جفعات هتحموشـت، اقتبست من كلمات أشـعيا الـذي تنبأ هنا في القدس. قلـت أن هناك كهؤلاء من بين أعدائنـا يقولون أننا دخلاء فهل نحن دخلاء ؟ أسـمعتم؟ كان النبي أشـعيا والملك داود هنا قبل 3000 سنة. فهم تنبأوا هنا، فتشبثوا بهذه المدينة[1].

كـما وظـف كذلك نتنياهـو المرجعيات الدينية التـي تتداخل نصيًّا مع العهـد القديم، حيث اسـتشهد في خطابه السياسي الذي ألقاه أثناء افتتاح السـفارة الأميركية بالقدس عام 2018 بأية مقتبسـة تتداخل نصيًّا مع سـفر زكريا الإصحاح 3:8 **قائلًا: وقد أعلن النبي زكريا قبل أكثـر مـن 2500: "قـال الرب قد رجعت إلى صهيون وأسـكن في وسـط أورشـليم فتدعى أورشليم مدينة الحق"**[2]..

(4) استراتيجيات التأثير والإقناع في خطاب نتنياهو حول القدس:

وظـف نتنياهـو اسـتراتيجيات التأثـير والإقناع لتحقيـق أهداف سياسـية، أثنـاء مشاركته في الاحتفـال الـذي تنظمه "يشيفت ميركاز هراف" بمناسـبة الذكرى الـ52 على ما يسـمى بـ"يـوم توحيـد القدس"، وجّه خطابه في ذلـك اليوم إلى الجمهور المسـتهدف من الحريديم والمسـتوطنين في محيط مدينة القدس للتأثير فيهم من خلال توظيف الاسـتمالات العاطفية، حيـث قال في احتفـالات عـام 2019 : "יום איחוד ירושלים מוקדש לאוהבי ירושלים בעבר ובהווה, מוקדש לתושבי ירושלים, מוקדש למשחררי ירושלים, מגני ירושלים, מוקדש לצה"ל ואנשי זרועות הביטחון ששומרים על בירתנו כל הזמן גם ברגעים אלה"."לא פחות מכך, יום ירושלים מוקדש לחולמים הגדולים בכל הדורות על ירושלים, בלעדי חלומם – אהבת ציון הייתה דועכת, אבל הם לא הפסיקו לחלום **يـوم توحيـد القدس مكرس لمحبي القدس في المـاضي والحاضر، ومكرس لسكان القدس، ولمحرري القـدس، ومدافعو القدس، مكرس للجيـش الإسرائيلي ورجال أذرع الأمن الذيـن يحافظون على عاصمتنا طيلة الوقت أيضا في هـذه اللحظات". ليـس أقل من ذلك، يوم القدس مكرس للحالمين الكبار في كل الأجيال حول القدس، من دون حلمهم، يتلاشى حب صهيون، لكنهم لم يتوقفوا عن الحلم".**

(1) موقع القناة السابعة،

https://www.inn.co.il/Generic/Generic/SendPrint?print=1&type=0&item=298606

(2) كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مراسم افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية بتاريخ 14. 05. 2018

https://mfa.gov.il/MFAAR/TheGovernment/Pages/US-Embassy-Jerusalem.aspx

كـما عمـل نتنياهـو من خـلال خطابه السـابق ضمنيا على حـث الحاخامات لدعمـه وتأييد سياسـاته، حيث قـال : "מאחל לישיבת מרכז הרב שתמשיך לתרום לקוממיות ישראל ברוח ובמעש – אנא הזמינו אותי בחגיגות המאה וגם את רעייתי. חג שמח לבירתנו ירושלים **أتمنى ليشـيفات ميركاز هراف مواصلة المساهمة في نهضـة الإسرائيليين بروح وفعل، وأن تدعوني في احتفالات المئوية وكذلك زوجتي. عيد سعيد لعاصمتنا القدس**"[1].

بالنظر إلى هذا الاسـتشهاد، نجد أن نتنياهو وظّف الاسـتمالات العاطفية لتحفيز يشيفيات ميركـاز هراف لدعمه في الانتخابات والتذكير بأنه حامـل راية الاحتفاظ بالقدس عاصمة أبديـة لإسرائيـل وتذكير مختلف الأجيال بدوره في الدفاع عـن القدس، حيث يحظى حزب الليكود الذي يتزعمه نتنياهو بأعلى نسبة تصويت بين سكان القدس ممن لهم حق التصويت في الانتخابات.

وفي ضـوء ذلك، نسـتشهد بتصريحات رئيس الحكومـة الإسرائيلية "بنيامـين نتنياهو" أثناء الكلمـة التـي ألقاها في الاحتفال بـ"يوم القدس" في "يشيفيـات ميركاز هراف"، حيث قال عـام 2017: "יש לי מחויבות עמוקה להמשיך לשמור על ירושלים מאוחדת, על הכותל, על הר הבית, ועל כל קודשֵי ישראל. ירושלים לא תחזור להיות 'אִילְיָה קַפִּיטוֹלִינָה', וירושלים לא תחזור להיות עיר שסועה כמו אחרי תש"ח. לדי التزام عميق بالاستمرار في الحفاظ على القدس موحدة، وعلى حائط المبكى، وجبل الهيكل، وعلى كل مقدسات إسرائيل. فالقدس لن تعود "إيليا كابيتولينا"، والقدس لن تعود كونها مدينة ممزقة مثل بعد 1948 [2].

نجـد أن "نتنياهـو"، حاول اسـتدعاء المـوروث التاريخـي؛ للتأكيد عـلى أن القدس وحائط البراق والحرم القدسي الشريف هم جزء من إسرائيل لا يجب التفريط فيها.

وقـد لوحظ تعمّد رئيس الحكومة الإسرائيلية الاسـتشهاد في سـياق تصريحاتـه بذكر "إيليا كابيتولينا"، حيث عرفت القدس باسـم "إيلياء" نسـبة إلى "إيلياء بن إرم بن سـام بن نوح"،

(1) **מרכז הרב | נתניהו: "לא ניפרד מירושלים לעולם"**،
https://www.srugim.co.il/345709-%D7%99%D7%95%D7%9D-%D7%99%D7%A8%D7%95%D7%A9%D7%9C%D7%99%D7%9D-%D7%91%D7%9E%D7%A8%D7%9B%D7%96-%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%94%D7%A8%D7%91-%D7%A8%D7%A4%D7%99-%D7%96%D7%94-%D7%94%D7%9C%D7%91-%D7%A9%D7%9C

(2) **נתניהו במרכז הרב: "ירושלים לא תחזור להיות איליה קפיטולינה"**
כ"ט באייר תשעז http://www.kikar.co.il/233308.html25.05.17 09:24

وهـو اسـم اعتمـده الإمبراطور الرومانـي "هادريان"، لتوافقه مع اسـم "إيليـا كابيتولينا"، فالاسـم «إيليـا»، هـو لقب عائلـة هادريـان، و"كابيتولـين جوبيتر" هـو الإلـه المعبود عند الرومان[1].

كما لوحظ كذلك تعمد "نتنياهو" تكرار عبارة "לאתחזור لن تعود" مرتين؛ في محاولة للتأكيد على التمسـك إلى أقصى درجة بهذه المقومات المقدسـة من وجهة نظره. ومن ناحية أخرى، يحاول إفقاد الفلسطينيين، الأمل في حقهم بأن تكون عاصمة دولتهم القدس الشرقية.

ولمغازلـة القطـاع الحريـدي الـذي يمثل نحـو عشريـن بالمئة من سـكان إسرائيـل والمعتنق للصهيونية الدينية، حاول نتنياهو التأكيد على الصلة الخاصة التي كانت تربط عائلته بالأب الروحي للصهيونية الدينية الحاخام "أفراهام كوك"، حيث أوضح ذلك في احتفال يشيفات ميركاز هـراف بالذكرى الـ48 على الاحتفال باليوم المزعـوم لتوحيد القدس، قائلا:"היתה הערכה הדדית עמוקה מאוד. סבי ראה ברב קוק את אחד ממורי הדור הגדולים שיש להם השפעה אדירה על נפש העם ונפש האדם. كان التقدير المتبادل عميق للغاية. فقد رأى جدي في الحاخـام كـوك واحدا من معلمي الجيل العظماء المعلمـين الذين لهم تأثير هائل على روح الشعب والبشر [2].

(5) المسكوت عنه في الخطاب السياسي لنتياهو عن القدس:

اختفـى من حجاجية الخطاب السـياسي لنتنياهو إزاء القـدس الأصل غير الإسرائيلي لمدينـة القدس، فلم يرد مـن ضمن الشواهد الدينية الواردة في الخطب السياسـية التي ألقاهـا رئيس الحكومـة المنتهية ولايته في ذكرى يوم توحيـد القدس المزعوم، نصوص العهـد القديـم التي تذكرنا بأن مدينة أورشـليم مدينة غريبة عـلى الإسرائيليين، والتي تؤكـد عـلى الأصـل غـير الإسرائيلي لهـا، "على سـبيل المثال تجاهـل نتنياهـو في خطابه الاسـتشهاد بالتداخـلات النصيـة مـع العهـد القديم في سـفر القضـاة الإصحاح 19 (12:11): "**11 وَفِيمَا هُمْ عِنْدَ يَبُوسَ وَالنَّهَارُ قَدِ انْحَدَرَ جِدًّا، قَالَ الْغُلاَمُ لِسَيِّدِهِ: «تَعَالَ**

(1) بيت المقدس والمسجد الأقصى 10 كانون الأول/ ديسمبر- 2015
https://www.alhabibali.com/writing/بيت- المقدس- والمسجد- الأقصى آخر تحديث 6 /تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، 12:30

(2) צפו: נתניהו בישיבת מרכז הרב
https://www.inn.co.il/Generic/Generic/SendPrint?print=1&type=0&item=298606،

نَمِيلُ إِلى مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هذِهِ وَنَبِيتُ فِيهَا». 12 فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: «لاَ نَمِيلُ إِلى مَدِينَةٍ غَرِيبَةٍ حَيْثُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَا. نَعْبُرُ إِلى جِبْعَةَ".

كما تجاهل نتنياهو كذلك في خطابه السياسي عن القدس ما ورد من نصوص في العهد القديم، تؤكد مرة أخرى مسألة الأصل غير الإسرائيلي لأورشليم في سفر حزقيال الإصحاح 16 (3:1): **"1 وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: 2«يَا ابْنَ آدَمَ، عَرِّفْ أُورُشَلِيمَ بِرَجَاسَاتِهَا، 3 وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ.**

وفي ضوء الاستشهادات السابقة ندحض ادعاءات نتنياهو التي حاول ترويجها لخطابه بشأن أحقية اليهود فقط في القدس وأنها العاصمة الأبدية لدولة الاحتلال، فقد أثبتت هذه الاقتباسات من العهد القديم ومؤرخيه لحقيقة أصل أورشليم ونشأتها التاريخية غير الإسرائيلية قبل تحولها على يد داود إلى المركز السياسي والديني لبني إسرائيل"[1].

وفي ضوء الحديث عن المسكوت عنه في الخطاب السياسي لنتنياهو إزاء القدس، فهكذا تشير نصوص العهد القديم إلى عدم قدرة القبائل الإسرائيلية على القضاء على الكنعانيين وقبولهم في النهاية للحياة وسط الكنعانيين، الأمر الذي أدى في النهاية إلى اندماج الإسرائيليين في الحياة وسط الكنعانيين، حيث لم يتمكن البدو الإسرائيليون من مقاومة الحضارة الكنعانية ولا من مقاومة الوقوع تحت التأثير الديني الكنعاني، وهو ماورد في العهد القديم بسفر القضاة الإصحاح 2(17:11):" 11 وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. 12 وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِم الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. 13 تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. 14 فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ.

15 حَيْثُمَا خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَكَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. فَضَاقَ بِهِمُ الأَمْرُ جِدًّا. 16 وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِمْ. 17 وَلِقُضَاتِهِمْ أَيْضًا لَمْ يَسْمَعُوا، بَلْ زَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا. حَادُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَارَ بِهَا آبَاؤُهُمْ لِسَمْعِ وَصَايَا الرَّبِّ، لَمْ يَفْعَلُوا هكَذَا[2].

(1) محمد خليفة حسن،عروبة القدس في التاريخ القديم مع تحليل نقدي لصورة القدس في العهد القديم، ص 15.

(2) المرجع السابق، ص21.

رابعًا- انعكاسات خطاب نتنياهو إزاء القدس على نتائج الانتخابات الإسرائيلية:

(1) تأثير خطاب نتنياهو على نتائج انتخابات الكنيست الـ20:

في ضوء انعكاسات خطاب نتنياهو على نتائج التصويت لصالح حزب الليكود الحاكم في إطار انتخابات الكنيست الـ20 التي أجريت في 17 آذار/ مارس 2015، فقد بلغ عدد أصحاب من لهم حق التصويت عامة في هذه الانتخابات 5,881,696، فيما بلغ إجمالي المصوتين 4,254,738.

وبلغ عدد الأصوات الصحيحة 4,210,884، فيما بلغت الأصوات الباطلة 43,854. وقد حصل حزب الليكود في هذه الانتخابات على 985,408 أصوات صحيحة، بواقع 40 , 23 بالمئة من نسب الأصوات الصحيحة، ليحصل على ثلاثين مقعدًا[1].

وفقًا للبيانات التي أعلنتها لجنة الانتخابات المركزية بالكنيست، بلغ عدد أصحاب من لهم حق الانتخاب في القدس 385,888 ناخبًا، فيما بلغ إجمالي عدد المصوتين في الانتخابات عام 2015 عدد 879 , 258 ألفًا، أي ما يقرب من 09 , 67 بالمئة، من بينهم 593 , 3 ألفًا من الأصوات الباطلة. في المجمل، بلغ عدد الأصوات الصحيحة في القدس 255,286 ألف صوت.

ويعدّ حزب الليكود الذي يتزعمه نتنياهو هو الأكثر شعبية بين أوساط سكان القدس من اليهود وفقًا لنتائج انتخابات الكنيست الـ20، فقد حصل حزب نتنياهو الحاكم كان على 61,874، ويشكل 24 , 24 بالمئة من إجمالي أصوات سكان القدس من اليهود، يليه في حصد أصوات الإسرائيليين بالقدس تكتل "يهدوت هتوراة وأجودات يسرائيل وديجل هتوراة"، الذي نجح في حصد 53,948 صوتًا بواقع 13 , 21 بالمئة من إجمالي أصوات الإسرائيليين من سكان القدس[2].

(2) تأثير خطاب نتنياهو على نتائج انتخابات الكنيست الـ21:

تبلورت انعكاسات خطاب نتنياهو على نتائج التصويت لصالح حزب الليكود في انتخابات الكنيست الـ21 التي أجريت في 9 نيسان/ أبريل 2019، حيث بلغ عدد أصحاب من لهم حق التصويت في هذه الانتخابات 6,339,729، فيما بلغ إجمالي المصوتين في هذه

(1) https://votes20.gov.il

(2) https://www.kolhair.co.il/jerusalem-news/86965

الانتخابات 4,340,253، وقد بلغ عدد الأصوات الصحيحة 4,309,270، فيما بلغت الأصوات الباطلة30,983.

وقد حصل حزب الليكود في انتخابات الكنيست الـ21 على 1,140,370 صوتًا صحيحًا، بواقع 46 , 26 بالمئة من نسب الأصوات الصحيحة، ليحصل على خمسة وثلاثين مقعدًا[1].

وفقًا للبيانات التي أعلنتها لجنة الانتخابات المركزية بالكنيست، بلغ عدد المصوتين في انتخابات الكنيست الـ21 في مدينة القدس 262,100 ناخب، بواقع 92 , 67 بالمئة من أصل من لهم حق الانتخاب في المدينة، وقد بلغ عدد الأصوات الصحيحة من مصوتي المدينة 260,051 ألفًا، فيما بلغ عدد الأصوات الباطلة 2,049.

كما كان حزب الليكود الحاكم في هذه الانتخابات هو الفائز الأكبر بحصد أكبر عدد من أصوات الإسرائيليين في القدس، فقد صوّت في القدس بانتخابات نيسان/ أبريل 2019 لصالح الليكود عدد 64,378 أي بواقع 76 , 24 بالمئة من إجمالي الأصوات الصحيحة، يليه حزب يهدوته توراة الذي حصل على 60,227 من الأصوات بواقع 16 , 23 بالمئة من إجمالي الأصوات الصحيحة، ويليه في الترتيب حزب شاس الذي حصل على 35,707 أصوات بواقع 73 , 13 من الأصوات الصحيحة للمصوتين في مدينة القدس[2].

(3) تأثير خطاب نتنياهو على نتائج انتخابات الكنيست الـ22:

تنافس خلال انتخابات الكنيست الـ22 (29) قائمة، استمر منهم فقط ليوم الانتخابات تسع تكتلات حزبية، في مقدمتهم تكتل الليكود كولانو وتكتل كاحول لافان، وقد بلغ عدد من لهم حق التصويت في هذه الانتخابات 6,394,030، فيما بلغت الأصوات الصحيحة 4,430,566، وبلغت الأصوات الباطلة 27,601.[3]

ووفق نتائج انتخابات الكنيست الـ22، فقد بلغ إجمالي من لهم حق التصويت في مدينة القدس 259,409 ناخبين، بواقع 29 , 63 بالمئة من الناخبين بالمدينة، فيما بلغ عدد الأصوات الصحيحة 257,624، وعدد الأصوات الباطلة 1,785.

ووفق نتائج الانتخابات، فقد كان حزب الليكود الحاكم من بين الأحزاب الأكثر تصويتًا في مدينة القدس، حيث حصل في القدس على 59,239 ألف صوت، بواقع 99 , 22 بالمئة من

(1) https://votes21.bechirot.gov.il/

(2) https://www.kolhair.co.il/jerusalem-news/107774/

(3) https://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001301436

إجمالي الأصوات الصحيحة، فيما جاء حزب "يهدوت هتوراة" في هذه الانتخابات الأعلى تصويتًا بين الأحزاب، حيث حصل على 64,137 صوتًا، بواقع 9 ,24 بالمئة من إجمالي الأصوات الصحيحة، ويجري الحديث في هذه الانتخابات عن زيادة لحزب يهدوت هتوراة بلغت نحو 3,000 صوت، مقارنة بالانتخابات السابقة، ومرجعية تراجع نسب التصويت لصالح الليكود في القدس عن انتخابات الكنيست الـ21 يرجع إلى احتمالية اعتقاد سكان المدينة بفشل نتنياهو في تشكيل الحكومة، كما حدث مع سيناريو انتخابات الكنيست الـ21، وهو ما دعم موقف حزب يهدوت هتوراة، حتى تصبح الأحزاب الحريدية قوة لا يستهان به وتفرض سياستها على أي رئيس حكومة إسرائيلية جديد حتى وإن لم يكن نتنياهو[1].

الخاتمة

وظف نتنياهو في ضوء مضامين خطابه السياسي عن مدينة القدس العديد من الحجج الإقناعية التي جمعت بين الاستمالات العاطفية والعقلانية وكذلك الترغيب في حث سكان مدينة القدس من الإسرائيليين في الحفاظ على المشروع الاستيطاني وتخليد اسمه مع مرور الأجيال، باعتباره تيودور هرتزل جديدًا نجح في إعادة أحقيتهم المزعومة في أن تكون القدس عاصمة أبدية لدولة الاحتلال، على اعتبار أنها عاصمة العقيدة اليهودية التي من دونها لا يكون لليهود أية مرجعية دينية أو سياسية باحتلالهم الأرض.

تجلت المرجعيات التاريخية والدينية التي نجح نتنياهو في توظيفها لإرساء المعتقدات والأساطير اليهودية التي تثبت للوجود اليهودي والإسرائيلي في المدينة منذ قرون.

ركز نتنياهو على بعض النصوص والاستشهادات التي تتداخل نصيًا مع العهد القديم وخاصة المأخوذة منها من سفر التكوين، متجاهلًا لنصوص أخرى من سفر القضاة وحزقيال تثبت الأصل غير الإسرائيلي للقدس وهو ما يدحض ادعاءاتهم بأحقيتهم في القدس.

ظهرت انعكاسات تأثير خطاب نتنياهو عن القدس في انتخابات الكنيست الـ20 عام 2015 والكنيست 21 في نيسان/ أبريل 2019، فيما تراجع التأثير نسبيًا للتصويت لصالح الليكود في مدينة القدس للمركز الثاني بعد تصدره للمركز الأول في الانتخابات السابقة.

(1) https://www.kolhair.co.il/jerusalem-news/107774/

الحرم القدسي الشريف

د. خالد عزب

رئيس قطاع المشروعات والخدمات بمكتبة الإسكندرية

شهد العصر الأموي نزاعًا حضاريًّا بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية للسيطرة على العالم القديم، واتخذ هذا النزاع صورًا متعددة؛ منها تعريب طراز أوراق البردي التي كانت تصنع في مصر، وتعريب النقود في إطار سياسة رسمها عبد الملك بن مروان؛ الهدف منها إرضاء الشعور الديني والسياسي للمسلمين، كذلك اتجه عبد الملك بن مروان في إطار هذا المخطط الشامل إلى العمارة التي ترمز إلى سيادة الدولة واتجاهها الفكري، ففي القدس تبنّى مشروعًا ذا طابع سياسي ديني حضاري، يرتكز على الاهتمام بعمارة الحرم القدسي الشريف وخاصة قبة الصخرة والمسجد الأقصى، لارتباط هذا الحرم بالعقيدة الإسلامية، فهو أولى القبلتين، وفيه صلى الرسول بالأنبياء، وإليه كان إسراؤه ومنه كان معراجه، ولما كانت عمارة الحرم آنذاك بسيطة لا تتناسب مع ما حولها من كنائس، خصوصًا كنيسة القيامة المقدسة لدى المسيحيين، ومع ما قد تحدثه عمارة الكنائس في نفوس بعض المسلمين، ورغبة عبد الملك في إثبات الهوية الحضارية الجديدة للمدينة، تبنّى مشروع عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

جاءت جميع أبنية القدس الشريف من الحجر، استعمل في بنائها مونة الجير، فلم يكن الإسمنت معروفًا ولا العقود الحاملة للإسمنت معروفة، والعقود الحاملة للأسقف بنيت

مـن الحجـر أيضًا، وشـبابيك الأبنية صغيرة المسـاحة ومفتوحـة في جدران سـميكة لتؤمن التهويـة والإضـاءة، وتمنع دخول الأشـعة المبـاشرة في الوقت نفسـه، وتطل بعـض الأبنية عـلى الطريـق من خـلال مشربيات خشبية جميلة الصنع تسـاعد في تهوية البيت، وتسـتعمل أيضًا للجلوس والاسـتراحة ومشاهـدة الطريق دون أن تعرض أهـل البيت إلى نظر المارة، وتتلاصـق الأبنية بعضها مع بعض، وكأن القدس عبارة عن مبنى واحد متشابك الأجزاء، ومكون لنسيج المدينة الجميل الهادئ المتعاضد.

تتجلى بساطة التصميم في المساكن بتوفير الساحات الداخلية المكشوفة، (الصحن أو الفناء) كـما يعـرف أحيانًـا، والتي تعد مـن أهم مميـزات العمارة الإسـلامية، كما أن النقـاء الهندسي والبساطة وتأدية الوظيفة، واستعمال المواد الإنشائية المحلية والتهوية الجيدة والتجانس بين الأبنية في المدينة المقدسـة؛ كل ذلك يعدّ من الأسـس المهمة في تطبيق فن العمارة الإسلامية، وتعـد مدينة القدس مدرسـة للفن المعماري الإسـلامي، وتغطي مرحلة ليسـت قصيرة من العصور الإسلامية ابتداء من الأمويين حتى العثمانيين.

يقع الحرم القدسي الشريف في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس أعلى جبل «ألموريا» وتشغل مسـاحته حوالي 260 مترًا مربعًـا، ويتصل الحرم الشريف بباقي أجزاء المدينة بطرق تتفـرع من أبـواب الحرم الشريف التسـعة وتمتد بين أجـزاء المدينة المختلفـة ذات الوظائف المتعددة، وتمتاز طرق المدينة المقدسـة بأنها ضيقة ومخصصـة للمارة وبعضها مغطى ببائكات معقودة، ونجد بعضها الآخر مفتوحًا، وبنيت المدارس والمساكن، والزوايا، والسبل للسقاية عـلى جانبي الطريق، ومثل هذه النوعيـة من الطرق توفر الظلال المريحة للمشاة وتخفف من حدة حرارة الجو، وتمنع سقوط أشعة الشمس مباشرة على المارة وخصوصًا في الصيف.

أما الطرق المخصصة للأسـواق بالمدينة فمفتوحة على بعضها البعض لتسـهيل الاتصال من سوق إلى آخر. أما الحارات السكنية فينتهي بعضها إلى نهاية مسدودة لتوفر للحارة الواحدة الشعـور بالاسـتقلالية، وبإمكان الإنسـان أن يقطـع جميع طرق القـدس الشريف في وقت قصير، وأن يقضي جميع احتياجاته سيرًا على الأقدام دون تعب أو ملل.

يضـم الحـرم القدسي عددًا مـن المنشـآت المعمارية الإسـلامية؛ منها قبة الصخرة والمسـجد الأقـصى، بالإضافـة إلى عـدد من الأسـبلة والقباب التي بنيـت على فـترات تاريخية مختلفة، بالإضافـة إلى عدد مـن المآذن والعناصر المعمارية الأخرى من منابـر ومحاريب، يحيط بالحرم

سـور فُتحـت به عدة أبواب يصل عددها إلى خمسـة عـشر بابًا، وفيما يـلي وصف تفصيلي لما يضمه الحرم القدسي الشريف من هذه المنشآت.

المسجد الأقصى

للمسـجد الأقصى مكانة رفيعة في العقيدة الإسـلامية، فقد أسري بالرسـول محمد صلى الله عليه وسلم إليه، ومن رحابه عرج به إلى السماء، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهـو يقـع في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي الشريف، أمـر ببنائه في موقعه القديم الخليفة عمـر بـن الخطاب، بعد فتح بيت المقدس بصورة بسـيطة، ولم يسـهب المؤرخون في وصف عمارته.

تاريخ المسجد الأقصى

تعددت الروايات حول من بنى المسـجد الأقصى، فمنها ما تقول إن الملائكة هم الذين بنوا المسجد الأقصى بأمر الله عز وجل بعد أن كانوا قد بنوا المسجد الحرام قبل ذلك بنحو أربعين سـنة، وذلك اعتمادًا على الحديث الشريف، روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال «قلت يا رسـول الله أي مسجد وضع في الأرض أولًا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال أربعون سنة».

وهنـاك رواية ثانية حول بناء المسـجد الأقصى المبارك، إذ يذكـر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: إن آدم عليه السـلام هو أول من بنى البيت ويعني بذلك المسـجد الحرام، ويجوز أن يكون ولده قد بنى البيت في القدس الشريف بعد ذلك بأربعين سـنة، كما يذكر القرطبي أن سـيدنا إبراهيـم عليه السـلام كان قد جدد بناء البيت الحرام الذي أسسـه غـيره، معتمدًا في ذلك على تفسـير الآية الكريمة «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت»، فهي من وجهة نظر القرطبـي ليس فيهـا ما يفيد أن إبراهيم عليه السـلام هو أول من بنى المسـجد الحرام بمكة المكرمـة، وعليـه يمكن أن يكون قد جدده، وهذا الأمر نفسـه ينطبق على الرواية القائلة بأن سـليمان عليه السـلام هو الذي بنى المسـجد الأقصى في مدينة القدس، وتعتمد هذه الرواية الثانيـة على ما رواه الإمام عـلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: «أمر الله تعالى الملائكة ببنـاء بيـت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلـق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء، ثم اسـتتم بناءه إبراهيم عليه السلام»، ومعروف أن أول بيت بني في الأرض هو البيت الحرام، وثاني بيت بني في الأرض هو المسجد الأقصى استنادًا إلى حديث

الرسـول الذي ورد ذكره من قبل، وعليه سـميت القدس في فترة معينة باسم بيت المقدس، وبيـت المقدس نسـبة إلى المسـجد الأقـصى المبارك، كـما أن اسـم مدينة القدس كان يسـبقه أحيانًـا كلمة بيت وأحيانًا كلمة مسـجد، مثل مسـجد إيلياء، والمسـجد الأقصى، ووصفت تلك المدينة بالقدسـية المباركة، فورد من بين أسـماء القدس اسم الأرض المباركة، والأرض المقدسة، والقدس الشريف وغير ذلك من الأسماء ذات الطابع الديني المقدس.

والروايـة الثالثـة حول بناء المسـجد الأقصى ملخصهـا أن ملكي صادق اليبـوسي الكنعاني كـان يعتقد بشكل جازم في عبـادة التوحيد، وكان هو وجماعته مـن المعتقدين بأن الله واحد لا شريـك له وهو يشمـل برعايته كل الخلق، وعليه فإن الملكي صـادق وجماعته التوحيدية آمنوا بدين التوحيد منذ نحو 4000 سنة، وقد وضعوا أسس تلك العبادة في مدينتهم مدينة السلام أو القدس فيما بعد.

ويذكر لنا صاحب الأنس الجليل أن «ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس بالشام وسدوم وغيرهما...».

وجـاء في قامـوس الكتاب المقـدس أن «ملكي صادق كان محافظًا على سـنة الله بين شـعب وثني، ولذلك كانت له الأسبقية على إبراهيم عليه السلام وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه، ويعني القاموس بالكهنة، أي الأنبياء الذين هم من نسل إبراهيم عليه السلام».

وهنـا نلمـس الصلة والعلاقة بـين إبراهيم عليه السـلام وملكي صادق الـذي كان صديقًا حميمًا لإبراهيم عليه السـلام، وكان كاهنًا لله العلي حسـبما ذكرته لنا التوراة، ومن الثابت في الروايات التاريخية أن إبراهيم عليه السـلام كان معاصرًا لملكي صادق، وكان إبراهيم عليه السلام قد زار ملكي صادق في مدينة السلام التي بناها اليبوسيون بزعامة ملكي صادق.

وقد اتخذ ملكي صادق أرض المسـجد الأقصى أو ما يعرف بأرض مسجد القدس الشريف مكانًا للعبادة والتعبد، وبنى في هذا المكان معبدًا كنعانيًّا يبوسـيًّا يمارس فيه العبادة لله العلي هـو وجماعتـه الذين اعتقدوا بما كـان يعتقد، ويقول صاحب الأنـس الجليل في هذا الصدد: «وهـذه الأقـوال، أي الأقوال التي تقول إن المسـجد الذي بناه سـليمان عليه السـلام» تدل على أن بناء داود وسـليمان عليهما السـلام له إنما كان على أسـاس قديم لا أنهما المؤسسـان له بـل هما مجـددان، وهنا فإن صاحب الأنس لا يجزم بأن البناء القديم الذي بنى عليه سـليمان

عليه السلام مسجده كان معبد ملكي صادق، وإنما يؤكد ما رواه القرطبي بأن سليمان عليه السلام ليس أول من بنى المسجد الأقصى، كما أن إبراهيم عليه السلام ليس هو أول من بنى المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وتأسيسًا على ما ورد ذكره، فإن بناء بيت للعبادة في بقعة المسجد الأقصى المبارك كان على يد ملكي صادق الملك اليبوسي الكنعاني العربي، وهذا يوضح لنا أن مبدأ التوحيد الصادق والعبادة الصادقة لله تعالى كان منبعها وأصلها عند العرب وهم الذين انطلقوا بهذا التوحيد لينشروه بين الأقوام والشعوب الأخرى غير العرب، وبهذا الأسلوب الديني العملي لدى العرب، يكون اليبوسيون العرب هم الذين بنوا مكانًا لعبادة التوحيد في بقعة المسجد القدسي الشريف.

وهكذا كان في القدس قديمًا بقعة مطهرة ومقدسة رُويت عنها الروايات التاريخية القديمة والكتب السماوية تمجيدًا لها واعترافًا بطهرها وقداستها، وكانت تمارس في هذه البقعة المطهرة الشعائر الدينية الخالصة لوجه الإله الواحد العلي، وهذه البقعة المطهرة هي المسجد الأقصى القديم، وفي هذه البقعة المشرفة كان يصلي إبراهيم عليه السلام عندما زار القدس في عهد ملكها ملكي صادق المؤمن بالتوحيد، ومن هنا فإن المسجد الأقصى تنسبه بعض الروايات التاريخية والدينية إلى إبراهيم عليه السلام، ولا يستبعد أن يكون ملكي صادق قد أفاد من إسلام إبراهيم عليه السلام وممارسته شعائر الإسلام في بقعة المسجد الأقصى، ولا يستبعد أيضًا أن ملكي صادق كان قد أفاد من نمط عمران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم أو أضاف إليه أو جدده، وفي هذه الحال يمكن أن يكون البيت الذي بناه ملكي صادق للعبادة التوحيدية هو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الإسراء.

ومن الواضح في حديث الرسول الكريم الذي رواه أبو ذر قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض قال: «المسجد الحرام»، قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟.....» فمن الواضح أن هناك فرقًا زمنيًّا كبيرًا بين المسجد الحرام وبين المسجد الأقصى، وقد يصل هذا الزمن ليس إلى مدة أربعين سنة، وإنما إلى حوالي ألف سنة، فعليه قال القرطبي إن إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام جددا المسجد الحرام والمسجد الأقصى وهما ليسا أول من بناه.

أعاد بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام 72هـ/ 692م، وأتمه من بعده ابنه

الوليد بن عبد الملك عام 86هـ/ 705م.

اجتهد عبد الملك بن مروان وولده في أن يكون المسجد الأقصى أفخم من مسجد دمشق، حتى إنه يذكر أن أبوابه كانت مصفحة بالذهب والفضة، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وسكها دنانير ودراهم للإنفاق منها على تعمير المسجد وإصلاحه.

بعد استيلاء الصليبيين على القدس عام 492هـ/ 1099م، جعلوا قسمًا من المسجد الأقصى كنيسة وحولوا القسم الآخر إلى مسكن لفرسان الهيكل ومستودع لذخائرهم.

ومع استرداد صلاح الدين لبيت المقدس أعاد إصلاح المسجد الأقصى وكسا قبته بالفسيفساء وهي مصفحة من الخارج بالرصاص، كما زوَّد المسجد بمنبر من الخشب مُطعَّم بالعاج واللؤلؤ أتى به من مدينة الشهباء، وقد وضع على يمين المحراب وهو المنبر الذي احترق خلال الحريق المدبَّر الذي نفذه يهودي موتور في عام 1968م، ووراء المنبر أثر قدم السيد المسيح، وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكارًا لاستشهاده، وقد أطلق على جزء من تلك الجهة من الجامع الأقصى «جامع الأربعين شاهدًا»، ثم توالت أعمال التجديد والإضافات على المسجد الأقصى خلال عصور ملوك بني أيوب والمماليك وسلاطين بني عثمان، وأنشئت فيه أروقة، وعُمِّر سقفه وصُفِّح بالفسيفساء والرخام وفرشت أرضه بالسجاد العجمي، ووصلت مساحته إلى 4400 متر مربع، وتحمل عقود أروقته 53 عمودًا من الرخام و49 دعامة مربعة الشكل، وترتكز قبته الشهيرة على ثمانية أعمدة، كذلك يوجد تحت المسجد الأقصى دهليز واسع يسمى الأقصى القديم يتألف من سلسلة من عقود تقوم على أعمدة ضخمة.

ولأروقة مسجد الأقصى واجهة تتكون من ستة عقود مدببة، يتوسط تلك الأروقة والمغطاة بقبوات متقاطعة رواق أوسط أكثر اتساعًا يتقدمه أيضًا عقد مدبب، وقد وجد نقش أعلى واجهة الرواق الأوسط بالجامع الأقصى، مؤرخ بعام 614هـ/ 1217: 1218م، ونصه كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنشئت هذه الواجهة للأروقة في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي العزائم عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر بن أيوب بن شادي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما، وذلك في سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله.

وصف المسجد

يقع المسـجد الأقصى في الطرف الجنوبي من فناء الحرم الشريف ويشغل بوضعه الحالي حيزًا مسـتطيل الشكل طوله 69 مترًا وعرضه 51 مترًا تقريبًا، وهو يتكون من رواق أوسـط كبير يؤدي إلى المحراب، تكتفه من كل من الجانبين ثلاثة أروقة أقل منه ارتفاعًا ويغطيه «جمالون» ضخـم من الخشب المصفح بألواح من الرصاص وينتهي من الجهة القبلية بقبة مرتفعة أمام المحـراب، أمـا الأروقـة الجانبية فممتـدة من الشـمال إلى الجنـوب موازية في ذلـك للرواق الأوسط، ويغطي الرواقين المجاورين مباشرة للرواق الأوسط سقفان من الخشب، أما بقية الأروقـة الجانبية فمغطاة بقبوات مصلبة ومحمولة على عقود ترتكز بأطرافها على أكتاف من الحجر بخلاف الأروقة الأخرى فإنها محمولة على صفوف من الأعمدة.

وأمام الواجهة الشمالية للمسـجد رواق ذو سبع فتحات معقودة يقابلها سبعة أبواب تؤدي إلى داخل المسـجد، ويوجد في الجانب الشرقي بابان يؤدي أحدهما إلى مسـجد سـيدنا عمر والآخـر إلى فنـاء الحرم، كـما يوجد في الجانب الغـربي بابان أيضًا أحدهما يؤدي إلى مسـجد النساء والآخر إلى ساحة الحرم، وبجوار المحراب باب يؤدي إلى بناء قديم.

مـن الصعب معرفة ماهيـة الزينة التي جعلت البناء فخمًا ومميـزًا في فترته الأولى، ومن أقدم المكتشفـات التي وصلـت إلينا من القرن الثامن، مجموعة من الألواح الخشبية المصنوعة من خشـب السرو كانت تزين الجـدران، وكانت مرتبة بشكل عمودي عـلى الجدران الداخلية للمسـجد فوق مساند، وهذه الحشوات محفوظة الآن في متحف الآثار الفلسطيني ومتحف الآثـار الإسـلامية بالحـرم، وقوام زخارف هذه الحشـوات عناصر نباتية مـن زهور وفواكه وأوراق الأكانتس والعنب والرومان، بالإضافة إلى ساق تنتهي بباقة من الزهور، بالإضافة إلى عناصر هندسية على شكل معيّنات.

في الجزء المحاذي للحائط القبلي بالمسـجد الذي تنتصب فوقه القبة مجموعة من الفسيفسـاء قام بترميمها الخليفة الفاطمي الملك الظاهر 418هـ/ 1207م، ويلاحظ الاختلاف الجذري في الأسـلوب بينهـا وبين تلك الموجـودة على طبلة قبة الصخرة والتي نسـبت خطأ إلى عهد الظاهر.

محراب المسجد الأقصى

يحفّ بحنية المحراب عمودان من الرخام ذوا تاجين حُفرت عليهما رسوم لأوراق الأكانتس، يشغل بدن كل منهما الرخاميين تجزيعات، أما محارة المحراب فهي مغطاة بقطع من الفسيفساء قوام زخرفتها أشكال دوائر متداخلة تشغلها مراوح نخيلية ووريدات.

يعلو حنية المحراب نقش نفذ بخط النسخ يشير إلى تجديده على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/ 1187م، نفذ هذا النقش بالخط النسخ، ويقرأ كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة».

كما يشغل نقش آخر إطار حنية المحراب، قوامه كتابة كوفية في ثلاثة أسطر نصها كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.

وحسبما ورد بالنص التجديدي، فإنه يمكن القول إن المحراب كان موجودًا قبيل الوجود الأيوبي بالقدس، ويذكر الهواري الذي زار القدس في عام 569هـ/ 1173م، أنه لاحظ عدم مساس الإفرنج بمحراب المسجد، إلا أن عماد الدين يذكر أن هناك جدارًا قد بني على يد الإفرنج من أجل إخفاء معالم محراب المسجد، إلا أن هذا الجدار أزيل عند مجيء صلاح الدين الأيوبي للقدس عام 583هـ/ 1187م.

منبر المسجد الأقصى

تعود قصة بناء منبر المسجد الأقصى المبارك إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي كان قد عزم على تحرير بيت المقدس، وأن يصنع «لأجل القدس» منبرًا فريدًا في صنعته وفي هيبته يوضع في المسجد الأقصى المبارك، فأصدر أمره عام 563هـ/ 1167م، بصنع مثل هذا المنبر الذي انتدب للعمل فيه أمهر الصناع الذين ربما اختاروا الخشب لصناعته فيما يقرب من ثماني سنوات.

كانت حلب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي مكان صناعة هذا المنبر، وتحديدًا منطقة «الحلوية» منها، فقد كانت حلب في تلك الفترة معروفةً برقي صناعتها الخشبية بالذات، وبراعة صناعها الذين اشتهرت منهم عوائل وأسر تميزت فنيًّا وتاريخيًّا بالكثير من أعمالها الفنية الخشبية، ومنها بالذات: المحاريب والمنابر، المنتشرة في بعض مساجد سوريا وفلسطين ومصر.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أسرة «معالي» على أنها واحدة من أشهر هذه العوائل والأسر الفنية التي تولت صناعة العديد من هذه المحاريب والمنابر التي كانت وماتزال تحفًا فنيةً رائعةً يندر مثيلها في روعة الفن وإتقان الصنعة.

وعلى الرغم من أن هذه المصادر لا تذكر ذلك الفنان البارع في فنون النجارة والرقش والتطعيم والخط... صانع المنبر الذي كان نور الدين زنكي قد أمر به للمسجد الأقصى، سوى بلقبه «الأختريني» المنسوب إلى قرية في حلب، يبدو أنه كان يقيم فيها، يبرز التوقيع الفني لهذا النجار الحلبي محفورًا على الباب الأيمن من هذا المنبر: (صنعه سلمان بن معالي)، ومعه نخبة من أمهر النجارين والنقاشين منهم: حميد بن ظافر، وأبو الحسن بن يحيى، وفضائل بن يحيى الحلبي.

لم يتسنَّ لنور الدين زنكي تحقيق أمنيته في نقل هذا المنبر إلى القدس، إذ توفي قبل أن يتم تحريرها عام (583هـ/ 1187م)، من براثن الصليبيين، وتم نقله على يد القائد صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بنقل هذا المنبر إلى بيت المقدس، ليأخذ مكانه المناسب في المسجد الأقصى المبارك، ومن هنا صار هذا الأثر الفني الإسلامي الفريد يعرف بالمنبر القدسي أو منبر المسجد الأقصى المبارك أو منبر صلاح الدين الأيوبي.

ظل هذا المنبر قائمًا على حاله في المسجد الأقصى حتى عام 1388هـ/ 1969م حيث ارتكاب الجريمة الصهيونية البشعة التي تمثلت بقيام أحد اليهود المتطرفين بحرق المسجد الأقصى المبارك، فطال الحريق هذا الأثر القدسي الفني الفريد والرمز الخالد، ليتحول المنبر إلى رماد تالف، لم يتبقَّ منه سوى بعض القطع الخشبية الصغيرة المتفحمة.

يذكر شهود العيان، الرحالة والمؤرخون، أن هذا المنبر القدسي كان نادرًا في شكله وغرابة صنعته اللذين صار بهما تحفةً فنيةً مميزةً لا مثيل لها في العالم الإسلامي، كما كان عملًا فنيًّا ضخمًا في حجمه الذي يبلغ خمسة أمتار وخمسة وثلاثين سنتيمترًا طولًا، وأربعة أمتار عرضًا.

وكـان المنـبر القدسي مصنوعًا بشكل رئيس من الخشب المطعـم بالعاج والمنقوش بالزخرفة والكتابـة.. فقد اسـتخدمت في صناعـة هذا المنبر أنـواع عدة من الخشـب والعاج، وكانت المـواد الخشبية الداخلة في بناء المنبر قد تحددت في أنواع معينة من أخشاب: الأرز والصنوبر والأثـل التي شـكلت هيكل المنـبر الرئيس، ودخلـت في تطعيمه أنواع أخـرى من الخشب النـادر والنفيس مثل: التك أو السـاج الهندي الأصل، والأبنوس الذي مصدره السـودان، وهـي مواد تتصـف بالمتانة والمقاومة، بقصد تحقيق البناء الصلب والمتماسـك والمعمر لهيكل المنبر الذي ظل قائمًا على مدى أكثر من ثمانية قرون.

لم تحـد الطبيعـة القويـة لهيكل المنـبر الخشبي من الإمكانـات الإبداعية لفنـون وصنائع عدة اسـتخدمت في هذه المواد الخشبية وظيفته الاسـتعمالية في أبهـى مظهر جمالي يمكن أن يكون عليه المنبر، وقد كان هذا المنبر نتاج معرفة جمالية سامية وأسلوب فني رفيع، وصناعة عملية متقدمـة، تضافـرت جميعها في إنتاج ما يمكن أن نسـميه: فن المنبر.. الـذي تمثل في الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والخط العربي، والمقرنص، والخراطة، والتطعيم، والتعشيق..

يجمع هذا الفن الهندسـة وما يمكن أن تنتجه من أشـكال هندسـية مجردة وقادرة على التعبير عـن حقائق ومدلولات ثابتـة وموضوعية في النظام الديني الإسـلامي المقدس، من خلال علاقـات هندسـية ورياضية وموسـيقية تجعلها متجاوبـةً ومتناغمةً ومتواصلةً مع أشـكال نباتية حلزونية ملتفة حول نفسـها، لإظهار الوحدة الزخرفية، بعنصريها: الهندسي والنباتي، في صيغة أو منظومة إيقاعية واحدة على سطح المنبر من جهاته المختلفة.

ويدخـل الخـط العربي في صلب هذا الفن، ليـس من باب الكتابة التذكاريـة لتأريخ صناعة هـذا المنـبر وأعلامهـا المصممين والنجاريـن والمزخرفـين والخطاطين المذكوريـن على باب المنبر وواجهاته المختلفة: سـلمان بن معالي، وحميد بن ظافر الحلبي، وأبو الحسن بن يحيى... فحسـب، بـل دخل أيضًا بوصفـه البنية المعرفيـة والعرفانية الحاملة للنـص القرآني المقدس وبركته في كيان المنبر وهويته الإسـلامية الخالصة، فقد زينت جميع واجهات المنبر، الأمامية والخلفيـة... الشرقيـة والغربية، أشرطة كتابيـة بلفظ الجلالة بالخط الكـوفي، وبآيات قرآنية عدة بخط الثلث، ويظهر المهاد الزخرفي المزدوج، هندسـيًّا ونباتيًّا، لهذه الأشرطة الكتابية.. تقارب الأسـلوب الخطي بين الاثنين: «الكوفي»و«الثلث»، من الناحية الوظيفية لاستخدام الخـط عنـصرًا معماريًّا في الأبنية والمنشـآت المختلفة، إذ كانت الغلبـة في ذلك ماتزال للخط اليابـس الشكل «الكـوفي»، حتى القرن السـادس الهجري/ الثاني عشر الميـلادي الذي بدأ

يظهر فيه مثل هذا الاستخدام بخط «الثلث القديم» الذي ماتزال فيه بعض ملامح اليبوسة الكوفيـة كالثخن الواضح للقلم، والغلظة، وعدم تثبيت نقط الإعجام، والوضع المسـطور على مهاد زخرفي..

ولكنـه بدأت تظهر عليه ملامـح التغير الفني في الأداء والشكل، نحو مزيد من الليونة التي بانت ملامحها المبكرة في الوصل الرشيق بين الحروف، وتركيبها، واستخدام النقاط الدائرية أحيانًا والمربعة أحيانًا أخرى، وإدخال الحركات الإعرابية والتزيينية في المكتوب الخطي على هيكل المنبر.

وكـان للمقرنصات القاعدية الداعمة لقبة الأشـكال القوسـية والكرويـة والمكعبة في المنبر حضورها الواضح في فنه من خلال الإيقاع التكراري المنتظم والمتتابع في ترتيب يشبه شكل خلايا النحل أو شـكل التركيـب الهندسي البلوري المنطلق من أو المتجـه نحو مركز نظامي محدد.

ولم تكـن جماليـات هذه الفنون الزخرفية والخطية والقرنصية لتتجلى في فن المنبر الجامع لولا الصنائع الفنية الخشبية المتمثلة في الخراطة والتطعيم والتعشيق.

إذ قامت الخراطة بوصفها أسـلوبًا من الأسـاليب المسـتخدمة بشكل عضوي في مشربيات العـمارة الإسـلامية بإنتـاج الوحـدات الخشبيـة الزخرفية المتشابهـة في الشـكل وفي الحجم المعروفة بـ«الشبكيات» أو «المصبعات».

وقد أدت أسـاليب الخرط المختلفة وتقنياته إلى إنتاج قطع خشبية جميلة: طولية وأسـطوانية ومكعبـة ومثمنـة ومخروطيـة ومتقاطعة وغيرها ذات سـماكات مختلفة، تتراكـب مع بعضها بعضًا بأسلوب التعشيق الذي كان هو الأسلوب الأساس في ربط كل أجزاء المنبر وعناصره البنائية في هيكل واحد، دون استخدام لأي مادة لاصقة أو أداة مثبتة.

ولابد من الإشـارة أخيرًا إلى التطعيم أو الترصيع بالعاج والأبنوس الذي كان في حشوات المنبر المختلفة التي أعطت هيكله العام قيمةً جماليةً نفيسةً فوق قيمته الفنية والوظيفية.

إثـر إحراق المنبر، قامـت مباشرةً فكرة إعـادة بنائه، وبُذلت جهود طيبـة ومحاولات عديدة من قبل دول وحكومات ومؤسسـات عربية وإسـلامية لتحقيق فكرة إعادة بناء منبر جديد للمسجد الأقصى على غرار منبره الأصلي.

ولكن تنفيذ هذه الفكرة لم يكن سهلًا ولا ميسورًا، لخصوصية ما اشتمل عليه المنبر الأصلي من المواصفات التصميمية والمادية والتصنيعية الفريدة في تميزها وفي دقتها، فلم تثمر العديد من المحاولات العربية والإسلامية التي بذلت في هذا السبيل، ولم تستطع أن تقدم في هذا المجال سوى بعض المخططات الهندسية لأجزاء من المنبر، خالية من التفاصيل الفنية لتصميم شكل المنبر وطريقة صناعته.

ولعل ما زاد في صعوبة هذه المهمة هو عدم وجود نموذج متكامل للمنبر يمكن العمل على غراره، بالإضافة إلى أن الرسومات التي وضعت للمنبر لم تكن كافية، كما أن كثيرًا من الصور الفوتوغرافية التقطت للمنبر على فترات متفاوتة لا تعطي الوضوح الكافي الذي يساعد الباحثين في معرفة التفاصيل الدقيقة للعمل.

ولكن على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من إدراك صعوبة المهمة، أقدمت المملكة الأردنية الهاشمية على وضع فكرة إعادة بناء منبر صلاح الدين الأيوبي للمسجد الأقصى المبارك موضع الاهتمام والعمل على إنتاج منبر جديد يماثل تمامًا في شكله وفي صناعته المنبر القدسي الأصلي، ففي عام 1414هـ/ 1993م أمر جلالة الملك الحسين بن طلال، رحمه الله، بإعادة بناء منبر المسجد الأقصى، ووجّه باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة من أجل أن يكون المنبر الجديد وفقًا للصورة الأصلية التي بني عليها المنبر القدسي قبل نحو ثمانمائة عام، فأنيطت مهمة إعادة بناء هذا المنبر بوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية، ولجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة.

إن مثل هذا العمل الكبير لا يمكن تنفيذه دون إعداد دقيق لمخططات ورسومات هندسية تفصيلية لصورة المنبر الكلية، فقامت هذه الوزارة بطرح مسابقة لإعداد المخططات التنفيذية للمنبر، وقد اشتركت في هذه المسابقة مكاتب هندسية متخصصة عديدة من الأردن وخارجها، وقد فاز بهذه المسابقة مكتب المحراب للعمارة الإسلامية الذي اعتمد في إعداد المخططات على العديد من الوثائق الفنية والمعمارية المتعلقة بالمنبر، وقام بجمع معلوماتها من مكتبة الكونغرس في الولايات المتحدة الأميركية، ومن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، بالإضافة إلى الاستعانة ببقايا المنبر المحروق، وببعض المعنيين بالتراث الفني لبيت المقدس عامة، والمسجد الأقصى المبارك خاصة.

واستطاع فريق العمل أن يفيد من هذه المعلومات والصور والوثائق الأخرى في وضع 150 مخططًا لأجزاء المنبر وصورته الكلية، إذ تضمنت هذه المخططات تفاصيل الأشكال

والأعـمال الفنيـة لكل جـزء من أجزاء المنبر، حتـى أدق هذه الأجزاء التـي تحتوي مثلًا على أشـكال زخرفية بمسـاحة لا تتعدى بضع سـنتيمترات مربعة، لتتكامل صورة جسـم المنبر المؤلفة من قطع خشبية مختلفة الأحجام والمساحات، يقارب عددها الـ(16) ألف قطعة.

وقـد تـم ترميم كل القطع التي يتألف منها جسـم المنبر، ليجـري تركيب بعضها مع بعض، صغـيرة وكبـيرة حسـب مكانها الملائم، وصـولًا إلى تشكيل جسـم المنبر كامـلًا، وهنا لابد مـن أن نؤكـد على أن طريقة التركيب والبناء تجري بأسـلوب «التعشيق» الذي كان متبعًا في الفن الإسـلامي عامة، وفي صناعة هذا المنبر خاصة، وهو الأسلوب الرابط لعناصر الجسم الواحـد دون اسـتخدام أي مواد لاصقـة أو مثبتة، ويعتمد في ذلك عـلى متانة هذه العناصر وصلابتها، ووضعها في علاقات هندسـية مدروسـة من حيث التوزيع والنسـب، وقد تمت صناعـة هذا المنبر على مدى ما يقرب من أربع سـنوات، انتهـت في منتصف عام 1426هـ/ 2006م، وفي مطلـع عام 1427هـ/ 2007م تم نقل قطع المنبر جميعها في صناديق خاصة من عـمان إلى القـدس، وتـم تركيب هذه القطع مـع بعضها بعضًا حتى تم نصـب المنبر نهائيًّا في مكانه الأول من حرم المسجد الأقصى المبارك.

قبة الصخرة

تقع قبة الصخرة في قلب الحرم القدسي الشريف، حيث يحدّها الجدار الشرقي للحرم، ولقبة الصخـرة أهمية كبيرة من الناحية الدينية، فهي موقع معجـزة الإسراء والمعراج، ومن ناحية فنيـة وزخرفية فهي معلم يؤرخ للفن الإسـلامي في مراحل تكوينـه وتشكيله المبكرة، ومن ناحيـة معماريـة فهي تحفة رائعة فريدة لم يُبْنَ مثلها من حيث التصميم ولا من حيث الوظيفة في العـمارة الإسـلامية، فضلًا عن أنها تعـد أقدم معلم من معالم الحضارة الإسـلامية، وهي تشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف.

أنشأهـا الخليفـة عبد الملك بن مروان، وقد وكل على البناء «رجـاء بن حيوة» الذي كان من أشهر رجال فلسطين في العصر الأموي، و«يزيد بن سلام» وكان من بيسان وذلك بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان.

الوصف المعماري

تتخـذ القبـة مخططًـا ثماني الأضـلاع يحيط بالصخـرة المشرفة غـير المنتظمة الشـكل، فُتح في الأضـلاع الأربعـة التي تواجـه الجهات الأربعة الأصليـة باب يوصل لداخـل القبة، وهي

أبـواب مزدوجـة مصنوعة من الخشب المصفـح بالحديد، ولهذه الأبواب أسـماء عدا الغربي منها هي:

الجنـوبي: باب الأقصى، ويعرف أيضًا باسـم باب الصلاة وباب القبلـة، ويعلوه نقش كتابي قوامـه الآيـات من (143– 145) من سـورة البقرة «وَمَا جَعَلْنَـا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْـتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَـمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُـولَ مِمَّـنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْـهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَـلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَـا كَـانَ اللهُ لِيُضِيـعَ إِيمَانَكُـمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيـمٌ(143) قَدْ نَـرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّـمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُـمْ شَـطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِيـنَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُـونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَـا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُـونَ(144) وَلَئِـنْ أَتَيْـتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَـا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَـا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُـمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(145)».

الشـمالي: ويعـرف ببـاب الجنة، ويعلـوه نص كتابي بخط الثلث بما أجراه السـلطان سـليمان القانـوني عـام 959 هـ/ 1522م، ونصه: «قد جدد بحمد الله مـن قبة الصخرة ببيته المقدس الفائقة بناءها وشـيدها بـما أجرى من مناهلها الريقة الرواة الأثـر رونقًا وقصورًا ورواءها، وأجـزل لهـا في خلال ظلال دولته السـلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسـطة عقد الخلافة بالنـص والبرهان أبي الفتوحات سـليمان خان بن السـلطان المعروف بالإحسـان أبي النصر سـليم خان المخصـوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر ابن السـلطان بايزيد بن السـلطان المجاهد الأمجد السـلطان محمد بن عثمان، سـحّت على ثراهم سحب الرضوان، فأعاد إليها ذلك البهاء القديم بفواقه حذاق المهندسين تاريخًا في ذي (959) فجعلوه أحسن، قد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزي».

الشرقي: ويعرف بباب النبي داود، أو باب إسرافيل.

الغربي: ويواجه باب القطانين «أحد أبواب الحرم الشريف».

قُسّـم كل جدار من الجدران الثمانية لقبة الصخرة إلى قسـمين، كسي السـفلي منهما بقطع من الرخـام المعـرق، ويرجـع تاريخ بنائـه إلى عهد عبد الملـك بن مروان، وتختلـف زخرفة هذا الرخـام من جدار لآخر، أما القسـم العلـوي فتزينه بلاطات خزفية متعـددة الألوان تزينها وحدات زخرفية هندسية ونباتية، وقد فتح في كل ضلع من هذا القسم سبعة شبابيك، منها

خمس نوافذ تدخل الضوء والهواء للداخل، ونافذتان صماوان في كل طرف، ويدور حول الجدران الثمانية من الخارج نص قرآني لسورة «يس» كاملة وذلك بخط الثلث.

تقوم القبة من الخارج على رقبة دائرية، فتح بها ست عشرة نافذة كسيت بالزخارف الجصية ذات تكوينات نباتية وكتابية وهندسية ملونة، أما القبة فهي نصف كروية المقطع، تغطيها صفائح النحاس المطلي بالذهب، يعلوها الهلال الذهبي، ويدور حول رقبة القبة نقش كتابي قوامه الآيات من (1: 19 من سورة الإسراء):

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(1) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا(2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا(3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا(5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا(6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا(7) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا(8) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(10) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا(11) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا(12) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا(17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا(18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا(19)".

قبة الصخرة من الداخل

يشغل جدران البناء من الداخل ألواح من الرخام، وذلك حتى مستوى ارتفاع الأبواب، يعلو ألواح الرخام شريط حجري يدور حول الجدران تشغله تشكيلات من عناصر نباتية داخل أشكال على هيئة محاريب متتالية، طليت هذه الزخارف بماء الذهب.

تتخذ قبة الصخرة في تخطيطها من الداخل شكلًا مثمنًا يتكون من ثماني دعائم، يفصل كل دعامتين عمودان من الرخام يكوّنان فيما بينهما عقدين نصف دائريين، وتزخرف واجهات العقود زخارف من الفسيفساء قوامها عناصر نباتية وكتابية ذات ألوان مختلفة، قوامها صور أشجار كاملة بأوراقها وثمارها، طبيعية كالنخيل والزيتون والخيرزان، أو من ابتكار الخيال، ومن تشكيلات زخرفية نباتية متنوعة تمتزج بأواني الزهور والقواقع والورود والفواكه، وخصوصًا العنب والرمان والبلح والتين والكمثرى والتفاح، بوحدات أوراق الأكانتس الكبيرة رشيقة التفريعات، وتميزت زخارف الفسيفساء أيضًا بانتشار تصوير الأهلة والنجوم والمجوهرات المقتبسة عن الأصداف أو الأحجار شبه الكريمة وتنوعها الرائع الدقيق خلال التشكيلات النباتية، ومع غلبة الفسيفساء الزجاجية فثمة أحجار كريمة كالزمرد والفيروز ويغلب عليها اللون الأخضر بدرجاته والأزرق والذهبي، ثم تأتي بعدها درجات اللون الأبيض والأسود والبنفسجي والأحمر والفضي والرمادي الداكن، وجاءت أحجام فصوص الفسيفساء مختلفة، وقد ألصقت الفصوص الذهبية والفضية مائلة في بعض الأحيان لتعكس الضوء للمشاهد، كما يزين سقف هذا المثمن ألواح خشبية مربعة ذات أشكال هندسية منوعة.

يلي المثمن الخارجي منطقة دائرية تتكون من أربع دعائم، بين كل دعامتين ثلاثة أعمدة، تحمل هذه الدعائم ستة عشر عقدًا، تحمل العقود بدورها رقبة القبة التي تحمل خوذة القبة، زخرفت واجهات العقود وبطونها بزخارف من الفسيفساء لعناصر نباتية قوامها مزهريات، وتيجان وأوراق نخيلية وكيزان صنوبر وعناقيد وأوراق عنب وغيرها من العناصر الزخرفية النباتية، بالإضافة إلى الزخارف الكتابية الذهبية المنفذة على أرضية خضراء اللون منفذة بخط النسخ، وأغلب هذه الزخارف تعود إلى العصر الأموي، وهي تشبه ما يوجد من زخارف في المسجد الأموي بدمشق.

والقبة التي نراها من الداخل هي ليست القبة التي تشاهد من الخارج، ذلك أن قبة الصخرة

في الواقع قبتان، خارجية وداخلية، يفصل بينهما فراغ تقرب مساحته من المتر ونصف المتر، وذلك لحماية القبة الداخلية وزخارفها من العوامل الجوية، والزخارف الكتابية والهندسية التي تزين هذه القبة من الداخل والتي هي على أرضية من الجص، تعود في تاريخها إلى العهد الأيوبي والمملوكي، وذلك كما يظهر من نصوص الكتابات التي تزين هذه القبة، ومنها نص قرآني لآية الكرسي، كُتب بخط الثلث وذلك في أعلى القبة قريبًا من مركزها، كما نفذ نص آخر أسفل القبة بالقرب من رقبتها، وهو مقسم لعدة أقسام بواسطة صرر كتابية منفذ بخط الثلث، ويتضمن توثيق ترميم كل من السلطان صلاح الدين الأيوبي، والسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ونصهما كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك في شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة".

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في أرضه القائم بسننه وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون تغمده الله برحمته وذلك في سنة ثماني عشرة وسبعمائة".

المحراب الصغير تحت الصخرة المشرفة

يوجد محراب صغير تحت الصخرة المشرفة يهبط إليه بعدة درجات، وهو لا يشد اهتمام سوى عدد قليل من الزوار بسبب مساحته المتواضعة وبسبب الظلمة التي تخيم على مكانه، يبلغ ارتفاعه 1,37 متر، أما عرضه فهو 0,76 متر، وبدلًا من الحنية المعتادة المجوفة نراها هنا مسطحة، يحيط به عمودان تزينهما حزوز ويعلوهما تاجان يزين كل منهما بقرص ويعلو العمودين عقد ذو ثلاثة فصوص، وقد زين هذا العقد بكتابة من الخط الكوفي القديم بعبارة "لا إله لا الله محمد رسول الله".

والخلاصة يمكننا القول إن هذه القبة ذات التصميم الهندسي الذي يصل لحد الكمال والروعة كانت مزخرفة بالفسيفساء على كل سطوحها داخلًا وخارجًا، وكانت ومازالت تبهر الرائين، حتى إن كثيرًا منهم لم يملكوا أنفسهم من إضفاء كل صفات البريق واللمعان عليها، مهملين في الوقت نفسه، للأسف، أن يخبرونا ماذا كانت تلك اللوحات الفسيفسائية تمثل، ولا نستطيع أن نحكم على موضوعات فسيفساء القبة حكمًا كليًّا لأن جزءًا كبيرًا من

الفسيفساء الأموية فُقِد، ولكننا نملك بعض الشواهد على هذه الموضوعات من فسيفساء الرواق المثمن الداخلي، يمكن الانتهاء إلى رمزيتها السياسية عند ربطها بدقة عمارة القبة.

ومخطط القبة ليس غريبًا بالدرجة التي يبدو بها اليوم، فيرى بعض المستشرقين وعلماء الآثار العرب أن تخطيط قبة الصخرة ذو أصل روماني يعرف بمخطط ضريح الشهيد، وهو عبارة عن مخطط مركزي يتحلق حول بؤرة مهمة كضريح عظيم أو تمثال إله ليتمكن الزوار من الطواف حوله، وظيفته إذًا طقوسية طوافية، ولهذا السبب استعمل في الفترة المسيحية المبكرة في بلاد الشام، وفي مجمل الأراضي البيزنطية، وفي عمارة العديد من الكاتدرائيات المهمة؛ ككاتدرائية بصرى في حوران التي ماتزال بقاياها قائمة إلى اليوم، وكنيسة القيامة في القدس نفسها، وهما الاثنتان تعودان إلى فترة الحكم البيزنطي في عهد جوستينيان الذي حكم من 527– 565م.

ولكن قبة الصخرة أكثر هذه المخططات توازنًا هندسيًّا، وهي من دون أي شك قد قصد بها التمايز والتنافس مع قبة قبر المسيح في كنيسة القيامة التي تطل عليها من أعلى جبل ألموريا، ويرى الدكتور فريد شافعي أن تخطيط قبة الصخرة لا يطابق أي تخطيط لنماذج العمائر البيزنطية في منطقة بلاد الشام أو في غيرها، بل هو تحوير واقتباس منها ليتفق مع الغرض الذي شيد من أجله البناء، وهو أن يحيط بالصخرة، وهي البقعة المباركة التي عرج منها محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء حين أسرى به ربه من مكة المكرمة إليها، ولذا فقد روعي في التخطيط أن يوفر غرض تعيين تلك البقعة، ثم غرض الطواف حولها للتبرك بها، وهو أمر يختلف تمامًا عن الذي شيدت من أجله تلك العمائر الدينية البيزنطية ذات التخطيطات المشابهة التي عادة ما توجه نحو الحنية، ولا تتعدد فيها المداخل كما تعددت في قبة الصخرة، ومهما يكن من أمر، فإن تخطيطات تلك العمائر الدينية البيزنطية ليست ابتكارات بيزنطية أو سورية، بل كانت في الأصل تخطيطات رومانية دينية سابقة، أخذت بدورها من أصول إغريقية.

وتعد فسيفساء قبة الصخرة من الناحية الحرفية امتدادًا للفسيفساء البيزنطية في بلاد الشام والدولة البيزنطية، ولها العديد من الأمثلة في كنائس بلاد الشام والعاصمة القسطنطينية، وأشهرها آياصوفيا، وكنائس سالونيكا الإغريقية، غير أن فسيفساء قبة الصخرة ذات موضوعات معقدة في أصولها وكيفية اختيارها ومعانيها، فعلى خلاف النماذج البيزنطية التي تتشارك وإياها في التقنية، تركز لوحات قبة الصخرة على الموضوعات المحورة عن الطبيعة،

والتي ربما تكون تحويرًا لتيجان ملوك ومستلزمات وظيفتهم من صولجانات ومجوهرات وما شابهها، هذا فضلًا عن الموضوعات الزخرفية المنفذة بالأسلوب الطبيعي الواقعي، خاصة فيما يتعلق بزخارف النباتات، والثمار، والأوراق.

فعن الفسيفساء الخارجية لقبة الصخرة، تذكر بعض المصادر التاريخية أن بناء قبة الصخرة كان مغطى بالفسيفساء الملونة من الجهة الخارجية، كما هو الحال في الجدران الداخلية من جدران القبة، ويقول القزويني عن قبة الصخرة "فهي منمقة من الداخل والخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون"، كما يقول ابن بطوطة "في ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف"، أما مؤلف الحضرة الأنسية فيقول: "وأرض القبة مبنية بالرخام باطنها وظاهرها، ومزينة بالفصوص الملونة الباطن والظاهر".

إن الأمثلة السابقة من أقوال المؤرخين والرحالة الجغرافيين، تشير إلى تغطية الجدران الخارجية للقبة بالفسيفساء، دون تحديد لنوع الزخرفة، فهل هذه الإشارات التاريخية من قبل بعض المؤرخين والرحالة دليل كافٍ على وجودها؟ وأين هذه الفسيفساء؟ ولم استعيض عنها بالبلاط الأزرق؟.

هذا وقد أسهمت عدة ظروف في زوال الفسيفساء الخارجية، وذلك في الواجهات الشمالية والجنوبية الغربية، وأدت إلى الاستعاضة عنها بالبلاط الخزفي الأزرق الموجود حاليًا، وذلك في فترة تاريخية متأخرة، وأهم هذه العوامل؛ هي العوامل الطبيعية بالدرجة الأولى، كتعرض الفسيفساء للظروف الجوية المختلفة، من أمطار ورياح وجفاف ورطوبة ودرجات حرارة مختلفة، فقد أدت كل هذه العوامل عبر الزمن إلى تساقط أجزاء كبيرة منها، وترتب عليها تشويه كبير للجدران الخارجية، فتم استبدالها بمادة أخرى هي البلاط الخزفي، وبسبب أثر تلك العوامل تقرر إزالة البلاطات في هذه الجهات واستبدالها بأخرى جديدة، جرى استقدامها من استنبول، حيث كانت البلاطات الأصلية قد جرى استخدامها في عهد السلطان سليمان القانوني (1521– 1566م)، الذي جلب تلك البلاطات، وتم وضعها على الجدران، التي أصبحت جرداء نتيجة تساقط الفسيفساء، على أن سليمان القانوني قد استقدم كذلك خزافين من مدينة تبريز وأزنيق والذين تركوا تواقيعهم على الكثير من البلاطات، وهؤلاء استعانوا بطراز التحليات الفارسية القديمة، متخذين نماذج من الموضوعات النباتية المحورة عن الطبيعة، التي ميزت الطراز العثماني الجديد ذا صناعة الطلاء متعدد الألوان، وتمتاز البلاطات أيضًا بأنها تحتوي على لونين رئيسيين هما الأبيض والأزرق، وهي

من إنتاج مدينة أزنيق، وقد غطت البلاطات جدران الشكل الثماني الخارجي، والإطارات المحيطة بالنوافذ، إضافة لبعض التواشيح الخزفية لكرسي عنق القبة ونوافذها، على أن جلّ الأشكال الفنية المنفذة على البلاطات الخزفية، لا تتعدى الأشكال الهندسية، كالمعينات والمربعات، إضافة إلى بعض الزخارف النباتية، والإطارات الخزفية المزينة بالنصوص القرآنية التي تزين الأطراف العليا للواجهات، وقد تميز الطابع العثماني للبلاطات بمراوح زهرة اللوتس، والزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة.

إذا تذكرنا أن قبة الصخرة قد بنيت في القدس التي كان أغلب سكانها المسيحيين مازالوا يدينون بالولاء لإمبراطور القسطنطينية البيزنطي، في وقت كانت الدولة الأموية فيه في خضم صراع مرير مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام.

فالقبة مبنى معماري ذو رمزية سياسية ينبئ في القدس عن رغبة الدولة الأموية في بث حضارة جديدة تعبر عن أتباع الدولة المقيمين في المدينة، ويوجّه رسالة إلى الآخرين عن مدى قوة الدولة ومضمون رسالتها، وظلت قبة الصخرة بلونها الذهبي، رمزًا لمدينة القدس، يعلوها الهلال الذي يوازي اتجاه القبلة، وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال من فوق قبة الصخرة، وأقاموا مكانه صليبًا من الذهب، وعندما استرجع صلاح الدين القدس مرة أخرى سنة 583هـ/ 1187م تسلّق بعض المسلمين القبة واقتلعوا الصليب، وأعادوا الهلال إلى مكانه؛ هكذا شكّل الموقع الذي شيدت عليه قبة الصخرة جانبًا من الرمزية السياسية.

وإذا كان للقباب في بعض استخداماتها رمزية سياسية مباشرة أو غير مباشرة، فقد استخدمت أيضًا للتعبير عن مقر الحكم أو العرش بصورة صريحة، فقد كان يعلو قصر الإمارة في دمشق قبة خضراء أعطت القصر اسمه، كما قام الحجاج بتقليد سادته بإقامة قبة خضراء لدار الإمارة في واسط، وكان يعلو قاعة العرش أو الحكم بقصر الذهب في بغداد قبة كبيرة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح يعبّر عن قوة الدولة وبطشها في مواجهة أعدائها، وفي سامراء تميزت الدار الخاصة بالخليفة المعتصم بجناح قاعة العرش المؤلف من قاعة مربعة مركزية مسقوفة بقبة، واستخدمت القبة الخضراء كذلك لتسقيف دار العدل في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، التي شيدها الناصر محمد بن قلاوون لتكون مقرًّا لنظر المظالم ولاستقبال السفراء وكذلك للعرش المملوكي، ومقرًّا للاحتفالات الرسمية، هكذا كان للقبة مدلول رمزي منذ فترة مبكرة في تاريخ العمارة الإسلامية.

الرواق الشمالي

يقع في الجهة الشمالية من الحرم الشريف، تعاقب على بنائه أمراء وسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، بدءًا من عام 610هـ/ 1213م، حيث تم تعمير وتجديد القسم الواقع ما بين باب العتم والمدرسة الفارسية، وذلك طبقًا للنص الموجود بالدعامة الغربية للظلة الداخلية لباب العتم والمكون من خمسة أسطر باللغة العربية منفذة بخط النسخ ونصه كالتالي:

"جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمد لله وحده في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر بن يغمر".

ثم توالى بناء الرواق الشمالي في فترات متتابعة في الفترة المملوكية على يد نجم الدين يوسف عام 694هـ/ 1294م، حيث أكمل الجزء الممتد بين باب الحطة وباب العتم، وخلال عهد السلطان الملك الناصر محمد قام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي بإنشاء الجزء الواقع في الركن الشمالي الغربي للحرم القدسي في عام 715هـ/ 1315م، أما آخر أجزاء الرواق فكانت من إنشاء السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين في عام 769هـ/ 1367م ويمتد هذا الجزء في المسافة الواقعة بين باب الأسباط وباب الحطة.

ويتألف الرواق الشمالي من عقود حجرية مدببة تقوم على دعامات حجرية متتابعة غطيت بسلسلة من الأقبية المتقاطعة.

باب الأسباط

يقع في السور الشمالي للحرم، ويتخذ شكل عقد حجري مدبب يؤدي إلى ردهة مغطاة بقبو متقاطع، وهو يقع على الحرم بعقد حجري مدبب مماثل للعقد الخارجي.

مئذنة باب الأسباط

أنشأها الأمير سيف الدين قطلو بغا نائب القدس في عام 769هـ/ 1367م، في عهد السلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسن، وتقع في الركن الشمالي الشرقي لسور الحرم، وتعرف باسم "المئذنة الصلاحية".

تتكون هذه المئذنة من بدن أسطواني حجري مقام على قاعدة مربعة، لها مدخل جنوبي

متوجب صفوف من المقرنصات الحجرية، وينتهي البدن الأسطواني بشرفة مؤذن مستديرة مغطاة بقبة ضحلة.

باب الحطة

وهو من أقدم أبواب الحرم الشريف، ويقع في السور الشمالي منه، ويعود تاريخ الباب الحالي إلى الفترة الأيوبية، حيث رمم في عام 617هـ/ 1220م، له مدخل حجري شاهق الارتفاع معقود بعقد مدبب على جانبيه مكسلتان حجريتان، يغلق على المدخل باب ذو مصراعين من الخشب.

ويبدو أن أصل هذا الباب كان مزدوجًا، وأن القسم الغربي قد أغلق على الأغلب عند بناء التربة المملوكية الأوحدية (697هـ/ 1298م) والمجاورة لمدخل الباب الحالي جهة الغرب.

وجد نص تأسيسي لتجديدات الملك المعظم عيسى عام 617هـ بأعلى فتحة المدخل المعقودة، ويقرأ كالتالي:

"جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وذلك في شهر رجب من سنة سبع (؟) عشرة وستمائة...."

المدرسة الفارسية

تنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير فارس البكي بن الأمير قطلو بن عبد الله، نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية، نائب غزة.

قامت هذه المدرسة بدورها في الحركة الفكرية في القدس، وقد تولى مشيختها عدد من العلماء، ودرَّسوا فيها، وذلك حتى القرن الحادي عشر الهجري وربما بعده.

تقوم هذه المدرسة فوق الرواق الشمالي من أروقة الحرم الشريف، ولها مدخل في الواجهة الرئيسية، ويتم التوصل إليها عبر درجات من داخل الحرم القدسي، ويحف بالمدخل مكسلتان حجريتان، يعلوه عقد حجري مدبب، ويعلو المدخل نافذتان متجاورتان، يعلوهما حطات من المقرنصات.

والساحة مكشوفة شبه مربعة، وتقوم في جنباتها قاعة، وتجاورها غرفة من جهة الشرق، ويقوم عدد من الغرف الصغيرة، وبعض الممرات المقباة التي تشبه الدهاليز، وذلك في

الجهتين الشمالية والشرقية، أما الجهة الغربية فيشغلها غرفة صغيرة، ودرج يؤدي إلى الطابق الأول من المدرسة المجاورة لها وهي "المدرسة الأمينية"، ويتوصل إليه من مدخل بباب العتم إلى يمين الداخل منه.

والمدرستان الأمينية والفارسية متداخلتان في البناء، والتخطيط المعماري، إلا أن المدرسة الفارسية تعلو المدرسة الأمينية في المستوى.

باب العتم

وهو الباب الذي دخل منه الخليفة عمر بن الخطاب القدس، ويقع في السور الشمالي للحرم، ويعرف بـ"باب شرف الأنبياء"، و"باب الدوادارية"، كما يعرف بـ"باب الملك فيصل" تخليدًا لذكرى تبرعه لعمارة المسجد الأقصى.

يتكون هذا الباب من مدخل مرتفع على هيئة عقد حجري مدبب، يغطي فتحته مصراعان من الخشب، بأحدهما خوخة، وتقوم فوق هذا الباب المدرسة الباسطية، والمدرسة الأمينية.

المدرسة الأسعردية

أنشئت هذه المدرسة في عام 760هـ/ 1358م، ووقف هذه المدرسة مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر يوسف الأسعردي، وكان تاجرًا، في عام 770هـ/ 1368م.

وتتكون المدرسة من طابقين من البناء، يتوسطهما صحن مكشوف مربع الشكل، ويتوصل إليها من داخل الحرم الشريف بواسطة عدة درجات تؤدي إلى قاعة مفتوحة على الصحن، يحيط بالصحن خلاوي صغيرة ذات مداخل معقودة.

أهم ما يميز هذه المدرسة القاعة الكبرى المطلة على ساحة الحرم الشمالية، وتقع خلف القاعة الأولى المفتوحة على الصحن، وهي عبارة عن بناء يتكون من قاعة مستطيلة الشكل، أقيمت عليها ثلاثة أقبية مروحية، تنتهي من الخارج بثلاث قباب صغيرة، يتوسط الواجهة الجنوبية من هذه القاعة محراب ذو حنية محلاة بمقرنصات بديعة الشكل.

مئذنة الغوانمة

تقع عند الركن الشمالي الغربي للحرم القدسي، أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن فخرالدين الخليلي ناظر الحرمين الشريفين وذلك عام677هـ/ 1278م، ولهذه المئذنة

قاعـدة حجريـة مرتفعـة تنتهي بمجموعة مـن المقرنصات الحجريـة التي يبـدأ منها الطابق الثـاني، فُتحـت بجوانبـه الأربع نوافذ مربعـة، ويشغل الطابـق الثالث مـن المئذنة دخلات صـماء في وسـط كل منها عمـود رخامي على جانبيه عمودان متماثـلان، تحمل هذه الأعمدة عقديـن مدببين لهما صنجات عـلى هيئة مخدات متلاصقة، وينتهي هـذا الطابق بحطات من المقرنصات الحجرية تحمل شرفة المؤذن، يعلو السـقف المسـطح لشرفة المؤذن جوسق مثمَّن مكون من ثمانية عقود مدببة مغطَّى بقبة صغيرة.

باب الغوانمة

يقـع باب الغوانمة في السـور الغربي للحرم القـدسي باتجاه الشمال، عرف قديمًا باسـم باب الخليل، كما عرف بباب الوليد، وسـمي بباب الغوانمة، حيث إنه ينتهي إلى حارة بني غانم، ويتكـون من مدخـل معقود بعقـد حجري مدبـب ذي مصراعين من الخشـب، يؤدي هذا المدخـل إلى دهليـز مسـتطيل مغطَّى بقبو طولي ينتهـي بدوره إلى داخل الحـرم الشريف عبر درجات سلّم تهبط إليه.

باب الناظر

يقع باب الناظر في السـور الغربي للحرم، يرجع بناؤه إلى فترة سـابقة للعهد الأيوبي، إلا أنه جدد في عهد الملك المعظم عيسى عام 600هـ/ 1203م، عرف هذا الباب باسم "ميكائيل"، كـما عرف باسـم علاء الدين البصير وباب الحبس وباب النذيـر، ويعرف الآن بباب الناظر أو باب المجلس.

وهـو بـاب ضخم، محكـم البنيان، يتخذ شـكل عقد حجري مدبب، توجـد في أعلاه صنج معشقـة، ويغطـي فتحته باب خشبي مصفـح بالنحاس، وجميع ما في داخـل هذا الباب من أقبية ومبانٍ وقفه الأمير علاء الدين آيدغدي، على الفقراء القادمين لزيارة القدس.

سبيل البصيري

يعرف هذا السبيل باسم سبيل باب الحبس، ويقع في القرب من باب الناظر، لم يعرف تاريخ بنائـه عـلى وجـه التحديد، وتم تجديـده في عهد الأمير حسـن قبجا، نائب السـلطان وناظر الحرمـين الشريفين في عام 839هـ/ 1435م، في عهد السـلطان الأشرف قايتباي، كما يبدو في نقشين كتابيين عُلّقا على واجهة السبيل الجنوبية، ويحتوي السبيل على بئر للماء، أقيم فوقه

مربع مغطى بقبة، وذلك بعد تحويل أركان المربع إلى دائرة بملء أعلى الأركان بمثلثات كروية، وللسبيل ثلاث نوافذ تغطيها مصبعات حديدية، في الجهات الجنوبية، والغربية، والشمالية، بأسفل كل منها صنبور للماء، وفي الجهة الشرقية للسبيل مدخل يصعد إليه بدرجات.

سبيل الشيخ بدير

عمر هذا السبيل الحاج مصطفى آغا براونه، والي القدس في عهد السلطان محمود بن السلطان مصطفى الثاني، وكان السبيل قد بني قبل ذلك العهد.

السبيل عبارة عن بناء صغير الحجم، تم بناؤه من الحجارة الحمراء والبيضاء، وفي وسط السبيل بئر للماء، تقوم فوقه قبة صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة صغيرة، تعلوها عقود مدببة، سدت الجهة الشرقية من السبيل بجدار حجري يصل بين العمودين في هذه الجهة.

باب الحديد

يقع بين بابي الناظر والقطانين في السور الغربي للحرم، ويقع في دخلة قليلة الغور، متوجة بعقد حجري مدبب على جانبيها مكسلتان من الحجر، وفتحة الباب مستطيلة لها عتب حجري، وبأعلى العقد المدبب فتحة معقودة بعقد نصف دائري مزخرف.

باب القطانين

سُمي بهذا الاسم لأنه ينتهي إلى سوق القطانين، وهو باب قديم جُدد في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهو باب في غاية الإتقان، ويتميز بغناه بالعناصر المعمارية والزخرفية، ويتكون من مدخل يغطيه مصراعان من الخشب مصفحان بالنحاس يعلوه شريط كتابي يتضمن اسم مجدد "الأمير سيف الدين تنكز الناصري" ونصه "بسم الله الرحمن الرحيم، جدد بناء هذا الباب في عهد... الملك الناصر محمد بإشارة (أو بمباشرة) سيف الدين تنكز الناصري... في أشهر سنة 737" في عام 737هـ/ 1336م، ويتضح من استعمال تعبير بإشارة أو بمباشرة أن النقش التأسيس كان نقشًا ملكيًا، أي إن تنكز الناصري كان ممثلًا للملك في هذا الشأن.

يعلو الشريط الكتابي عقد ثلاثي الفتحات يتكون من أحجار سوداء وبيضاء تعلوه مجموعة

مـن المقرنصات التي تعلو ربع رقبة، يتقدمها عقد حجـري مدبب يتكون من أحجار حمراء وبيضاء.

باب المطهرة

يقع هذا الباب في السـور الغربي للحرم القدسي، وكان يعرف قديمًا باسـم "باب المتوضأ"، ويعرف اليوم باسـم "باب المطهرة"، وهو باب من النوع المتوسـط الحجم، يتوصل إليه من أرض الحرم عن طريق عدة درجات، ويتكون من مدخل حجري معقود بعقد مدبب، على جانبيـه عمودان رخاميان يحملان عقدًا مدببًا، صنجاته المعشقة على هيئة مخدات متلاصقة، ويغطـي فتحتـه مصراعان مـن الخشب، يـؤدي إلى ممر مكشـوف لتوفير الإضـاءة ولتهوية المطهرة، يؤدي هذا الممر إلى المطهرة.

مئذنة السلسلة

تقع مئذنة السلسـلة عند السـور الغربي للحرم، أنشأها الأمير سـيف الدين تنكز الناصري أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون عام 730 هـ/ 1330م.

القدس مدينة الأديان

د. هدى درويش
أستاذة الأديان في جامعة الزقازيق

القـدس هي تلك المدينة المتفـردة بمكانتها وأهميتها الخاصة بين بقـاع العالم، وهو ما جعلها مطمعًـا ومصدرًا لتنافـس الإمبراطوريات من يونانيـة ورومانية وفارسـية وغيرها، مرورًا بالتتـار والصليبيـين في القرون الوسـطى حتى الاحتلال الحديث الـذي نواجهه من جانب الصهيونيـة بمسـاعدات أميركيـة. كذلك تعـدّ القدس متفـردة بشهودها مختلـف الأعراق والألـوان والعقائـد والأديـان عـلى أرضهـا، حيث تقـدم لنا ملحمة إنسـانية بـما تحويه من مقدسات لمختلف الديانات كرمز للسلام على الأرض.

والقـدس مـن أقدم مـدن الأرض تاريخيًّـا، إذ ترجع نشأتهـا إلى 3000 ق.م وكان يسـكنها اليبوسـيون، إحدى القبائـل الكنعانية الذين نشؤوا في قلب الجزيـرة العربية ثم نزحوا عنها حـوالى (3000 ق.م).. وكان العرب الكنعانيون هـم أقدم مَنْ قدَّسَ وتعبَّدَ في هذه المنطقة، وكانـوا يطلقون عليها أورشـاليم. وهـي كلمة كنعانية آرامية، أطلق عليها هذا الاسـم قبل ظهور النبي موسى عليه السلام بعدة قرون، ثم عدّها الصهاينة من الأسماء العبرية.

وتلك المنطقة هي الموضع الذي أقام فيه إبراهيم عليه السلام، والمكان الذي دفن فيه.

وكان داود "عليه السلام"، أول من نقل اليهودية من دين البداوة إلى دين الحضر، حيث أقام

في القدس مركزًا سياسيًّا له، كما جعلها عاصمة إدارية وسياسية لمملكته دام وجودها ثمانين عامًا، لكنها لم تأخذ أبعادها وأهميتها الدينية إلا حينما تسلّم سليمان عليه السلام الملك مع بداية بنائه للهيكل.

أما الصهاينة فيعتبرون القدس، الأرض النقية الوحيدة التي يكون فيها الوحي المقدس، أما خارجها فيكون مشوّشًا وملوثًا وغير نقي. ويربطون الأرض المقدسة بالشعب المقدس ويسمونها الأرض الموعودة وأرض الرّب، وقد سُمّيت في سفر زكريا "بالأرض المختارة" التي اختارها الرّب ومعه شعبه المختار.

كذلك يزعمون أن القدس عند الإله أثمن من السموات والأرض، وأن الرّب اختار "أورشليم" لنفسه وأطلقوا عليها "مدينة الرّب" لأنهم يعتقدون أنها ستكون سكن الإله في آخر الأيام.

وفيما يختص بالصخرة المشرفة، فيضفي التلمود عليها هالة من القداسة والتعظيم، حيث جاء فيه أنّ "الله بدأ خلق الأرض من تلك الصخرة، وأنها حجر الأساس للأرض" ويذكرون أنها كانت ملكًا لليبوسي "أرونا" ثم اشتراها منه داود عليه السلام، وجعل عليها معبدًا لله تعالى -حسب زعمهم-.

أما حائط البراق، فهو ذلك الجزء من الحرم الشريف الذي يعدّ تاريخيًّا ملكية خاصة بالمسلمين طبقًا لتقرير الهيئة العالمية التي تشكلت وقت الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1930م، والذي أعيد تأكيده في 23 شباط/ فبراير 1968م بعد احتلال إسرائيل لفلسطين، حيث تطور الأمر إلى الزعم بأن حجارة هذا الجدار أُخذت من هيكل سليمان مما يلزم البكاء عنده حزنًا على الهيكل، وقد تجرؤوا على حرمته بأن قاموا بتغيير مسماه إلى حائط المبكى.

وإذا نظرنا إلى مصادر التاريخ الإسلامي، نجد أنها لم تذكر المزاعم اليهودية حول الحائط، ولا زيارتهم له، كما لم نجد حديثًا عما يسمى (حائط المبكى) أو (الحائط الغربي) وهما اسمان لم يظهرا إلا في رحلات الأوروبيين فيما بعد، كما أن الرحالة ناصر خسرو الذي قام بزيارة القدس سنة 438هـ لم يذكر مبكى لليهود، ولم يشر إلى بكائهم عنده، أيضًا لم يشر إليه الإمام الغزالي (رحمه الله) حين زار القدس وأقام فيها نحو سنة، وعندما قام الراهب الألماني (فلكس فابري) بزيارة للقدس عام 1484م وقام بتدوين رحلته بالتفصيل، لم يذكر فيها ما يسمى حائط المبكى أو بكاء اليهود عنده.

وفيما يختص بالهيكل، والذي -حسب زعمهم- أنه موجود أسفل المسجد الأقصى، وأنه

بمنزلة سرّة العالم، والنقطة التي عندها خلق الإله العالم، وأنه كنز الإله مثل جماعة يسرائيل، كما يزعمون أن الإله قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه.

وتوظف الصهيونية وجودها في القدس بمنظور ديني، باعتبار أن اليهود شعب الله المختار المرتبط ارتباطًا عضويًّا بأوامره، حيث استخدموا كل وسائلهم على كل المستويات النظرية والعملية والإعلامية في الداخل والخارج للترويج لهذه العقيدة الإلهية، زاعمين أن لليهود حقَّهم في الأرض كشرعية أقرها الإله.

والقدس في المسيحية هي ذلك المركز الروحي المسيحي الأقدم والأكثر عراقةً في العالم، وهي الحاضنة لأهم المقدسات المسيحية، والمكان الذي عاش فيه السيد المسيح، وبشّر فيه وصلب -حسب الرؤية المسيحية-

وتتعلق أفئدة المسيحيين بالأماكن التي انتشرت فيها رسالة المسيح والتي تستقطب الكثير من الحجاج المسيحيين وأعدادًا كبيرة من المصلين، كذلك الكنائس المنتشرة هناك مثل:

• كنيسة القيامة، فحسب المعتقد المسيحي فإن كنيسة القيامة تحتوي على قبر السيد المسيح وقبور يوسف الراعي، وجدير بالإشارة أن القائد صلاح الدين الأيوبي عند فتحه للقدس حافظ على هذه الكنيسة بعد إعمارها من جديد واحترم مكانتها الدينية لدى المسيحيين. كما تحتوي على موقع العشاء الأخير, وطريق آلام المسيح، وهو الطريق الذي سلكه السيد المسيح من باب الأسباط إلى كنيسة القيامة عندما قام اليهود بتعذيبه وجلده.

• كنيسة السيدة مريم، وتحتوي على قبور "مريم البتول" ووالديها وكذلك قبر يوسف النجار، وقد بنيت بين عامي 450 – 457م.

• كنيسة القديسة حنة (الصلاحية) وتقع شمالي الحرم القدسي، وقد أتى السيد المسيح في هذا الموقع بإحدى معجزاته.

• كنيسة الجثمانية، وتقع على جبل الزيتون، ويعتقد المسيحيون أن موقعها شهد عملية القبض على السيد المسيح عندما وشى به "يهوذا الأسخريوطي" ويعتقدون أنه صلى هناك في الليل قبيل اعتقاله.

• كنيسة العلية (دير صهيون): ويعتقد المسيحيون أن "السيد المسيح" تناول وأتباعه عشاءهم الأخير فيها. وقد وصفتها الموسوعة الكاثوليكية بأنها أول كنيسة في العالم، وتعدّ مركز المسيحية المبكرة.

• كنيسة الصعود: بنيت سنة 392 للميلاد، وهي التي بنيت على جبل الزيتون في المكان الـذي يعتقد أن "السـيد المسـيح" صعـد منه إلى السـماء. وتعدّ أعلى بنـاء في القدس على الإطلاق.

– ويضاف إلى هذه الكنائس عدد كبير من الأديرة التي لها قداسة كبيرة لدى المسيحيين.

أمـا التراث الإسـلامي في القدس، فيزخـر بمكانة روحية عالية في قلوب المسـلمين، حيث إنها ترتبط بالتاريخ والعراقة كما ترتبط بالشعائر العبادية، فقد عاشـت القدس في ظل الفتح الإسـلامي عـلى يد الخليفة عمـر بن الخطـاب (رضي الله عنه) أربعة عشر قرنًـا من الزمان، وكان بيت المقدس قبلة رسـول الله (صلى الله عليه وسـلم) مدة ستة عشر شهرًا حتى وجّهه الله عز وجل نحو الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

وأهم الأماكن المقدسـة في القدس التي تهوي إليها أفئدة المسـلمين، المسجد الأقصى (الحرم الشريف) ومسجد الصخرة، الذي يقع في الجهة الشرقية الجنوبية من المدينة القديمة، إضافة إلى مساجد أخرى كثيرة يبلغ عددها (35) مسجدًا.

وقد جاء ذكر المسجد الأقصى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرًا لمكانته العالية ومنزلته المقدسـة، فقد روي عن أبي ذر الغفاري عن رسـول الله (صلى الله عليه وسـلم) أن المسجد الأقصى بُني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة. (رواه البخاري ومسلم).

وفي ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفضل الصلاة في المسجد الأقصى فقال: " صلاة الرجل في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة". (رواه ابن ماجه).

وعن فضل بيت المقدس يقول أنس بن مالك (رضي الله عنه): إن الجنة لتحن شوقًا إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس، والفردوس الأعلى هو ها هنا ربوة في الجنة، هي أواسط الجنة وأعلاها وأفضلها.

وتحتوي القدس على الكثير من الآثار الإسـلامية، حيث تضم (460) مدرسـة، و(40) زاوية ومقبرة وضريحًا، و(25) مسجدًا ومئذنة، و(22) سبيلًا وحمامًا، و(35) أثرًا داخل المسـجد الأقـصى، كما تضـم (34) طريقًا، و(9) أسـواق، و(8) أسـوار وأبواب قديمة، والمسـلمون يتوجهون إلى المسـجد الأقصى وقبة الصخرة، وحائط البراق بكل التقديس والإجلال.

كذلـك تحتـوي مدينة (القـدس) المباركة على عـدد كبير مـن الزوايا التي تنسـب إلى بعض الطرق الصوفية، من أهمها:

- الزاويـة النقشبنديـة: وتقـع بالقـرب مـن زوايا الحـرم الشماليـة الغربية، والتـي بناها مؤسـس الطريقـة النقشبندية الشيـخ محمد بهاء الديـن نقشبند البخاري لإيـواء الغرباء وإطعام الفقراء.
- الزاوية الرفاعية: وتقع بداخل الحرم القدسي إلى الشمال.
- الزاوية البسطامية: أوقفها الشيخ عبد الله البسطامي.
- الزاوية القادرية: وتقع على بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية.
- الزاوية المولوية: ويقيم فيها أتباع الطريقة، حيث دخلت بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني (925هـ - 1519م).

هـذا وتـدرك الصهيونيـة أن تغييب الجانـب العقدي الإسـلامي للقدس هو الضـمان لبقاء القدس في أيدي إسرائيل.

ومن هنا يتحتم على المسـلمين النظر في أهمية معطيات الجانب العقدي للقدس في الإسـلام واستنهاض الهمم في التأكيد على أهمية القدس في الوجدان الإسلامي والعربي.

إن تهويد القدس وما يجرى عليها من أحداث بهدف إقصاء شعبها العربي الفلسطيني، سواء بالتهجير أو الاستيطان أو الاغتصاب وجعلها عاصمة أبدية لإسرائيل لهو عمل خارج عن التاريـخ والقوانـين الشرعية والوضعية، يقـوم به كيان خارج عـن التاريخ وخارج عن كل الحق والعدل أو المعنى الإنساني للحياة.

جامعة القدس – كلية الحقوق
القدس

مجلة العلوم القانونيّة والسياسيّة

مجلة العلوم القانونية والسياسية – مجلة محكمة
تصدر عن جامعة القدس – كلية الحقوق – القدس
العدد الاول والثاني – شتاء وربيع 2019.

جامعة القدس، الحرم الرئيس – أبو ديس، صندوق بريد 89
الموقع الالكتروني: www.alquds.edu
للاتصال بالحرم الرئيس – أبو ديس
هاتف رقم: 2756200 - 02 - 00972
فاكس رقم: 2793817 - 02 - 00972

اطلاق مجلة "المقدسية"
برعاية وزير الثقافة اللبناني الدكتور محمد داود داود

تحت رعاية وزير الثقافة **محمد داود داود** أقيم حفل إطلاق مجلة المقدسية في المكتبة الوطنية – الصنائع، حضر الاحتفال عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية **عزام الأحمد**، السفير **الفلسطيني أشرف دبور**، عضو المجلس الثوري لحركة فتح **آمنة جبريل**، أمين سر حركة فتح في لبنان **فتحي أبو العردات**، الوزير السابق **حسن منيمنة**، الوزير الأسبق **عصام نعمان**، رئيس مجلس أمناء جامعة القدس السابق **منيب المصري**، وممثلو فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، أعضاء إقليم حركة فتح في لبنان، أمين سرّ وأعضاء قيادة الحركة في بيروت، ومثقفون وإعلاميون.

بدأ الحفل بالنشيدين الوطنيين اللبناني والفلسطيني، تلاه فيلم قصير عن جامعة القدس في فلسطين.

السيد حسان عكرا

اعتبر ممثل الوزير داود في كلمته أن القدس في قلب بيروت، وبيروت في قلب القدس، لذلك يأتي اليوم حفل إطلاق مجلة المقدسيّة من داخل المكتبة الوطنية. وانتقد ما تتعرّض له القضية الفلسطينية من خلال صفقة القرن، داعياً العرب إلى احتضان القضية الفلسطينية ونصرة فلسطين والقدس، كما فعلها القائد التاريخي صلاح الدين في الماضي. وتمنّى أن تكون هذه المجلة الجديدة بمثابة منارة علمية للعالم العربي، وصرحاً لإرساء ثقافة عربية جديدة.

السفير أشرف دبور

اعتبر السفير دبور من جهته أن اللقاء اليوم لإطلاق مجلة العاصمة الفلسطينية، التي كانت وستبقى العاصمة الأبدية للدولة الفلسطينية. ورأى أن القضية الفلسطينية تمرّ بمفترق طرق من خلال محاولات تغيير الواقع التاريخي، لتصفية القضية الفلسطينية وإجهاض حلم إقامة الدولة الفلسطينية.

أبو علي

اعتبر رئيس تحرير مجلة المقدسية سعيد أبو علي، أن المجلة مجموعة من الأقلام المقاومة التي تستحضر القدس في شوق لتؤكّد أنها لن تباع. ورأى أن مدينة بيروت هي شاهدة على القضية الفلسطينية منذ البدايات، وهي توأم روح القضية الفلسطينية، معتبراً أن تجديد العهد للقدس يأتي اليوم من بيروت من خلال إطلاق مجلة المقدسيّة ليؤكّد حق العودة إلى فلسطين وعاصمتها القدس الشريف.

وأكد **أبو علي** أن فكرة المجلة أتت قبل وعد ترامب المشؤوم، وهدفها مد جسور التواصل من فلسطين الى كل الدول العربية، "ولأجل ذلك كانت المقدسية للدفاع عن القدس، ولتسجل للتاريخ عزة الأمس وهوان اليوم، وتتضاعف أهمية المقدسية اليوم لمواجهة الخرافات التوراتية وغيرها من التشريعات العنصرية وتشويه الهوية الفلسطينية.

سركيس أبوزيد

من جانبه، أكد الكاتب والمشرف على "دار أبعاد" سركيس أبوزيد أن إطلاق المقدسية يأتي كثمرة لجهود فلسطينية مصرية لبنانية لتؤكد أن الاحتلال لا يستطيع أن يعزل القدس عن

محيطها العربي، معتبراً أن "المقدسية" تأتي الى بيروت كطائر فينيق لتقول أن الحق لا يموت، وأن القضية الفلسطينية ستبقى في وجدان الأمة.

ولفت إلى أن "المقدسية" هي شكل من أشكال المقاومة الشاملة وستبقى القدس عبر المقدسية شاهد على العصر، وأن المحبة أقوى من الطغاة، مؤكداً أن مجلة "المقدسية" تأتي في زمن الصفقات لتعلن للجميع أن الحق لا يموت.

فيما يلي كلمة السيد رئيس جامعة القدس أ. د. عماد أبو كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ الدكتور محمد داود داود وزير الثقافة والفنون الجميلة في الجمهورية اللبنانية الشقيقة.

الأخ الدكتور حسان عكرا مدير عام المكتبه الوطنية اللبنانية.

سعادة الأخ السفير أشرف دبور سفير فلسطين في لبنان الشقيق.

الأخ الدكتور سعيد أبو علي المشرف العام ورئيس تحرير مجلة "المقدسية".

الأخ الأستاذ سركيس أبو زيد الكاتب المتميز والناشر والصديق العزيز المحب للقدس و فلسطين.

الأخ الأستاذ منيب المصري رئيس مجلس أمناء جامعة القدس السابق.

رئيس مجلس إدارة مؤسسة منيب المصري للتنمية وعضو الهيئة الإستشارية لمجلة "المقدسية".

الأخوات والأخوه الحضور كل بإسمه ولقبه.

الحفل الكريم

من بيت المقدس... من القدس الشريف... درة التاج... من زهرة المدائن... من أرض الإسراء والمعراج... من رحاب كنيسة القيامة و المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة... من أرض الزيتون التي يكاد زيتها يضيء... من مدينة القدس بتاريخها وإرثها الحضاري والديني والثقافي... من مدينة الصلاة... مدينة

السلام... الأرض المقدسة وأرض الرسالات... جئناكم... الى بيروت التاريخ والثقافة والتحدي والصمود... مدينة الأدب والأدباء والوعي وإنطلاق الإرادة... في هذه المناسبة الرائعة و هذا الحفل الكريم... حفل إطلاق مجلة "المقدسية"... مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعتكم، جامعة القدس... جامعة العاصمة... عاصمة فلسطين الأبدية... الجامعة التي تحمل رسالة نعتز ونتشرف بها... تحمل إسم القدس... تمثل آمالها و أوجاعها وترفع عالياً صوتها وتنهض بمسؤوليتها إتجاهها وتدافع عن هويتها الوطنية الفلسطينية وعمقها العربي و روابطها الإسلامية والمسيحية وبعدها الديني والإنساني، وتعزز صمود أهلها في مواجهة آلة البطش و القتل و كل محاولات الإقتلاع والتهجير والتهويد الممنهج والإستهداف المباشر من إحتلال قسري همجي مدعوماً من إدارة أمريكية متصهينة داست القانون الدولي وكل القيم والأعراف وضربت بقرارات الشرعية الدولية عرض الحائط.

الأخوات والإخوة الحضور

الحفل الكريم

لقد إرتأينا في جامعة القدس... المؤسسة الأكاديمية الرائدة علمياً وبحثياً ونضالياً ووطنياً التي تحمل للقدس وأهلها بصفة خاصة ولفلسطين عامه رسالة علم ونور... والتي تحمل إسم القدس وتنتمي لها الوفية والباره قولاً وفعلاً وممارسة لهذا الإسم و لما يحمله من معاني ومسؤولية وإيمان... والقدس تستحق ما هو أكثر، وجديرة أن يبذل في سبيلها الغالي والنفيس... من هنا يأتي إطلاق هذه المجلة الفصلية المتخصصة بالشؤون المقدسية والتي تفتقد القدس لمثلها كإسهام متواضع، ولكنه هام في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ شعبنا وأمتنا ...

لتكون صوتاً للقدس وأهلها ومحبيها ومنصفيها والمدافعين عنها وعن عروبتها وإنتمائها وتاريخها وإرثها الحضاري والديني والإنساني في حقبة تاريخية هي الأشد خطورة بعد وعد ترمب المشؤوم وبعد مئه عام وعد بلفور المشؤوم الذي أسس للظلم والإحتلال والإحلال والإستبدال، ومخططات صهيونية أمريكية تستهدف اليوم الهوية والأرض والتاريخ والإنسان والحاضر والمستقبل... لتكون المقدسية ناطقاً معبراً موثقاً، وصوتاً قوياً مؤثراً، ومرجعاً علمياً معرفياً موضوعياً متخصصاً،

متصدياً للأساطير التلموذية والتزوير التاريخي، يضع الحقائق ويفند الأكاذيب والإدعاءات، ويكشف الأهداف والمخططات والمكائد التي تحاك للقدس وأمتنا في سبات عميق، معززاً لصمود القدس وأهلها، وموثقاً لنضالهم وتضحياتهم وتطلعاتهم وإصرارهم على مواصلة الصمود والتحدي والدفاع عن هويتها الوطنية العربية الإسلامية والمسيحية.

نعم أيها الأخوات... أيها الأخوة... من هنا كانت الرؤية... ومن بيروت العزة والكرامة والصمود أردنا أن يكون الإنطلاق لمجلة " المقدسية " بدعم وجهود إخوه أعزاء محبين للقدس و فلسطين وأهلها... وإمتداد طبيعي... ضحوا ومازالوا يضحون ويعملون في سبيل القدس وفلسطين وعروبتها وحريتها وإستقلالها... مسلمون ومسيحيون، فلسطينيون ولبنانيون وعرب... يؤمنون أن اليوم... و أكثر من أي وقت مضى... أن هؤلاء الصامدون المرابطون في خندق المواجهة الأولى في القدس وفلسطين يتصدون للمؤامرة الكبرى يذودون عن القدس، بل عن حياض الأمه جمعاء.

شكراً لكم جميعاً على مشاركتكم لنا... وقبولكم أن تكونوا معنا مشاركين داعمين في هذا الإسهام المتواضع من أجل القدس وفلسطين... مجلة "المقدسية" و إن شاء الله بجهودكم جميعاً و عملكم الدؤوب معنا ستحقق هذه المجلة أهدافها، نعم القدس تستحق وأنتم الأهل والأحبة ولها مثلنا تنتمون.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

كلمة أ. د. سعيد أبو علي رئيس هيئة تحرير مجلة المقدسية

معالى السيد الوزير

سعادة السيد السفير

السيدات والسادة الحضور الكرام مع حفظ الأسماء والمقامات وجميعكم قامات عالية

أسعد الله مساءكم بكل خير

أرجو أن تسمحوا لي، أن استهل بحمد الله، ثم الانحناء إجلالاً لأرواح شهداء

فلسطين ولبنان، شهداء الأمة الذين قضوا من أجل فلسطين. وأن أجدد العهد للأسرى البواسل في زنازين الاحتلال.

ثم أن أعبر عن مشاعر خاصة ومختلطة، تنتابني بهذا الحدث الاستثنائي، الذي تزداد فيه صعوبة التعبير أمام حضراتكم وما يليق بكم وبهذا الحدث في هذا المكان لكنها محاولة.

السيدات والسادة المحتفون بالمقدسية:

يا لها من أمسيةٍ، مناسبةٍ، ساعةٍ، معمدةٍ بالفرح الشقي، يتدفق من هضاب الأمل والعزم، من ينابيع الألم والبشرى... فالمقدسية أقلام مقاومةٍ.

ويا له من حضورٍ بهي، هذا الحضور حضورُكم، يستحضرُ القدسَ، بفيضٍ من الشوق يتلألأ في حدقات العيون، توقداً وإصراراً، أن القدس لن تباعَ ولن تهون.

هنا في بيروت، ومن بيروت عاصمةُ الحروفِ والأناشيدِ، عاصمة المقاومة.

يا لهذه الرحاب بدار الكتاب... ذاكرة الوطن، شاهدة علينا على الحاضر من قديم الزمن..

معكم أيها المحتفون بالقدس من بيروت، نجمة فلسطين، شقيقة روحها، تقاسمها القسم: أن ليسَ لشعبِ فلسطينَ سوى فلسطينُ... وطن.

وفي صومعة الموروث المقدس للبنان العصي، ودار الأبجدية، نجدد عهدنا للقدس، للأقصى للقيامة، ولبيروتَ: أن القدس ليست صفقة في مزاد البحار... بيعاً وتفريطاً و مساومة.

السيدات والسادة

مرحباً بكم في هذا الحفل البهيج، احتفاءاً بإطلاق المقدسية، تبدأ من بيروت خطواتها الأولى، وعد لمدينة الله، عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة الأتية، شعاع من أمل. وحزمة من ثبات العزم، إيمان وحق يتجسد، يدحض الصفقة، والوعد المجدد.

فطوبى للمحتفين أنتم، ونعم المحتفى به هي، وهي المقدسية، التي وإن كانت رسالةً بأحد المعاني، فإن تكونوا أوائل المحتَفينَ... معنى ورسالة.

أن ترتدي حلتها وتبدأ رحلتها من بيروت السيف والقلم، معنىً ورسالة.. أما أن تعلن ميلادها في بيت أمهات الحكمةِ والعلمِ والأعلامِ والأيامِ، شواهدٌ تاريخٍ مكتوب بمدادٍ من عناء ودماء، يتدفق مجداً وانتصاراً، يروي حكاية الأرز والقدس: صورتُها، هويتُها، وعناقها الحميم، القديمُ، الجديدُ، الدائمُ، الخالدُ، الماجدُ، (لبيروت)، فأي معنىً وأي رسالة ؟؟؟

أي سر في هذا التكامل التآلف الطبيعي الإبداعي، بين مدروس وعفوي، يرسم طيفاً من قوس قزح.. ويلقي فينا عظته الأولى، معنى الكلمات وايقاع السطور، ويؤذن في الناس: هنا تأنس روح القدس تصدح بالتراتيل والتسابيح، هنا العناق بين أجراس الكنائس وتكبير المساجد، هنا الرباط هنا المهات هنا النشور، هنا نافذة السماء ومعراج الأنبياء... هنا البدايات والنهايات... هنا عناق إسراءِ محمدٍ.. وقيامةُ الفادي المسيح.. هنا البراق إلى العلى.. وهنا على الأرضِ السلامُ، وفيها المسرةُ والفرح.

لعفوية المكان في بيروت دالته، ولم يكن مخططاً أين نلتقي لنحتفي. قال لي سركيس: في قاعة اليونسكو، قلت لا بأس هي الشاهدة الحاضرة على حكاية فلسطين الصابرة، لها سجلٌ حافل بالذكريات، وسيلٌ عارمٌ من الوثائق والقرارات، تدفقت إلى البحر أو تخطفتها النوارس، إلى شواطئ الملح، يذوب في ثانية الجرح... ومن مدادِ الحبرِ صارَ لونُ البحر كحليٌ، وتغرب البحر وصار الآن أبعدْ...

يا فارس البحر.. لا مرسى ولا نجمُ ولا علمُ ولا مجداف للمركب ..

فكم كأساً من الأحزان... ستسقينا ومن أسقامها تشرب..

ألا ترتوي وتقول لا؟

ألا تنتشي... وفيكَ عروبةٌ تغضب...

يا فارس البحر... أن البحرُ يتغرب، يحفُ الماء، وزبد البحر لا ينضَب؟؟

يا فارس البحر... صار البحر بحرين أو أبعد..

ووعدٌ بصفقةِ القرنيينِ يتجدد...

يا فارس البحر... صار البحر بحران، أو أكثر..

وبعد القدس جولان... ألا تثأر؟؟

ولست أعلم ما وراء السر، إن للمقدسية هنا إعلان مولدٍ، وللقدس وشاح مطرز بالنصر، من بيروتَ

تتقلد.

السيدات والسادة

كانت الفكرة البداية في جامعة القدس، قبلَ وعد ترامب، أقبحُ عاديات العصر، أن يكون لعاصمة الدولة الآتية منبر يفردُ لصوتها ورسائلها.

فصلية تعني بشؤونها واسمها المقدسية، من ضمن مسارات المسؤولية المعرفية والوطنية للجامعة، ولا تبارح عمقها القومي، تعبيراً عن هويتها، ووفاءاً لأمتها. لتمتدَ أعمال المجلة من القدس إلى بيروت فالقاهرة، إلى الرباطِ تمدُ جسوراً أخرى للتواصلِ بين أناس الوطن، وعاصمةُ الروح، عاصمةُ عواصم الوطن، سيظلُ بكل الفصولِ عربياً، قلبهُ القدسُ، رغم تباريح الجراح وأوهامُ العربيُ الجديدُ، ينبعثُ من رفات العربي الجيّد يترجم في المنافي والفيافي، وعد فلسطين الطريدة أو فلسطين الجديدة.

من أجل ذلك تفتح المقدسية ذراعيها وقلبها، لأحبة القدس المؤمنين بعروبتها، يعبرون عن شوقهم وتوقفهم، عن مواقفهم، يذودون عنها، يعالجون قضاياها، باجتياز الزائل من حدودٍ وجنودٍ وقيودٍ.. ويبقون على موعدِ معها وإن طال.. يسجلون للتاريخ، باستعراض مواكبه، عزةُ الأمسِ وهوان اليوم. للقدس أن تعتب وللقدس أن تغضب.. وللقدس عزم وإن طال المخاضُ، فلن تلقي برايتها، ولن تتعب.

السيدات والسادة

لا شك أن القدس، تجتاز المرحلة الأشدُ خطورةً والأصعب، بعد خمسين عاماً من مواجهة مشاريع الاحتلال وإمعانه في اغتيال هويتها. وخاصة بعد وعد ترامب، الذي أطلق العنان لغول التهويد والاستيطان. مؤسساً لمرحلة تاريخية جديدة في المشروع الاستعماري الصهيوني الدموي: استيطاناً واقتلاعاً، أسرلةً وتهويداً، في محاوله لإكساب ذلك المشروع شرعية الوجودِ والبقاء، بأوهام الأساطير، وفتك الآلة

العسكرية، لبسط الهيمنة وفرض الإخضاع والخنوع، لفرض التفكك والاحتراب والإرهاب المستبيح للدم والكيان العربي.

بيروت كما القدس، تدرك أن ذلك ليس قدراً يبررُ السقوط والإذعان أو التهافت لاستحضار كمنجات الأندلس، فتمردت تقاومُ الوعدَ والصفقة والمصفقين. وتعلن وعدها: عروبةُ القدس واستقلالُ فلسطين.

إن احتلالَ الأرضَ وجبروتَ القوةِ، لا يعني احتلال الوعي والإرادة، تلك رؤيةُ المقدسية، التي تدرك معنى البعد الثقافي، الذي تتضاعف أهميته اليوم، في هذا الصراع الممتد، والذي تشكل فيه الرواية التاريخية، عنواناً وساحة رئيسية، ما يملي أهميةَ إعادةِ تمكينِ جبهتنا الثقافية، بما يوازي لزوم حضورها الفاعل القوي، لمواجهة محاولات تزييف الوعي والتاريخ بالأساطير والخرافات التوراتية وشرعنة الواقع القسري المزيف بمسميات الصفقة والوعد المتلازم مع الروايات والتشريعات العنصرية لمواجهة طمس الحقيقة وتشوية الهوية لتصبحَ الخيانةُ وجهة نظر، بلا حياءِ أو وجلٍ فيسقط المتساقطون بأحضان الصابرين، فيما يصمد بإباء، المقدسيون والفلسطينيون، في مدينتهم ووطنهم، بدعم شعوب أمتهم وأحرار العالم وعزم بيروت الشريكة بالاستهداف دوراً وهوية رفيقة الخندق والبندقية.

فتحيه للقدس وأبنائها ومؤسساتها وتحية للبنان رئيساً وحكومةً وشعباً وقوى وقيادات، تحية لشعب فلسطين وقيادته في خنادق الصمود والمواجهة الأمامية، يتقدم صفوف الأمة العائدة قطعاً إلى رشدها. ودورها ومسؤولياتها.

السيدات والسادة

أخيراً فإن ما تطمح إليه المقدسية، هو أن تكونَ عند بعضٍ مما قيل فيها وعنها في القاهرة واقتبس من ذلك سطورٍ بقلم الكاتب الصحفي أحمد نور الدين مدير التحرير بالأهرام لصدى البلد:

سيف جديد بتار استل من غمده

وسهم صائب لا يخطئ راميه

عربي فلسطيني مقدسي الأصل والكينونة

يخرج الى النور منضماً لجحافل المرابطين

الذادين عن عروبة فلسطين والقدس

محاولات الكيان الصهيوني ومن معه

صبغ القدس زوراً وبهتاناً بصبغة التهويد

ذلك، بسلاح القلم والكلمة، الحقيقية الموثقة، والبراهين الدامغة، وأني كما قال: عن المقدسية أتحدث.

وختاماً إذ أشكر لكم حضوركم وحسن استماعكم، وإذ أشكر لدار الكتاب استضافتنا ومعالي الوزير تشريفه برعاية حفلنا، وسعادة السفير أشرف دبور مشاركته لنا، وشكر خاص لمن كتب في صفحاتها، ولكتّاب أتين، ولمن كتبوا عن صفحاتها ولمن سيكتبون.

عاش لبنان وعاشت فلسطين وسلام على القدس وبيروت، والسلام عليكم

شكرا لكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة سركيس أبوزيد

نحتفل معاً اليوم بصدور مجلة "المقدسية" التي تحمل في ذاتها معاني وأبعاد متعددة منها:

1 – تنطلق "المقدسية" من فلسطين وهي ثمرة جهود مع القاهرة وبيروت، للتأكيد بأن الاحتلال لا يستطيع أن يُلغي تواصل القدس مع محيطها مهما حاول عزل المدينة المقدسية، ومهما حاول تقطيع شرايين حياتها مع جيرانها. "المقدسية" هي تعبير عن قوة الروح في مدينة السلام على تجاوز الحواجز والحدود المصطنعة والوصول إلى محبيها أينما وجدوا.....

2 – "المقدسية" تحمل راية العلم والمعرفة من الجامعة كصرح أكاديمي، ومن شوارع القدس كنبض حضاري وتاريخي وحياتي لا يموت، مهما تجبر المحتل، ومهما ظلم الطغاة، ومهما حاولوا تقطيع أواصر التجاور.

"المقدسية" هي شكل من أشكال المقاومة الشاملة التي تعلمتها، من مقاومة فلسطين بالميدان والإعلام والعلم، لتجسد رسالتها التاريخية في السلام والمحبة والعطاء ووقوفها ضد الظلم والإرهاب.

"القدس" مدينة عالمية للروح وتسامي القيم، وستبقى عبر "المقدسية" وعبر أهلها الصامدين الصابرين شاهداً على العصور أن المحبة أقوى من الطغاة.

3 – في زمن الصفقات التي نشهدها في هذا العصر وعبر العصور، والهادفة لإلغاء فلسطين الواقفة عصية على مفترق الطرق الحضارية والممرات الاستراتيجية في هذا الزمن الرديء، تأتي "المقدسية" إلى بيروت لتقول لنا بصوت عالي أن "الحق ما بيموت"، وفلسطين باقية في ذاكرتنا وحاضرنا، وأكيد في غدنا ففيها ولد المسيح، وعرج الرسول، وفيها ولدت ونمت وازدهرت حضارات قديمة أعطت الإنسانية رسالات وأساطير ومعارف كانت في أساس الكنوز الحضارية البشرية.

فرغم موازين القوى التي تتبدل ورغم التحديات والتحولات جاءتنا "المقدسية" اليوم إلى بيروت كشاهد يذكرنا بطائر الفينيق الذي يغيب أحياناً لكنه سرعان ما يقوم من بين الأموات ويُعطي الحياة لإنسان بلادنا. وفينيقيا التي لم تقتصر على حدود لبنان الحالي بل امتدت على طول الشاطىء لتشمل فلسطين أيضاً.

ختاماً، أتوجه بالشكر إلى معالي وزير الثقافة الدكتور محمد داود داود راعي هذا الاحتفال. كما أشكر السفير أشرف دبور والدكتور عماد أبو كشك رئيس جامعة القدس والدكتور سعيد أبو علي والدكتور حسان عكرا مدير عام المكتبة الوطنية الذي شرفنا بحضوره واهتمامه، كما أشكر الصديقة دعاء الشريف التي كان لها دور مميز بإنجاز هذا العمل. والشكر أيضاً للإعلامية هبه عيّاد التي شاركتنا في تقديم هذا الحفل..... والشكر الأخير للجندي المجهول هنادي شموط التي قامت بتنظيم هذا الحفل ليخرج بهذه الصورة المشرفة.

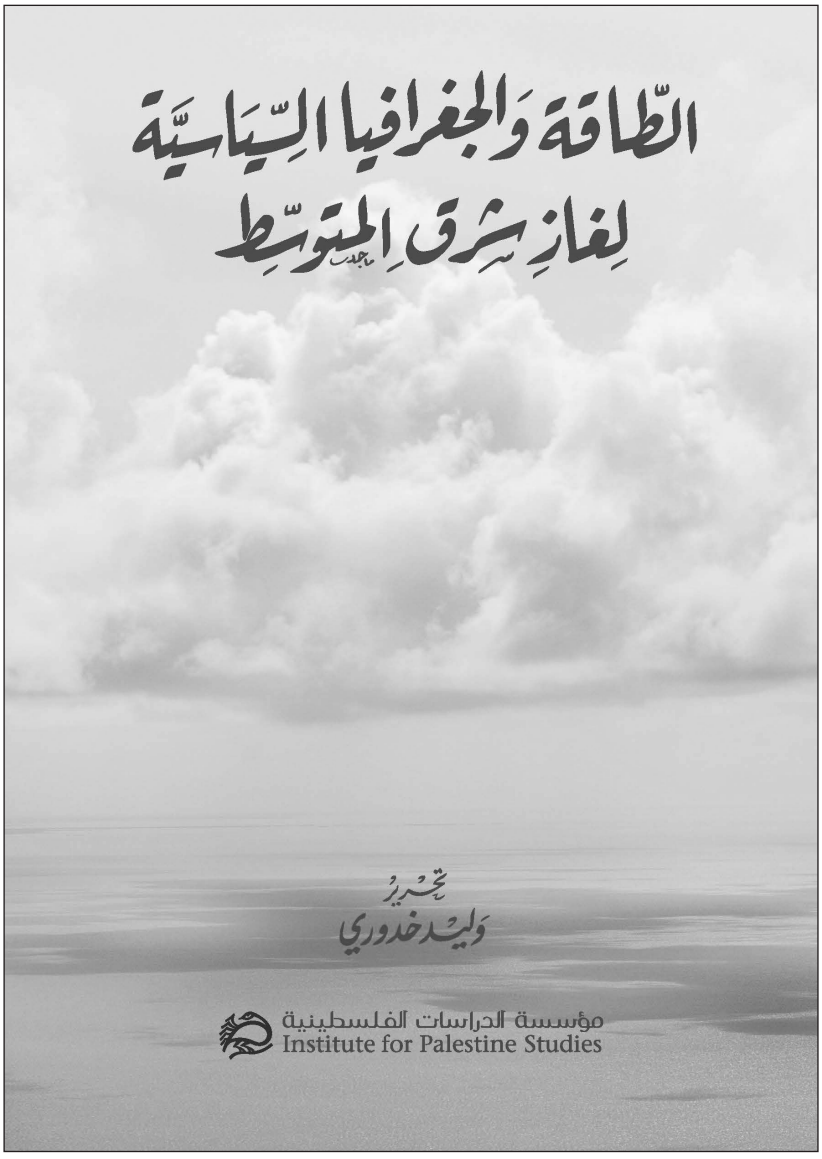

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

كنيسة المهد

هي من أهم الاماكن المقدّسة لدى المسيحيّين من جميع الطوائف، ومن أقدم كنائس العالم وبالتحديد في فلسطين، حيث تقع في مدينة بيت لحم، وفيها ولد المسيح عيسى عليه السلام من مريم العذراء.

بنى هذه الكنيسة الإمبراطور قسطنطين عام 335 ميلادي، حيث تقام فيها طقوس دينية من بداية القرن السادس للميلاد حتى يومنا هذا، والذي أنشأها في شكلها الموجود عليها حالياً الإمبراطور الروماني يوستنيان. وسجّلت كنيسة المهد في عام 2012 واحدة من مواقع التراث العالمي الذي تدرج في لوائح التراث العالمي التابع لليونسكو.

لبنان 10000 ليرة | الأردن: 4 دينار | سوريا: 200 ليرة | مصر: 20 جنيه | تونس: 3 دينار | المغرب: 40 درهم | مسقط: 2 ريال
السعودية: 20 ريال | البحرين: 3 دينار | الكويت: 3 دينار | قطر: 20 ريال | الإمارات: 20 درهم